الحفائر الملكية بحلوان

الفن والحضارة
في
الأسرتين الأولى والثانية

تأليف
زكي يوسف سعد
أمين المتحف المصري ومدير الحفائر الملكية بحلوان

مكتبة الأنجلو المصرية
صبحي وشركاه
مصر

مكتبة الأنجلو المصرية
صبحي وشركاه
مصر

الحفائر الملكية بحلوان

الفن والحضارة
في
الأسرتين الأولى والثانية

تأليف
زكي يوسف سعد
أمين المتحف المصري ومدير الحفائر الملكية بحلوان

دار النيل للطباعة
١٩٥٢



حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر والسودان

إهداء

إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

فاروق الأول

ملك مصر والسودان

حامي ثقافة وادي النيل وباعث نهضة مصر وناشر ماضيها الجليل بما يسديه جلالته أعزه الله لعلم الآثار من جميل فضل ورعاية سامية ستظل باقية إلى آخر الدهر مدونة بمداد من ذهب في سجل الخلود

أتشرف بأن أرفع بكل تواضع وإخلاص مؤلفي هذا عن الفن والحضارة في عصر الأسرتين الأولى والثانية كنتيجة أولية للحفائر الملكية بحلوان .

زكي يوسف سعد



أناء من حجر البورفير

مُقدّمة

قمت بأعمال الحفائر الملكية بحلوان من أغسطس سنة ١٩٤٢ . وكان على أن أنشر نتائج هذه الحفائر العلميــة حتى يطلع على ما تقوم به علماء الآثار . وقد طبع كتاب سنة ١٩٤٧ ، وآخر سنة ١٩٥٠ ؛ وهناك كتاب ثالث تحت الطبع . وقد نشرت هذه الكتب جميعاً باللغة الانجليزية .

وقد طلب إلى أن أنشر بعض هذه النتائج فى كتاب باللغة العربيـة حتى يكون فى متناول قرائها ، فقمت بتسجيل بعض ما وصلنا إليه من الفن والحضارة فى عصر الأسرة الأولى والثانية .

وإن كان ما كتبته فى هذا المؤلف موجزاً مختصراً إلا أنه أول شىء من نوعه يتناول حضارة مصر فى عصر الأسرتين الأولى والثانية .

وإنى لأرجو أن أكون قد أعطيت القراء صورة عن فترة من حياة أهل مصر وفنهم وحضارتهم فى هذا العصر السحيق .

ومن الواجب على أن أقدم جزيل الشكر إلى جناب المحترم الدكتور إتيين دريوتون المدير العام لمصلحة الآثار المصرية على ما قام به من نصح وإرشاد وتشجيع بزياراته المتكررة لمنطقة الحفائر . كما أقدم شكرى إلى حضرة الأستاذ زكى إسكندر مدير المعمل الكيميائى ومساعديه على ما قاموا به من ترميم بعض القطع الأثرية وتحليـــل المواد التى وجدت بالحفائر ، وكذلك الأستاذ محمد عبد التواب الحته مساعد الحفائر على حسن معاونته ،

وفوزى أفندى إبراهيم المهندس بالمصلحة الذى يقوم بأعمال الخرائط والمساحة للمنطقة على ما يبذله من مجهود شاق ، وكذلك الريس محمود شادوف مصور مصلحة الآثار بسقارة المنتدب للتصوير بالحفائر الملكية على ما قام به من تصوير جميع المناظر الموجودة بهذا الكتاب . كما لا يفوتنى أن أشكر عمال الترميم ؛ وكذلك ريس الحفائر وعماله على جدهم وأمانتهم .

زكى يوسف سعد

عزبة « الوالدة » حلوان
٢١/١٢/١٩٥١

جلالة الملك نصير الآثار

إن أفضال جلالة الملك على البلاد فوق أن تحصر . وتمتاز أفضال جلالته بالانفراد . فللمرة الأولى فى التاريخ الحديث يسمع الناس أن ملكا ينفق على أعمال الحفر من جيبه الخاص ، ويسعى إلى مناطق الحفائر بذاته السامية ليرى محتوياتها ويقف على ما كشف منها ، ويناقش القائمين بالعمل فيها مناقشة علمية تاريخية تثير الدهشة وتضاعف الاعجاب .

ما أعظم جلالة الفاروق ملكا ! وجه مشرق بنور العزم ، وعينان لامعتان بالحزم ، وثغر مضىء بابتسام التشجيع ، وحديث سام كله حكمة .

لن أنسى ما حييت يوم تفضل جلالته فشرف الحفائر الملكية فى حلوان بزيارته الثانية يوم ٢٩ يناير سنة ١٩٤٤ ، وكنت فى ذلك اليوم أثناء انتظارى لتشريف جلالته فى حيرة . لم أكن أدرى كيف أرفع إلى مسامع جلالته أخبار النتائج التى وصلنا إليها . فلم نكن قد عثرنا على شىء مما يراه الناس قيماً . والناس يرون القيمة فى الذهب . ولم نكن كشفنا عن أى أثر أو حلية ذهبية . وقد عهدنا الناس حين يزورون الحفائر يستهلون أسئلتهم معنا بالاستفهام عما إذا كنا قد عثرنا على ذهب . وكنا نجيبهم بالرد المحتوم : لا ، لم نعثر على ذهب . فيقابلون بعد ذلك حديثنا عن أنباء ما وصلنا إليه من كشف علمى ، مقابلتهم لمن لم يوفق إلى الكشف عن شىء .

فلما شرف جلالته كنت فى حيرتى ، لكنى أمام عظمة المليك ، وما كان يشع من

هذه العظمة من روح التشجيع السامى والديمقراطية الكريمة ، لم أتردد فى أن أرفع إلى مسامعه الكريمة على التو أننى لم أعثر على شىء من الآثار الذهبية .

فإذا الحكمة تصدر عن جلالته ، إذ تفضل حفظه الله وشرفنى بقوله : « إننا ننفق الذهب على الحفائر ولا ننتظر العثور على الذهب . وإنما يهمنا العثور على ما يجلو لنا ما غمض من تاريخ قدماء المصريين فى الأسرتين الأولى والثانية ، حتى نستطيع الوقوف على سر عظمتهم فى هذا العصر الغامض السحيق » .

ولقد كان لهذا النطق الملكى الكريم تأثير السحر فى نفسى ، مما دفعنى إلى البحث فى قوة وفى أمل ، غير ملتفت إلى أولئك الذين لا يسألون إلا عن الذهب .

ولعل الكثيرين لا يعرفون أن جلالة الملك لا ينفق على هذه الحفائر فحسب ، لكنه يتفضل بتشريف المنطقة بين الحين والحين ، ويتنازل بالتوجيه الكريم والنصح القيم المفيد ، فيشير حيناً باختيار المنطقة الصالحة فعلاً للحفر ، ويأمر حفظه الله حيناً آخر بأن أمضى فى أعمال الحفائر على نظام علمى رتيب ، لتكون النتائج أوفى .

ولجلالته ملاحظات صائبة على ما يراه من القطع الأثرية ، بل إن جلالته يحرص على المقارنة بين بعض القطع المكتشفة حديثاً وبعض القطع المعروضة فى المتحف المصرى بالقاهرة .

إن جلالته على معرفة كاملة بتاريخ ملوك الأسر القديمة وآثارهم ، ويعلم جلالته أن كثيراً من آثار الأسرتين الأولى والثانية لازال مجهولا ، ولهذا فإن جلالته يولى هذه الناحية كثيراً من اهتمامه السامى ، حتى يتسنى لمصر فى حاضرها أن تضيف إلى تاريخها المجيد صفحات لم تنشر بعد . وليست الحفائر الملكية التى أتشرف بإدارتها والتى ينفق

عليها جلالته من جيبه الخاص إلا دليلاً ملموساً على مدى اهتمام جلالته بذلك العصر .

إن جلالة الفاروق حفظه الله حريص كل الحرص على معرفة أنواع القطع الأثرية وتاريخها ، ولجلالته فى هذا مواقف علمية رائعة ، من ذلك أن جلالته شاهد فى متحف حفرياته إناء جميل الصنع من حجر الأردواز الأخضر ، فوقف رعاه الله يقلبه بين يديه الكريمتين برهة ويقارن بينه وبين غيره من القطع . ثم تفضل بقوله لى :

« إن تاريخ هــــذا الاناء يرجع إلى عصر الأسرة الأولى ، لأنها اشتهرت بهذا النوع » .

ثم التفت جلالتــه إلى من حوله وقال : « إن من مميزات القطع الأثرية فى عصر الأسرة الأولى أنها ليست سهلة التقليد لبساطتها ودقة صناعتها ، ولو لم يكن تاريخ هذه القطعة يرجع إلى هذا العصر لقيل عنها إنها حديثة الصنع » .

وقد تفضــل جلالته مرة وشرفنى بقوله : « ربما تعثر على لوحة أخرى للملك « حوراحا » أو « نارمر » فيكون حدثاً غريباً لوجود لوحة أخرى له هنا » .

ولــكن الحظ كان يخبئ لنا مفاجأة طيبــة ، إذ عثرنا على الجزء العلوى من لوحة صغيرة من العاج عليها اسم الملكة « نيت حتب » التى كانت تحكم الوجه البحرى ، والتى تزوجها الملك « حوراحا » الذى كان يحكم الوجه القبلى . وتعــد هذه اللوحة الوحيدة التى تحمل صورة جميلة لوجه الملكة الجميلة التى كان زواجها السبب فى ضم الوجهين ، فأصبحت مصر بذلك مملكة قوية متحدة .

* * *

وإنى أتشرف بأن أرفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول ملك وادى النيل مؤلفى هـذا ، وبه النتائج الباهرة للحفائر الملـكية بحلوان ، وفيها عن حضارة مصر فى عصر الأسرة الأولى والثانية مايستحق إعجاب كل قارئ ، ومايصلح لأن يكون مشعلا ينير الطريق لأهل مصر ، حتى يعودوا إلى ترسم خطوات أجدادهم ، فيصلوا إلى ما كانوا عليه من حضارة عظيمة ، فى عهد حامى نهضة مصر الحديثة ، ومجدد شبابها بفيض شبابه الدافق .

الحفائر الملكية بحلوان

بينما كانت الدول الكبيرة التي تتزعم العالم ترسل طائراتها عام ١٩٤٢ لهدم الدور على من فيها والمدائن على ساكنيها ، وبينما كانت تبعث بالأساطيل الحربية لدك الحصون ومحو معالم الانسانية ، وبينما كانت تسيّر جيوشها الجرارة على المدن العامرة فتحيلها خرابا .

بينما كان هـذا يحدث كان حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، حفظه الله وأيد عرشه وحمى ملكه ، يصدر أمره بحفائر علمية تعمل على نفقة جلالته للبحث عن حضارة مصر فى عصر سحيق ، كى يقف العالم على ما كانت عليه مدنية مصر العظيمة أيام الأسرة الأولى عقب توحيد الوجهين البحرى والقبلى .

نعم ، فعندما رفعت إلى مسامع حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك أن فى منطقة عزبة الوالدة التابعة للخاصة الملكية آثاراً هامة ربما ألقت ضوءاً على تاريخ مصر فى ذلك العصر السحيق ، بادر أعزه الله فأمر مصلحة الآثار المصرية بالبدء فوراً فى إجراء حفائر علمية منظمة على نفقة جلالته الخاصة .

وكان لى عظيم الشرف أن أسندت إلى المصلحة إدارة هذه الحفائر التى بدأت فى يولية ١٩٤٢ ، وما زالت مستمرة حتى اليوم ، بفضل رعاية الفاروق العظيم لها وتشجيعه بزياراته التى كانت تضفى على القائم بها شرفاً أى شرف ، وتحفزه على العمل بهمة لا تعرف الكلال ، وتقوى سواعد عماله ، فيقبلون على الحفر دون ما تعب ولا وهن .

ولقد تم حتى الآن كشف ٩٣٥١ مقبرة ، فيها الكبيرة والصغيرة ، وبيانها كالآتى حسب كل موسم :

الموسم	مـــدته	ما كشف فيه
الأول	من ٨ يوليـــه إلى أكتوبر ١٩٤٢	٧٣٥ مقبرة
الثانى	« أول نوفبر ١٩٤٣ إلى ٣١ مايو ١٩٤٤	١٦٣٢ «
الثالث	« أكتوبر ١٩٤٤ « ٣١ مايو ١٩٤٥	٨٤٧ «
الرابع	« « ١٩٤٥ « ٣١ مايو ١٩٤٦	٦٣١ «
الخامس	« « ١٩٤٦ « ٣١ « ١٩٤٧	٨٢٥ «
السادس	« نوفبر ١٩٤٧ « ٣١ « ١٩٤٨	٥٥٤ «
السابع	« أكتوبر ١٩٤٨ « ٣١ « ١٩٤٩	٧٤٩ «
الثامن	« « ١٩٤٩ « ٣١ « ١٩٥٠	١١٣٨ «
التاسع	« « ١٩٥٠ « ٣١ « ١٩٥١	١٦١٠ «
العاشر	« « ٩٥١ « ٣١ ديسمبر ١٩٥١	٤٨٥ «
الحادى عشر	« ١١ ديسمبر ١٩٥١ ولم ينته بعـد	١٤٥ «
	مجموع ما كشف حتى الآن	٩٣٥١ مقبرة

وكان لنا مما عثرنا عليه فى كثير منها من الآثار النادرة والقطع الفنية الرائعة كنز طيب وقفنا منه على الكثير مما كانت عليه حالة مصر وقتذاك ، من صناعة هى آية الابداع ، ونحت بلغ حد الروعة فى الاتقان ، وعمارة لا أكون مغالياً إن قلت إنها لا تقل عما وصل إليه المعمار الآن بعد خمسة آلاف من السنين .

وإنى إذ أصف بعض ما أنتجته الحفائر الملكية ، يسرنى أن يعرف مصر ، من يطلع على هذا الوصف ، فى عصر مضى عليه أكثر من خمسة آلاف سنة . والفضل فى ذلك راجع إلى الملك العظيم فاروق الأول . ولا غرو فهو حامى العلوم وباعث نهضة مصر الحديثة ، وإن علم الآثار سيظل مطوق العنق بفضل الفاروق وجميله الذى أسداه للعلم ، وبركة تشجيعه للعلماء الذين يصلون الليل بالنهار فى عملهم حتى يكونوا محل ثقة وتقدير من ملك عظيم له فى كل يوم على العلم يد وعلى العلماء أياد .

منطقة الحفائر

تقع منطقة الحفائر الملكية على حافة الصحراء الممتدة من الجنوب الغربى لمبانى المعصرة الجديدة إلى الجهة البحرية من عزبة الوالدة . وتقع هذه المنطقة إلى الشمال الغربى لمدينة حلوان الحمامات .

والمقابر جميعها على حافة الصحراء . ويليها من الغرب منبسط خصب من الأرض الزراعية ، يفصله عن النيل الطريق الممتد من القاهرة إلى حلوان . وشرق المقابر صحراء تمتد حتى سلسلة جبال المقطم (صورة رقم ١) .

والظاهر أن قدماء المصريين اختاروا الصحراء الواقعة فى الحافة الغربية من جبال المقطم من جنوب القاهرة إلى مسافة بعيدة نحو الجنوب لتكون مقابر لموتاهم من أقدم العصور .

وقد قام الدكتور يونكر ، وهو من علماء الآثار الألمان ، بعمل حفائر فى منطقة طرة سنة ١٩١٠ أسفرت عن كشف جبانة كبيرة لعصر الأسرة الأولى ، وقد نشر عنها المؤلف التالى :

Denkscriften
Der
Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften in Wien
Philosophische—Historische Klasse
Band LVI.
I.
Bericht über die Grabungen
Der
Kaiserl. Akademie der Wissenschaften in Wien
Auf Dem
Friedhof in Turah
Von
Hermann Junker
Wien 1912

وكذلك قام العلامة الأثرى بوفييه لابيير بعمل حفائر فى الجهة البحرية من حلوان فى منطقة العمارى ، أسفرت عن كشف جبانة من عصر ما قبل التاريخ فى سنة ١٩٢٠ ، وقد نشرعنها بعض التقارير العلمية وأذيع أحدها فى مؤتمر عقد فى القاهرة سنة ١٩٢٦ (١)

وتقوم مصلحة الآثار المصرية بإتمام العمل فى هذه المنطقة بإشراف المسيو دى بونو الذى بدأ العمل فى سنة ١٩٤٦ لموسمين ، ثم قام بالعمل فى الموسم الحالى من أواخر شهر أبريل سنة ١٩٥١ . وقد أسفرت أعماله عن كشف بعض الآثار التى ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات .

أما جامعة فؤاد الأول فقد بدأت حفائرها سنة ١٩٣٠ فى الجهة الشرقية من ضاحية المعادى ، حيث عثر حضرة صاحب العزة مصطفى بك عامر على بقايا مساكن ومدافن من عصرما قبل الأسرات . وقد نشر عزته كتابين أحدهما سنة ١٩٣٢ والثانى سنة ١٩٣٥ .

---

(1) Paul Bouvier - Lapierre, une nouvelle Station (El-Omari). Au Nord D'Helouan, Extrait du Compte Rendu du Congrès International de Geagra. (Le Caire 1925).

نخرج من هذا بأن الحفر فى هذه الجهات يدلنا على أن قدماء المصريين كانوا يختارون أماكن مرتفعة جافة لدفن موتاهم فيها ، حتى لا يتطرق البلى إلى أجسادهم فلا يمكن للروح أن تتعرف إلى صاحبها بعد دفنه إذا ما أرادت أن تعود إليه حين البعث الذى كان عندهم عقيدة ثابتة .

ولما لم تكن طريقة دفن الموتى على هذه الطريقة تفى بما يبغون فإننا نراهم قد فكروا فى تحنيط الجثث . وأول محاولة لهم اكتشفت فى الأسرة الثالثة . ومن ثم أخذوا فى تحسين طريقة التحنيط حتى بلغت أوجها فى الأسرة الثامنة عشرة ، حيث بلغ الاتقان فى فن التحنيط الذروة ، بحيث نرى جثث الملوك التى حنطت فى هذا الوقت محتفظة بكل مميزاتها ، فالشعر والوجه وملامحه ولون الجلد باقية إلى حد كبير.

أون أو عين شمس

إن للدكتور يونكر العالم الأثرى الألمانى نظرية حققتها الحفائر الملكية بحلوان . وهذه النظرية هى أن منطقة حلوان الحالية كانت تقوم فيها قبل توحيد القطرين عاصمة الاقليم ، واسمها « أون » أو « عين شمس » . وعندما أنشئت « منف » أو « منفيس » على الضفة الغربية للنيل ، حيث توجد أطلالها إلى الآن إلى الجنوب الشرقى من قرية العزيزية وإلى الغرب من البدرشين ، عندما أنشئت هذه المدينة العظيمة فى عهد الملك حوراحا،فقدت أون عظمتها، نتيجة لوجود العاصمة الجديدة . وبعد أن تركها أهلها أنشئت بديلة لها تحمل نفس الاسم فى الجهة البحرية بجوار المطرية ، وظلت تتسع حتى ازدهرت فى وقت كانت فيه جامعتها كعبة للراغبين فى العلم والمعرفة من بلدان كثيرة ، وقد تعلم فيها بعض من ذاع صيتهم من أعلام بلاد اليونان .

ولكن أين مكان أون بالضبط ؟ يقول بعض علماء الآثار إن أطلالها ستوجد حتماً . ولكنى أقول إن المدن المصرية القديمة لم تندثر تماماً ، بل كانت تعمر منازلها منزلاً بعد منزل إن أصاب أحدها تلف ، فإذا انهار أحد المنازل بنى مكانه آخر ، وإذا انهار من منزل أحد حوائطه بنى مكان هذا الحائط حائط آخر ، وهكذا . والدليل على ذلك أن القرى فى الريف لم تتغير ولم تهجر ، وبذلك لم تدرس معالمها .

ودليلى على ما أقول هو أن العادات المصرية التى كانت متبعة أيام قدماء المصريين فى مختلف العصور ما زالت متبعة مع تغيير طفيف . وإذا نحن شاهدنا المقابر فى سقارة

مثلا رأينا الرسوم على جدرانها وكأنها سجل يبين لنا كثيراً من عادات ما زالت متبعة حتى الآن .

وإنى لأذكر أنى عندما كنت صغيراً ، وكنت أقيم فى الريف، كانت عادتنا فى تلك السن أن نقوم ببعض الألعاب الشائعة بين من كانوا فى مثل سننا . وعندما تخرجت فى الجامعة وعملت فى حفائر سقارة كان على أن أقوم بدراسة بعض المقابر . وكم كانت دهشتى عظيمة عندما شاهدت منظرين لأطفال يلعبون لعبة بذاتها ممثلين على جدران مقبرتين يرجع تاريخ إحداها إلى الأسرة الخامسة ويرجع تاريخ الثانية إلى الأسرة السادسة ، وقد أثار دهشتى أن هاتين اللعبتين بالذات كانتا من بين الألعاب التى كنا نمارسها فى أيام الصغر !

وقد قمت بعمل بحث علمى عن هذه اللعبة وكيف أنها هى نفس اللعبة التى لعبناها . وقد مضى عليها أكثر من ٤٥٠٠ سنة ، وأكثر من هـــذا أن النص الذى صاحب المنظر باللغة المصرية القـــديمة كان هو نفس الكلام الذى كنا نقوله نحن إبان القيام بهذه اللعبة[١] .

وتوجد غير هذه اللعبة كثير من مثيلاتها كنا نقوم بهـا ولا تزال فى اعتقادى شائعة حتى اليوم فى الريف .

هذا يدلنا دلالة واضحة على أن ريف مصر لم يتغير فيه غير اللغة . أما العادات والمعـاملات ، وحتى طريقـة الزرع ، فإنها هى لم تتغـير مع مرور الآلاف من

(1) Zaki Y. Saad, Annale du Service, Tome XXXVII pp. 212 - 218, Kazza Lawizza

السنين . والذى كان يتأثر ويتغير حسب الشعوب التى حكمت مصر هو المدن الكبيرة ، حيث يختلط الغزاة بالسكان . أما الريف فقد حافظ على طابعه المصرى القديم .

فإذا كان هذا الدليل الذى سقته للقارئ الكريم لا يؤكد ما أقول فإنه إن تأمل قليلاً فى بعض ألفاظ وكلمات لا تزال باقية فى اللغة العربية رغم غرابتها لوجدها مصرية قديمة من أيام قدماء المصريين ، دخلت فى اللغة العربيـــة ، أو لم يجد الشعب مندوحة من استعمالها لأنه لم يستطع الاستغناء عنها ، رغم ما تتميز به اللغة العربيـــة من وفرة كلماتها ومترادفاتها .

وكما أن هذه الألعاب والكلمات ظلت طول هذه الأجيال ، كذلك عاشت القرى والمدن فى أماكنها لم تتغير وإن تغيرت معالمها ، ولم تتبدل وإن تبدلت منازلها .

وعلى ذلك فإن موضع « أون » قد يكون الآن مكان إحدى المدن القائمة فى المنطقة الممتدة من المعادى إلى حلوان .

مدينة حلوان

يقول المقريزى أحد مؤرخى العرب : « يقال إن حلوان اسم أحد قواد العرب المسمى حلوان بن بابيلون بن عمرو بن أمير القيس ملك مصر ابن سبأ بن زكوب بن جاهوب بن قحطان . وقد عاش حلوان فى سوريا رئيساً للحرس الامامى فى براها »(1) .

ويقول عبد الحكم المؤرخ فى صدد مدينة حلوان : « عندما تفشى الطاعون فى الفسطاط ترك عبد العزيز بن مروان المدينة وأقام فى حلوان فى الصحراء عند مكان يدعى أبو قرقورة ، حيث حفر عيناً للماء ليروى منها أشجار النخيل التى غرسها فى حلوان » .

ويقول المؤرخ العربى المسمى الكندى : « انتشر وباء الطاعون فى مصر عام ٧٠ هجرية (أى ٦٩٠ ميلادية) فترك عبد العزيز بن مروان المدينة وسار إلى الشرق . وعندما وافقه المكان بقى فيه ، وأبقى جنده هناك ، وكذلك الحرس والشرط . وبنى عبد العزيز هناك مساجد وقصوراً ، وعمر الاقليم بالناس ، وغرس أشجار النخيل والعنب التى تغنى بها الشعراء . وكان عبد العزيز الذى غرس النخيل يأكل ثمارها مع جنده ، ويسير تحت ظلالها دائماً ، ويقيم قرب العيون » .

وعندما ترك مروان والد عبد العزيز مصر فى رجب سنة ٦٧ هجرية (أى ٦٨٧م). خلفه ابنه عبد العزيز على حكم مصر . وقد مات مروان فى شهر رمضان وخلفه ابنه

---

(1) Dr. W. Reil, Physician and Director of the Baths, the Salino - Sulphureous Thermal Springs of Helouan, Cairo, Printed by Delbos – Demouret 1874 .

عبد الملك على حكم سوريا ، ولكنه أبقى عبد العزيز حاكما على مصر ، وقد مرض عبد العزيز ومات يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ٨٦ هـ (سنة ٧٠٦ م) وقد حمل جثمانه فى النيل من حلوان إلى الفسطاط حيث دفن ، واستمر حكمه ٢٠ سنة وعشرة أشهر و١٣ يوما .

هذه معلومات المقريزى استقاها من مؤرخى العرب الذين سبقوه من أمثال عبد الحكم وابن الكندى .

ويزعم عبد الحكم والكندى والمقريزى أن حلوان سميت على اسم القائد المدعو حلوان بن بابليون بن عمرو إلخ . وكأن هذه المدينة لم يكن لها وجود قبل ذلك .

وإنى مع احترامى لرأى أولئك المؤرخين أخالف ماذكروه فى شأن حلوان وتسميتها وإنشائها ، بدليل وجود دير من عصر سابق لدخول العرب مصر وغزوهم لها ، وكذلك كان الرومان يعرفون حلوان ، وسبق لهم أن جاءوا إليها بجمالهم لمعالجتها من الجرب .

وليس من المعقول أن يأتى عبد العزيز بن مروان عندما تفشى الطاعون فى الفسطاط ليقيم فى صحراء قفرة ، بل من المنطق أنه أتى إلى حلوان وأقام فيها ثم أدخل عليها تحسينات وزاد فى مبانيها ، وشجع الناس على الإقامة فيها وتعميرها .

وكان الدير الذى كشفنا عنه فى حلوان من الأديرة الكبيرة ، إذ يحوى أكثر من ست وستين حجرة موزعة على جوانبه الأربعة ، وفى الجهة القبلية منه كنيسة متوسطة الحجم ، وقد قسم فناء الدير إلى عدة أقسام ، ففى الجهة البحرية منه آثار أشجار كانت بمثابة حديقة ما زالت بعض أجزاء من القنوات التى كانت تستعمل لريها باقية ، وقد بنيت بالطوب الأحمر . وفى الجهة القبلية مقبرة الدير التى كان يدفن فيها الرهبان ، وقد عثرنا مع

إحدى الجثث على خاتم من الفضة مخروطى الشكل وقاعدته مستديرة ، وقد كتب على هذه القاعدة اسم صاحب الخاتم وكان يدعى « قزمان » ، وأغلب الظن أنه كان كبير الرهبان لانفراد مقبرته بالفخامة ، كما أن الخاتم الذى كان يصنع من الفضة فى هذا العصر لا يمكن أن يكون لراهب عادى .

وقد كان فى فناء الدير غير الحديقة خزان كبير لحفظ المياه ، وبجانبه حمام كبير للسباحة ، كما كانت الحديقة تروى من حوض تخرج مياهه من فتحات على هيئة رؤوس الأسود .

وقد ذكر الشابوشتى وأبو صالح من مؤرخى العرب أن عبد العزيز بن مروان أقام عند حضوره إلى حلوان فى هذا الدير مدة ثم أمر بعد ذلك ببناء القصور للاقامة فى حلوان نهائياً .

ولعل ما ذكره أبو صالح والشابوشتى يكمل ما ذكره المقريزى ويجعل حضور عبد العزيز بن مروان وإقامته فيها معقولا لوجود الدير المذكور . كما أن تاريخ هذا الدير يرجع إلى العصر البيزنطى استناداً إلى ما وجد فيه من أوانى الفخار وكذلك قطع الزجاج ، كما يؤكد اعتراضى على ما يقوله المقريزى فى تسمية حلوان .

ومن الثابت أن هذا الدير استمر عامراً مزدهراً إلى ما بعد سنة ١٥٢ هجرية على الأقل لعثورنا فيه على قطع من العملة من الذهب والبرنز يبتدئ تاريخها من سنة ٧٩ إلى سنة ١٥٢ هجرية .

وقد أعيد تخطيط حلوان الحالية حوالى سنة ١٨٧٢ على النظام الموجود بها الآن من شوارع وميادين ، كما عثر فى سنة ١٨٦٩ على الحمام الذى كان بناه عبد العزيز بن مروان سنة ٦٩ هجرية تقريباً .

وإن وجود جبانة من عصر الأسرة الأولى ، وكذلك بعض الآثار من عصر ما قبل التاريخ بالقرب من حلوان ، وكذلك وجود عاصمة الإقليم القديمة « أون » فى هذه المنطقة يجعلنى أميل إلى الاعتقاد أن اسم حلوان كان فى الأصل اسماً مصريا قديما حرف بعد ذلك إلى حلوان .

والمرجح أن حلوان كانت ضاحية من ضواحى « أون » أو عين شمس القديمة ، وكانت تعرف فى هذا الوقت باسم « حرأون » أى البلدة التى تعلو العاصمة « أون » ، ولما كانت أغلب المدن القديمة قد حرفت أسماؤها باستعمال اللغة العربية فليس يبعيد أن تكون حلوان هى فى الأصل « حرأون » ولما حرفت نطقت حلوان .

وهذا ما حدث بالضبط لساحل أثر النبى فى مصر القديمة فقد كان أيام مصر الفرعونية يدعى « حاتور نبت » أى «الإلهة حاتحور» .

وعلى كل حال فإن البحث فى بطن الأرض هو الذى يكشف عما تكنه من عظمة درست وأسرار لابد من الوقوف عليها ما دامت الحفائر قائمة والعمل المنظم على الطرق العلمية مستمراً لا ينقطع .

وليس أدل على أهمية الحفائر الملكية مما كشف فيها من مبان وأدوات جنائزية صنعت من معادن مختلفة . وأرى أن نبدأ بوصف بعض ما كشفنا عنه وتقديمه مدعماً بالصور والرسوم ، فهى خير شاهد وأوفى دليل .

ويتضمن هذا المؤلف الأبواب التالية :

الباب الأول

(المبانى)

استعمال الطوب الأخضر — استعمال الحجر وتطوراته .

الباب الثانى

(الصناعة)

١ — أوانى الفخار ٢ — الأوانى الحجرية ٣ — النحاس ٤ — الصوان
٥ — سن الفيل (العاج) ٦ — الصوف ٧ — الخشب .

الباب الثالث

(الحياة الاجتماعية)

١ — الملابس ٢ — تصفيف الشعر ٣ — أدوات الزينة ٤ — الأمشاط
٥ — الأحمر والكحل ٦ — الحلي ٧ — الأطعمة والمشروبات ٨ — الكراسى والموائد والأسرّة ٩ — الزراعة وخزن الحبوب ١٠ — صيد الحيوانات والسمك ١١ — الحرب
١٢ — أوقات الفراغ .

الباب الرابع

(الكتابة)

١ — أدوات الكتابة ٢ — المحابر والأقلام ٣ — طريقة الكتابة .

الباب الخامس

(الديانة)

١ — الآلهة المختلفة ٢ — المراكب الجنائزية ٣ — موضع اللوحة الجنائزية
٤ — الباب الوهمى.

الباب السادس

(دفن الموتى)

١ — طريقة الدفن ٢ — التوابيت ٣ — الحيوانات.

الباب السابع

(الخاتمة)

المبانى

المبانى بالطوب الأخضر :

ليس هناك جدال فى أن شعب مصر إبان الأسرة الأولى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد كان شعباً عظيما راقياً إذا قيس بالشعوب الأخرى فى ذلك الوقت السحيق ، وإن نظرة عابرة إلى مبانيهم التى كشفت عنها الحفائر الملكية بحلوان تجعلنا نجزم بأنهم كانوا فى البناء على شيء كثير من فن العمارة .

وليست المقابر إلا منازل هؤلاء القوم فى العالم الآخر قاموا بتشييدها لتكون مثواهم حتى البعث ، فكان على كل فرد أن يبنى لنفسه مقبرة تتناسب ومنزلته الاجتماعية ، فإن كان ذا جاه وثروة بنى قبره بإحكام وفخامة تشهد على ما كان لصاحبه من مركز كبير . أما داخل المقبرة فى هذه الحالة فكان متعدد الحجرات كى توضع فيها حاجاته الكثيرة المتعددة الألوان التى يجب أن تكون فى متناول يد صاحبها فى حياته الثانية حتى يهنأ ، فقد كانوا يعتقدون أن الحياة الآخرة هى الحياة الحقة الطويلة التى يجب الاستعداد لها بكل الوسائل ، وكان التقصير فى تجهيزها التجهيز الواجب يعد من الكفر وعدم الإيمان بما هم صائرون إليه من حياة سعيدة طويلة لا تقاس بها الحياة الأولى على الأرض .

أما إن كان الميت فقيراً معدماً فانه كان يدفن فى حفرة بسيطة فى جوف الأرض . ولكنهم مع ذلك كانوا يضعون بعض الأوانى والأشياء حول الجثة حتى يتمتع بها فى حياته الثانية .

فالمقبرة رقم ١٣٧١ ح[٢] (حلوان ـ الموسم الثانى) مقبرة كبيرة مبنية بالطوب الأخضر لها سلم يبتدئ من الجهة الغربية إلى الشرق مسافة سبع درجات وطولها قرابة ثلاثة أمتار ، ينتهى بدرجة كبيرة (بسطة) مساحتها متر مربع ومن ثم ينحدر إلى الجهة القبلية مسافة سبع درجات يبلغ طولها أربعة أمتار . والدرج مبني من الطوب الأخضر مثل الجدران المحيطة به وقد طليت جميعها بالجير الأبيض .

وينتهى الدرج بدهليز طوله ثلاثة أمتار وعرضه نحو متر ، وفى هذا الدهليز باب فى الجهة الشرقية يوصل إلى مخزن وجد مليئاً بصوامع كبيرة من الفخار وضعت بينها أوانٍ كثيرة من الفخار الصغير ، وفى الجهة الغربية من الدهليز باب آخر يوصل إلى مخزن ثان وجدت به أربع صوامع من الفخار ومعها قليل من الأوانى الصغيرة . وتبلغ سعة المخزن الغربى ثلاثة أمتار من الجهة البحرية إلى الجهة القبلية وثلاثة أرباع المتر فى العرض . أما المخزن الشرقى فتبلغ مساحته أقل من ثلاثة أمتار طولا وحوالى متر عرضاً (صورة رقم ٢) .

وينتهى الدهليز من الجهة القبلية بباب يصل إلى حجرة الدفن ، وقد أغلق هذا الباب بكتلة ضخمة من الحجر الجيرى الأبيض ، لتكون جثة صاحب المقبرة فى أمان من عبث اللصوص ، غير أن لصوص المقابر لم تكن لهم حاجة بالباب ليصلوا منه إلى حجرة الدفن ، بل كانوا يعمدون إلى الجزء المجاور لسقف المقبرة فيحفرون فيه حفرة تكون طريقهم إلى المكان المنشود .

وحجرة الدفن فى هذه المقبرة كانت متسعة ، إذ يبلغ طولها ٥٨٠ سم وعرضها ٣٢٠ سم وارتفاع جدرانها ٣٥٠ سم ، وقد وضعت ثلاث كتل من الحجر الجيرى

الأبيض بمثابة بلاط لأرضية الحجرة ، الأمر الذى لم يكن معروفا فى ذلك العصر السحيق (صورة رقم ٣) .

وهذا يدلنا على ما كان عليه صاحب هذه المقبرة من المركز الذى أيده وجود بعض سدادات من الطين مما كان يستعمل لسد فوهات الأوانى الفخارية الكبيرة (وهذه الطريقة تماثل سدادات البلاليص حتى وقتنا هذا) . وكانت منقوشة على إحدى جهات هذه السدادات نقوش باللغة المصرية القديمة ذكر فيها اسم الملك « عدجيب » أو « أدزيب » سادس ملوك الأسرة الأولى ، وعلى الجهة الثانية نقوش أخرى تتضمن اسم صاحب المقبرة . ولكن لما كانت عليه هذه السدادات من حالة سيئة لم نتمكن من معرفة الاسم (صورة رقم ٤) .

ونخلص من هذا إلى أن صاحب هذه المقبرة كان من كبار موظفى مصر فى عصر ملكها « عدجيب » أو « أدزيب » . ولما كانت من المقابر الكبيرة فإن أيدى اللصوص امتدت إليها ولم تترك فى حجرة الدفن إلا الأوانى التى لم تكن لهم بها حاجة إذ كان غرضهم الوحيد الحصول على الأدوات الجنائزية الغالية المصنوعة من الذهب .

والمقبرة رقم ١٣٧٤ ح٢ وجدت مهدمة بفعل حفر ترعة الخشاب القديمة أولا ، ثم أولئك الذين كانوا يبحثون عن السباخ لوضعه فى التربة الزراعية لتقوية الأرض وتسميدها فقد هدموا جزءا كبيراً من مبانى المقبرة . ونرى مما بقى من هذا الجزء الذى كان ظاهراً على سطح الأرض أنها كانت مبنية بطريقة هندسية بديعة ذات دخلات وخرجات (صورة رقم ٥) يحيط بها سور خارجى يفصله عن الجزء الداخلى ممر على طول جدران

المقبرة الأربعة ، وهذا يشبه مقبرتى الوزير « حما كا » والملك « حوراحا » اللتين كشفتا فى سقارة سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٣٧[1].

والسلم الموصل إلى هذه المقبرة يبتدئ من الجهة الغربية منحدراً إلى الجهة الشرقية بدرج مبني بالطوب الأخضر وينتهى فى حجرة الدفن (صورة رقم ٦) التى بنيت من الطوب الأخضر ، وقد بنى فى الجهة القبلية منها وعلى مستوى يرتفع عن أرضها مخزنان أحدهما فى الجهة الشرقية والآخر فى الجهة الغربية .

وعند الكشف عن هذه المقبرة وجدنا جدران حجرة الدفن والمخزنين والجزء السفلى من السلم محروقة حتى إن الطوب الأخضر فى هذه الأماكن قد تحول إلى طوب أحمر مما يدل على شدة الحريق . وقد عثرنا فى المخزن الواقع فى الجهة الغربية على ممر حفره اللصوص من سطح الأرض خارج السور إلى هذا المخزن ، كما وقفنا على سبب الحريق إذ ترك اللصوص بعد أن انتهوا من السرقة سراجهم الذى كانوا يستعملونه لإنارة طريقهم . ولما كانت هذه المقبرة ذات سقف من الخشب فقد اتصل السراج بالخشب وسبب الحريق .

وبفحص السراج الذى كان يستعمله اللصوص عرفنا أن هـذه السرقة حدثت فى العصر اليونانى الرومانى ، لأن السراج من صناعة هذا العصر الذى تفشى فيه السطو على المقابر وسرقة محتوياتها .

والمقبرة رقم ٧٨٥ ح° مقبرة من المقابر الكبيرة التى بنيت بالطوب الأخضر ،

(1) W. B. Emery and Zaki Y. Saad, Excavations at Saqqara, The Tomb of Hemaka and The Tomb of King Hor-Aha.

ويصل من الخارج إلى حجرة الدفن سلم يبتدئ من الجهة الغربية منحدراً إلى الجهة الشرقية ، وقد بنيت درجاته من الطوب الأخضر بعنـــاية تامة ، وطوله ٩٠٠ سم (صورة رقم ٧) ، وينتهى الدرج بباب يصل إلى دهليز طوله من الشرق إلى الغرب حوالى ٢٥٠ سم وعرضه ١٢٠ سم ، وفى الجهة البحرية منه مخزنان نصل إليهما ببابين ، وفى الجهة القبلية باب يصل إلى حجرة الدفن التى تبلغ مساحتها ٥٢٠ سم طولا و ٣٢٠ سم عرضاً وارتفاعها ٢٧٠ سم .

وقد كان فوق المخزنين اللذين وجـــدا فى الجهة البحرية أربعة مخازن صغيرة (صورة رقم ٨) . ولما كانت المقبرة قد وجدت فى حالة تهدم فلا نستطيع أن نعرف معرفة يقينية هل كانت هناك مخازن أخرى فى هذا المستوى فوق حجرة الدفن أم لا . ويرجع سبب التهدم إلى حريق كبير شب فى المقبرة بعد سرقتها . إلا أنه من الثابت وجود عدد من المخازن فى الجزء الظاهر فوق سطح الأرض ، إذ بقى منها أربعة ، وهذا الجزء من المقبرة هو الذى أطلق عليه علماء الآثار اسم « مصطبة » .

والمصطبة فى هذه المقبرة يبلغ طولها من الجهة البحرية إلى الجهة القبلية حوالى ٢٠ متراً ، ومن الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية حوالى ١٢ متراً .

ومن المرجح أن المخازن التى كانت فى هذا الجزء عددها أربعــة عشر فى صفين فى كل منهما سبعة مخازن . وكان للمصطبة سور خارجى يفصله عنها ممر حول جدرانها الأربعة ، ونرى السلم خارج هذا السور (صورة رقم ٩) .

وقد وجدنا فى الجهة الغربية من المصطبة فى الجزء القبلى الباب الوهمى الذى لم يكن يوجد إلا فى الجهة الشرقية من المقبرة بدون استثناء . ولــكن هذه الظاهرة وجدت

فى مقابر متعددة كشفناها فى الحفائر الملكية بحلوان (صورة رقم ١٠) .

وتعد هذه الظاهرة كشفا جديداً له أهمية فائقة فيما يتعلق بالديانة ، وسيجىء الكلام عن قيمته عند الكلام عن الديانة فى عصر الأسرة الأولى .

ويبلغ طول هذا الباب الوهمى من الجهة البحرية إلى الجهة القبلية ٢٠٠ سم وعرضه حوالى ٨٠ سم .

وهناك ظاهرة ثانية تعد على جانب عظيم من الأهمية وهى العثور على خمسة أوان من الفخار وضعت أمام الباب الوهمى مدفونة فى الأرض بحيث لا يظهر إلا فوهاتها (صورة رقم ١٠) .

ومن المعروف أننا كنا نجد مكان هذه الأوانى مائدة القرابين فى الأسرة الثانية ، وهى من الحجر وقد نقشت عليها فى بعض الحالات رسوم قرابين كانت تقدم كى تتمتع بها روح صاحب المقبرة .

والتعليل لوجود هذه الأوانى أنها كانت تحوى القرابين التى كانت توضع لتكون فى متناول يد صاحب المقبرة ، ولكنها قرابين حقيقية وليست رمزية كما جاء فيما بعد .

ونخلص من وصف هذه المقبرة بأنها كانت مقبرة عظيمة البناء ذات ثلاث طبقات : الطبقة الأولى وتحوى حجرة الدفن يفصلها دهليز عن مخزنين فى الجهة البحرية ، والطبقة الثانية أربعة مخازن فوق المخزنين ، والطبقة الثالثة الجزء العلوى الذى كان فوق المقبرة والمخازن السفلية ويعرف باسم المصطبة ، وكان يحتوى على أربعة عشر مخزنا ، وكان سقف المقبرة والمخازن وكذلك درج السلم من كتل الخشب الذى وجد محروقا وقد تحول كثير من كتله إلى فحم .

وهناك المقبرة رقم ٤٢٣ ح ٩ وتعد أكبر مقبرة عثرنا عليها فى المنطقة ، وقد بنيت بالطوب الأخضر ، وهى مكونة من حجرة الدفن تتوسط مخزنين فى الجهة البحرية ومخزنين فى الجهة القبلية ، وجميع الجدران كانت ناعمة ملساء وقد طليت باللون الأحمر الذى بقيت منه بعض الآثار ظاهرة فى كثير من الجوانب ، وكان لهذا الجزء سقف من كتل الخشب رصت فوقه كتل الحجر (صورة رقم ١١) كى تكون حجرة الدفن والمخازن فى أمان من عبث اللصوص ، ولكن اللصوص استطاعوا الوصول إليها بحفر طريق من خارج سور المقبرة من الجهة الشرقية وطريقين آخرين من الجهة الغربية .

وقد وجدت حجرة الدفن والمخازن مسروقة ، ولم ينج من السرقة إلا مخزن واحد فى الجهة الغربية القبلية عثرنا فيه على جميع محتوياته من أوانٍ صنعت من الفخار وفازات وأطباق صنعت من الألبستر والأردواز مصنوعة بدقة وعناية فائقة ، كما عثرنا على قطعة من سدادة صنعت من الطين لبعض الأوانى نقش عليها اسم الملك « دن » أو « أوديمو » خامس ملوك الأسرة الأولى ، مما يدل على أن صاحب هذه المقبرة كان من كبار موظفى هذا الملك .

وتبلغ سعة حجرة الدفن حوالى ٤١٠ سم فى الطول و ٢١٠ سم فى العرض وارتفاعها حوالى ٣٨٠ سم ، والمخزن الغربى فى الجهة القبلية يبلغ طوله ١٤٥ سم وعرضه ٩٥ سم وارتفاعه ٣٨٠سم ، والمخزن الشرقى يبلغ طوله ١٦٠سم وعرضه ١٤٠سم وارتفاعه ٣٨٠سم ، والمخزن القبلى فى الجهة البحرية يبلغ ١٣٠ سم فى الطول و ٩٥ سم فى العرض و ٣٨٠ سم

فى الارتفاع . ولم يكن هناك سلم يصل إلى حجرة الدفن ، وهذا النظام وجد له مثيل فى مقابر كثيرة .

والجزء الظاهر فوق سطح الأرض ، وهو المعروف بالمصطبة ، كان مكونا من مبنى مستطيل له دخلات وخرجات فى الجهات الأربع تهدم كثير منها (صورة رقم ١٢) ، ويبلغ طول ضلع المصطبة من الجهة البحرية إلى القبليـــة حوالى ٤٠ متراً ومن الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية حوالى ٢٥ متراً ، ويبلغ سمك جدران المصطبة حوالى ٢٥٠ سم .

وكانت المصطبة من الداخل خالية (صورة رقم ١٣) إلى أن دفن فيها صاحبها ووضعت معه أدواته الجنائزية ، وبعد ذلك ردمت بالأتربة . ولا نستطيع أن نتكهن عن ارتفاعها لهدم جزء منها ، أما الجزء الذى بقى فارتفاعه يبلغ ٢٥٠ سم .

وحول المصطبة سور خارجى على جهاتها الأربع طوله من الجهة البحرية إلى القبلية ٤٥ متراً ومن الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية ٢٧ متراً ، وبين السور الخارجى والمصطبة ممر يلف حول جهاتها الأربع ، وعرض هذا الممر فى الجهة القبلية ١٠٠ سم أما عرضه فى الجهات الثلاث الباقية فهو ٩٥ سم .

وقد أعد صاحب المقبرة لنفسه مركبا من الخشب طوله حوالى ١٢٫٥ متر دفنه فى الجهة البحرية ليكون تحت تصرفه عندما ينضم به إلى موكب الإله « رع » فى رحلته حول الأرض (صورة رقم ١١٣) .

ونرى من فخامة بناء هذه المقبرة ومساحتها وتجهيزها بالمركب الجنائزى أن صاحبها

كان من ذوى المراكز الممتازة فى عصره ، ولما كان هناك قطعة من سدادة لإحدى الأوانى وعليها اسم الملك « دن » أو « أوديمو » خامس ملوك الأسرة الأولى استطعنا أن نجزم بأن هذا الرجل كان من كبار الموظفين فى عهد هذا الملك .

هذه أمثلة لبعض المقابر التى بنيت بالطوب الأخضر ، رأينا أن نعرضها كى يقف على فن العمارة فى هذا العصر من يريد معرفة شىء عن حضارة مصر فى الأسرة الأولى فى هذه الناحية ، ونرى أن فن البناء كان متقدما ، فليس هناك أى خطأ فى المبانى من أية ناحية سواء فى التخطيط أو فى الزوايا ، فكلها تشهد شهادة ناطقة بإتقان المهندس الذى قام بالتخطيط والبنّاء الذى قام بالتنفيذ .

ولما كانت المقابر هى صورة من المنازل عرفنا أن هؤلاء القوم كانوا يسكنون فى منازل مبنية بإتقان ومهارة ، لاتنقصها عظمة مبانى هذه الأيام ولا إتقانها .

المبانى بالحجر :

لم يقتصر المصرى فى الأسرة الأولى فى مبانيه على الطوب الأخضر ، ولكنه استعمل الحجر الجيرى الأبيض كذلك . وقد عثرنا على عدد من المقابر بنى بالحجر ، وأماط لنا هذا الكشف اللثام عن سر كان يحير الكثيرين من رجال الآثار .

فمن يزور سقارة ويشاهد مبانى هرم الملك زوسر يعجب كيف بدأ المصرى فى الأسرة الثالثة فى بناء كهذا بلغ فى إتقانه حداً أدهش العالم ، فليس من المعقول أن تكون البداية على هذه الدرجة الفائقة من الإتقان ، إذ لابد لها من خطوات تتدرج فيها خطوة خطوة حتى تبلغ هذا الشأو .

وفى الحفائر الملكية بحلوان وقفنا على هذه الخطوات التى فسرت لنا ما كان غامضاً غير مفهوم ، بكشفنا عن مقابر بنيت من الحجر بالطريقة التى يرجح أن تكون قد اتبعت فى مستهل استعماله ، ثم تدرجت بعد ذلك إلى أن بلغت حد الإتقان بل حد الإعجاز الذى نشاهده فى مبانى هرم سقارة المدرج .

وإن الكشف عن مقابر كثيرة فى منطقة الحفائر الملكية بحلوان ، بنيت حجرات الدفن فيها ومخازنها والسلالم الموصلة إليها بكتل كبيرة من الحجر الجيرى الأبيض وقد نحتت وصقلت ، لهو أول شيء من نوعه فى الأسرة الأولى ، فقد كانت الفكرة السائدة عند رجال الآثار أن قدماء المصريين بدأوا استعمال الحجر فى الأسرة الثالثة باستعمال كتل صغيرة منه ، وفى الأسرة الرابعة بدأ استعمال الكتل الكبيرة . وكل الذى كنا نعرفه قبل الأسرة الثالثة أن المصريين استعملوا الحجر فى رصف أرضية مقبرة الملك « دن » أو « أوديمو » خامس ملوك الأسرة الأولى ، فقد رصفوها بالجرانيت ، كما وجدت الحجرة الوسطى بمقبرة الملك « خاسخمورى » آخر ملوك الأسرة الثانية مبنية بالحجر الجيرى الأبيض (١) .

فالمقبرة رقم ١ح٣ وجدت حجرة الدفن بها والسلالم الموصلة إليها مبنية بالحجر الجيرى الأبيض (صورة رقم ١٤) .

وقد استعمل الحجر فى بناء حجرة الدفن بوضع الكتل الواحدة بجوار الأخرى رأسية ، وكان حجم الكتلة ٣٠٠ سم فى الارتفاع و١٢٠ سم فى العرض وحوالى ٣٠ سم

---

(1) Etienne Drioton, Les Peuples de L'Orient Méditerranéen, II. L'Egypte, p. 152.
كتاب « تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسى » ، تأليف الأستاذ جيمس هنرى بريستد ، وترجمة الدكتور حسن كمال ، صفحة ٢٧ ، شكل ٢٥

فى السمك ، وطول حجرة الدفن حوالى ٦٠٠ سم وعرضها حوالى ٤٢٠ سم وارتفاعها حوالى ٣٠٠ سم . وهناك سلم يصل إلى حجرة الدفن بنيت درجاته من الحجر ، وكذلك جدرانه ، ويبتدئ السلم من الجهة الغربية ، وطول هذا الجزء حوالى ٤٠٠ سم ، ينتهى بدرجة كبيرة « بسطة » مساحتها حوالى ١٢٠ سم × ١٠٠ سم ، ومن هذه الدرجة يتجه السلم إلى الجهة القبلية ، ويبلغ طوله حوالى ١١٢٠ سم . وفى الجهة الشرقية من السلم مخزنان يقابلهما مخزنان آخران فى الجهة الغربية .

أما الجزء العلوى من المقبرة فقد وجد مهدما ، وقد وجدت على طول الجهة الشرقية وكذلك الغربية منه حفر مستديرة يبلغ طول قطر كل منها حوالى ٧٠ سم ، وكانت جميعها مليئة بطمى النيل ، وقد حفرت على مسافات متساوية بين الواحدة والأخرى حوالى ٢٠٠ سم . والتعليل لوجود هذه الحفر هو أنها كانت لأشجار غرست على جانبى المقبرة كما هو الحال عندنا فى المقابر الحديثة .

وليس من شك فى أن صاحب هذه المقبرة كان له من مركزه الكبير ما يسمح له ببناء مثل هذه المقبرة الكبيرة وأن يقطع لها الأحجار من الجبل .

ولعل صقل هذه الكتل لم يكن ليتيسر إلا لرجل من ذوى المراكز الكبيرة ، وليس قطع الحجر ولا صقله بالشىء الصعب بالقياس إلى حمل هذه الكتل الضخمة مسافة طويلة عبر الصحراء من مكانها بالجبل إلى موضع المقبرة على حافة النيل .

وهناك المقبرة رقم ٤٠ ح وجدت مبنية بالكتل الحجرية الكبيرة أيضاً ، وكذلك السلم الموصل إلى حجرة الدفن بها والمخزنان (صورة رقم ١٥) ، وأغلب الظن أن هذه المقبرة بنيت بعد الأولى ، لأن التحسين الذى أدخل عليها فى طريقة وضع الكتل رأسية

مثل الوضع فى الأولى قد زيد عليه وضع كتل أخرى مستعرضة لتكون بمثابة ركائز على شكل وزره تمنع الكتل الرأسية من الانزلاق (انظر نفس الصورة أسفل حجرة الدفن)

وقد بنى سلم للوصول إلى حجرة الدفن صنعت درجاته وكذلك جدرانه من الحجر ، ويبتدىء هذا السلم من الجهة البحرية وتنحدر الدرجات إلى الجهة القبلية ، حيث نجد سداً يليه آخر ، وقد صنعا من كتلتين من الحجر ، وهذان السدان وضعا كى يكون القبر فى أمان من السرقة فلا تمتد أيدى اللصوص إلى جثة صاحبه ، ولكن مع هذا الاحتياط فقد توصل اللصوص إلى حجرة الدفن من حفرة وجدت فى أسفل الجدار الشرقى.

وتبلغ مساحة حجرة الدفن ٥٢٠ سم طولا و٢٨٠ سم عرضاً و٣٠٠ سم ارتفاعا. وتبلغ سعة كل مخزن ١٨٠ سم فى الطول و١١٠ سم فى العرض و٣٠٠ سم فى الارتفاع. ويبلغ طول السلم من بدايته حتى السد الأول حوالى ٦٠٠ سم ، منه ثمانى درجات وجدت سليمة ، وقد تهدم باقيه . ويبلغ سمك هذا السد حوالى ٢٥ سم وارتفاعه ١٨٠ سم ، وتبلغ المسافة بين السد الأول والثانى حوالى ٨٠ سم ، أما السد الثانى فهو مثل الأول فى السمك والارتفاع .

ومع أن كلتا المقبرتين قد وجدتا مسروقتين ، بحيث لم يترك فيهما اللصوص أى شىء سوى بعض القطع من أوانى الفخار والأردواز والألبستر ، فقد استطعنا من هذه القطع معرفة تاريخ المقبرتين ، وهو الأسرة الأولى .

وكان الحظ فى جانبنا ، إذ عثرنا على بعض قطع متناثرة فى الأتربة المختلفة من المقبرتين، وهذه القطع هى :

١ — قطعة مستطيلة الشكل من القيشانى (القيانس) الأخضر ، حجمها ٢٦ م م

طولا و ٢٠ مم عرضاً وسمكها حوالى ٦ مم ، وعلى كلا وجهيها اسم الملك « نارمر » مكتوبا بطريقة التطعيم بمادة سوداء .

٢ — قطعة من القيشانى (الفيانس) الأخضر مستطيلة الشكل طولها ٣٠ مم وعرضها ٢٦ مم وسمكها ١٤ مم ، وعلى وجهيها اسم الملك « جر » وقد اعتلاه رسم الصقر رمز الملكية[١] مطعماً كذلك بمادة سوداء .

٣ — ختم أسطوانى الشكل من الحجر الأبيض الناعم ، وطوله ٣ سم وقطره حوالى ٩ مم ، وقد حفر عليه رسم رجل واقف ، وقد صنع رأسه على شكل رأس طائر له منقار طويل ، وهناك زرافتان رسمتا متقابلتين تفصل بينهما شجرة ، وأمام الزرافة اليسرى رسم الإله « مين » وفوقه رسم يمثل تمساحا . وفى الجزء الذى فوق الزرافة اليمنى رسم يمثل الصقر يقف فوق واجهة منزل « سرخ » وقد أمسك فى أحد مخالبه الصولجان وفى الآخر الدرع ، وهذا ما يعرف عند رجال الآثار باسم الملك « حوراحا » (صورة رقم ٩٥)

وإذا كان من المعروف أن « نارمر » و « حوراحا » اسمان لملك واحد ، أغلب الظن أنه الملك « مينا » المعروف بأنه وحد القطرين ، والملك الثانى فى الأسرة الأولى هو الملك « جر » ، فإن تاريخ هاتين المقبرتين يكون فى الجزء الأول من الأسرة الأولى .

نخرج من هذا التأريخ بنتيجة هامة ، وهى أن استعمال الحجر فى بناء المقابر كان بهذه الطريقة فى الجزء الأول من الأسرة الأولى . وسنرى كيف تطورت هذه الطريقة فى الجزء الثانى من الأسرة الأولى ، أى فى عهد الملك « دن » أو « أوديمو » والملك الذى جاء بعده وهو « أدزيب » أو « عد جيب » .

---

(١) Zaki Y. Saad. The Royal Excavations at Saqqara and Helwan 1941 — 1945 Pages : 165 Fig. 13 — & 166 Fig. 14.

فهناك مقبرة كشفت فى الموسم الثانى رقم ١٣٩٠ ح ٢ وقد بنيت حجرة الدفن فيها من الحجر الجيرى الأبيض ، وفى الجهة البحرية منها مخزنان ، وكذلك فى الجهة القبلية .

وقد بنيت حجرة الدفن من كتل كبيرة من الحجر طول القطعة ٢٥٠ سم وعرضها ٨٠ سم ، وقد وضعت الكتل بشكل يغاير الطريقة التى اتبعت فى المقبرتين رقم ١ ح ٣ ورقم ٤٠ ح ٣ . فبينما وضعت الكتل الحجرية رأسية فى المقبرتين السالفتى الذكر نرى الكتل هنا قد وضعت على جنبها ووضعت كتل أخرى فوقها على شكل المداميك (صورة رقم ١٦) .

ولما كان كلا المخزنين يتصل بحجرة الدفن فقد صنع باب لهذا الغرض ارتفاعه نفس ارتفاع كتلة الحجر ، أما سقف الباب (العتب) فهو الكتلة التى وضعت فوقه ، وقد قطعت مستوية من ناحية الحائط المقابل لترتكز على هذا الحائط ، وقطعت من الجهة التى تلى الكتلة الثانية بزاوية عكسية بالنسبة لزاوية تلك الكتلة حتى تدعم إحداهما الأخرى وتجعلها ثابتة (صورة رقم ١٦) .

ولما كانت المقابر المجاورة لهذه المقبرة ترجع إلى عهد الملك « دن » والملك « أدزيب » ، وهما من ملوك الجزء الثانى من الأسرة الأولى ، فإننا نستطيع أن نقف على خطوات التطور فى استعمال الحجر فى بناء المقابر وعلى تاريخ هذا التطور ، ويمكن القول بأن هذا هو التطور الطبيعى ، وأن تلك هى الخطوات التى كشفت عن سرها الحفائر الملكية بحلوان . وعلى هذا الوضع يمكننا أن نفهم فى سهولة كيف توصل فن العمارة إلى استعمال الحجر فى البناء بهذا الاتقان فى عصر الأسرة الثالثة الذى كثيراً ما جعل علماء الآثار فى حيرة من هذا الأمر .

أما المقبرة رقم ٣٨٥ ح ٤ فهى من أهم المقابر التى كشفناها فى المنطقة ، وقد سرقت تماماً ما عدا مخزناً واحداً وجد سليما . ويصل إلى المقبرة سلم فى الجهة البحرية منحوت فى الأرض يصل إلى درجات مبنيةمن الطوب الأخضر تنتهى بالحائط البحرى لحجرة الدفن ، وليس هناك باب للدخول إلى الحجرة المذكورة (صورة رقم ١٧) . وعلى جانبى الدرج أربعة مخازن اثنان فى الجهة الشرقية واثنان فى الجهة الغربية . أما حجرة الدفن فهى منحوتة فى الأرض على شكل مستطيل ، وقد غطيت جدرانها الأربعة بكتل كبيرة من الحجر الجيرى الأبيض ، فى الجهتين البحرية والقبلية وضعت كتلتان مساحة كل منهما ٤٠٠ سم فى الطول و ٢٠٠ سم فى الارتفاع وسمك كل واحدة ٤٠ سم .

أما الحائطان الشرقى والغربى فقد غطى كل منهما بكتلتين مثل الكتل المذكورة ، وأضيف إلى كل منهما كتلة ثانية عرضها ١١٧ سم وارتفاعها ٢١٧ سم وسمكها ٤٠ سم . والسبب فى إضافة هاتين الكتلتين يرجع إلى الرغبة فى أن تكون حجرة الدفن مستطيلة الشكل فتكون مساحتها ٥١٧ سم فى الطول و ٤٠٠ سم فى العرض وحوالى ٢٠٠ سم فى الارتفاع .

والمخزن الذى نجا من عبث اللصوص هو المخزن البحرى الغربى ، ويبلغ طوله ١١٠ سم من الشمال إلى الجنوب و ٩٠ سم من الشرق إلى الغرب وحوالى ٢٣٠ سم فى الارتفاع . وقد عثرنا فيه على ضلوع وعظام لأكثر من ثور ، وضعت طبقات بعضها فوق بعض . وقدعثرنا تحت الطبقة الأولى على سكين من الصوان طولها حوالى ٣٥ سم ، وقد صقلت صقلاجيداً ، وبجانب السكين وجدنا بعض أطباق من الفخار وإناءين من الألبستر .

وبينما كنا نقوم بتنظيف الطبقة التى تحت الأولى هبت علينا عاصفة رملية اضطرتنا لترك العملية عدة أيام لاستحالة العمل فى مثل هذه الظروف ، واكتفينا برفع السكين والأوانى بعد التصوير اللازم . وعند ما استأنفنا العمل رفعنا طبقات العظام ، فعثرنا على سكينين من الصوان صنعتا بإتقان ، وقد وضعتا فى قاع المخزن على شكل مقص ، ويبلغ طول إحداهما ٤٤٫٥ سم والأخرى ٤١٫٥ سم ، وهاتان السكينان هما أطول ما عثر عليه من السكاكين من هذا النوع [١]

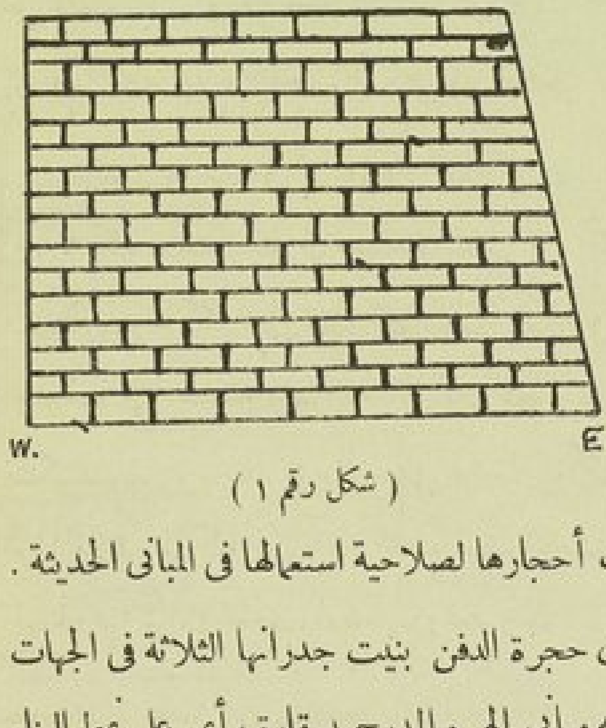
وأهمية هذه المقبرة ترجع إلى استعمال كتل ضخمة من الحجر الجيرى لبناء جدران حجرة الدفن يبلغ حجم الواحدة ضعف حجم الكتل التى استعملت فى بناء المقابر رقم ١ ح ٣ و ٤٠ ح ٣ و ١٣٩٠ ح ٢ ، واستعمال مثل هذه الكتل الضخمة دليل واضح على مهارة العمال فى فن قطع الأحجار فى ذلك العصر ، وكذلك نحتها وصقلها ، مضافاً إلى هذا كله نقل مثل هذه الكتل من المحاجر إلى مكان المقبرة .

وليس ثمة شك فى أن هؤلاء العمال كانت لديهم أساليب لا نستطيع إدراكها للنقل ، أو أنه كانت هناك طرق معبدة ليتيسر لهم نقل أمثال هذه الكتل الضخمة عليها بسهولة . وعلى كل حال فإننا كلما أمعنا الفكر فى الآثار التى نراها أمامنا صعب علينا الوقوف على حقيقة الطريقة التى كان يلجأ إليها هؤلاء الناس فى أعمالهم العظيمة التى تنكشف لنا يوما بعد يوم لتزيد فى حيرتنا ، وكلما توهمنا أننا قاربنا الوصول إلى حل لغز من ألغازهم ظهر لنا لغز آخر يجعلنا نقف أمامهم لا نملك إلا الحيرة والعجب : الحيرة لجهلنا وضآلتنا ، والعجب لعظمتهم وعبقريتهم .

(١) W.B. Emery and Zaki Y. Saad, Excavations at Suqqara, The Tomb of Hemaka P. 18 Fig. 5, 1.

أما عن صاحب هذه المقبرة فلم نجد ما يدلنا عليه ، اللهم إلا أنه كان من ذوى النفوذ إذ استطاع أن يقيم لنفسه مثل هذا البناء ليكون له داراً فى حياته الطويلة الأبدية . وكل ما نستطيع الوقوف عليه فى صدد هذه المقبرة هو تاريخها ، إذ يرجع إلى عصر الأسرة الأولى ، أولا لشكل المقبرة ، وثانياً لنوع الأوانى والسكاكين التى عثرنا عليها فيها .

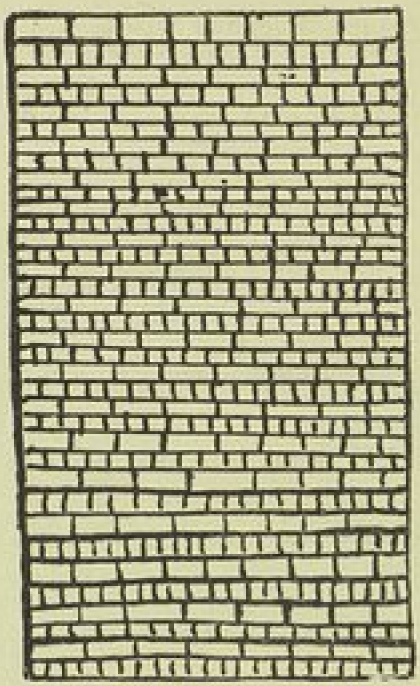
ثم المقبرة رقم ٢٨٧ ح ٦ التى بنيت مصطبتها من الأحجار الصغيرة الحجم ، ويبلغ طول هذه المصطبة ٥٦ متراً من الشمال إلى الجنوب ، وعرضها ٣٧ متراً و ٤٠ سم من الجهة الشرقية إلى الغربية . وقد بنيت حول الجهات البحرية والقبلية والغربية جدران من الطوب الأخضر خارج الجدران الحجرية ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى الرغبة فى حماية هذه الجهات . أما الجهة الشرقية فقد تركت بدون حماية لسبب وجود الباب الوهمى فيها ، وكانت بناية هذه الجهة تغاير بناية الجهات الأخرى ، فبينما كل الجدران عمودية من الخارج على سطح الأرض نرى الجهة الشرقية تميل إلى الداخل كلما ارتفع البناء ، بحيث تكون قمة المصطبة أضيق من قاعدتها (شكل ١) ، ومما يؤسف له أن أغلب مبانى هذه المصطبة قد هدمت وأخذت أحجارها لصلاحية استعمالها فى المبانى الحديثة .



(شكل رقم ١)

وفى وسط المصطبة بئر توصل إلى حجرة الدفن بنيت جدرانها الثلاثة فى الجهات البحرية والشرقية والغربية بطريقة تشبه مبانى الهرم المدرج بسقارة ، أى على نمط البناء

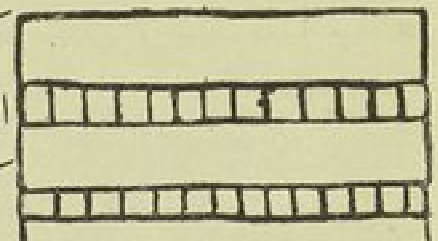
بالطوب الأخضر الذى اتبع فيه وضع صف (مدماك) من الطوب فى وضع رأسى وفوقه صف آخر فى وضع أفقى أى مستعرض (شكل ٢).



(شكل رقم ٢)

أما الجهة القبلية فقد بنيت بطريقة جديدة لم يعثر لها على مثيل من قبل (شكل ٣) فى مقبرة من المقابر من أى عصر كان. فقد وجدنا فى هذه الجهة من البئر باباً (صورة رقم ١٨) يوصل إلى حجرة مستطيلة الشكل، على كلا جانبيها باب يوصل إلى مخزن فى الجهة الشرقية وآخر فى الجهة الغربية، وسقفا المخزنين من كتل من الحجر تشبه جذوع النخيل على نمط المقبرة القبلية فى هرم سقارة المدرج.

أما الحجرة المستطيلة فإنها تنتهى إلى حجرة أضيق منها بقليل، ولها سقف من كتل الحجر المصقول، ويبدأ هذا السقف بكتل من الحجر، فى أسفلها جزء مستدير الشكل يشبه إلى حد كبير الجزء المستدير فوق تجويف الباب الوهمى، يمثل ستارة رمزية رفعت عن الباب حتى إذا ما أريد حجب الجزء من الداخل أسدلت هذه الستارة (صورة رقم ١٩).



(شكل رقم ٣)

وسقف حجرة الدفن مكون من كتل كبيرة من الحجر وضعت واحدة بجوار الأخرى أفقية على سيفها، من الشرق إلى الغرب، ووضعت فوقها كتل

صغيرة على عكس تلك الكتل الكبيرة ، وعليها كتل كبيرة أفقية مثل الوضع الأول ، وهكذا إلى سطح الأرض (من أسفل إلى أعلى) .

وعلة وضع الكتل الصغيرة بين الكتل الكبيرة وعلى عكس وضعها هى أن تجعل للكتل الكبيرة متانة تمنعها من الانهيار إذا ما وضع بعضها فوق بعض على وتيرة واحدة . و نلاحظ أن هذه الطريقة مستعملة حتى الآن فى الحوائط الساندة . إن المهندس الذى صمم بناء هذه المقبرة رأى أن الكتل الكبيرة إذا وضعت أفقية على جنبها (على سيفها) كانت قوية تحفظ المقبرة من الانهيار . ويبلغ عمق البئر حوالى ١٦ متراً .

أما تاريخ هذه المقبرة فأغلب الظن أنه إما من آخر عصر الأسرة الثانية ، وإما من أول الأسرة الثالثة ، وهذا لأن الأوانى التى وجدت بقاياها ، سواء من الفخار أو الألبستر والأردواز ، يعود تاريخها إلى هذا العصر .

ومما يؤسف له أن هذه المقبرة بالرغم من مبالغة صاحبها فى الاحتياط لجعلها بعيدة عن متناول اللصوص قد نهبت نهباً تاماً ، حيث لم نجد بها إلا قليلا من القطع سالفة الذكر .

وقد ترك لنا اللصوص سراجا من الفخار كانوا يضيئون به داخل المقبرة ، وكذلك إناء مما يستعمل لحمل المياه ، كانوا يستعملونه للشرب أثناء قيامهم بعملية السرقة .

ولما كان تاريخ هاتين القطعتين يرجع إلى العصر اليونانى الرومانى فإننانستطيع القول بأن السرقة وقعت فى هذا العصر ، أو كانت هذه إحدى المرات التى سرقت فيها هذه المقبرة ، لأن سرقات المقابر كانت تتكرر أكثر من مرة ، وذلك فى العصر الذى دفن فيه صاحب المقبرة ، ثم فى العصر اليونانى الرومانى ، وكذلك فى عصر الفتح الإسلامى .

ونرى فى بناء هذه المقبرة والطريقة التى اتبعت فى جعل البناء متيناً ناحية من نواحى التطور فى استعمال الحجر ، ترينا مقدرة جبارة على التحكم فى وضع الكتل الكبيرة كما تتطلب حاجة البناء . وليس من اليسير إنزال كتلة من الحجر يبلغ طولها أكثر من خمسة أمتار وعرضها حوالى ١٢٠ سم وسمكها حوالى ٤٠ سم إلى عمق ١٦ متراً ، ووضعها هذا الوضع الهندسى . فعمل مثل هذا يتطلب فناً وعلماً يحيران العقول .

وبالقياس إلى ضخامة هذه المقبرة وطريقة بناء البئر المؤدية إلى حجرة الدفن والمخازن، وكيفية بناء حجرة الدفن نفسها ، نرى أن صاحبها كان حاكما من حكام المنطقة ، أو أميراً من الأمراء ، فليس يستطيع بناء مقبرة مثل هذه شخص عادى ، ولا حتى مجرد رجل غنى من أغنياء الإقليم .

إذا كانت هذه المقابر المبنية بالحجر الجيرى الأبيض — وليست أحجاراً صغيرة ، بل كتل ضخمة — هى لأفراد من الأسرة الأولى ، فكيف يمكننا أن نعتقد أن أرض حجرة الدفن بمقبرة الملك « دن » مبنية وحدها من الجرانيت ؟ كما أنه من الصعب أن نعتقد أن حجرة الدفن فقط فى مقبرة الملك « خاسخموى » هى التى بنيت بالأحجار الصغيرة . وأكبر الظن أن هذه المقابر كانت إما رمزية لهم أو لأفراد من عصر هذين الملكين فقط ، وأما مقبرتا الملكين فمن المرجح أنهما فى مكان ما . وقد أثبت الحفر فى سقارة أن الملك « حوراحا » وكذلك الملك « جر » بنيا قبريهما فى سقارة ، حيث كشفنا هناك عن مقابر ضخمة تتناسب وعظمة هؤلاء الملوك .

الصناعة

مع أن المقابر الكبيرة وأغلب المقابر الصغيرة فى منطقة الحفائر الملكية بحلوان قد سرقت وتعرضت للتدمير والحريق ، فإن ما عثرنا عليه فيهما من الآثار القيمة الثمينة جعل لدينا مادة طيبة وقفنا منها على حالة الصناعة فى عصر الأسرة الأولى . ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن فى حوزتنا الآن كنزاً طيباً من الآثار الجميلة تختلف قطعها وتتباين ، فمن أوانٍ من الفخار الكبيرة الحجم الجميلة الصنع إلى أطباق وموائد وأوان صنعت من الأحجار المختلفة ، مثل الأردواز والمرمر والبازلت والألبستر الشفاف والديوريت والبورفير والبرشيا والبلّور الصخرى ، كما أنهم عرفوا النحاس فصنعوا منه أوانى دقيقة وطسوتاً وأزاميل وإبرا ومخارز . كذلك صنعوا من سن الفيل تماثيل صغيرة ومقابض للعصىّ ومراوح ومراود للكحل وأمشاطاً للشعر وأساور . أما الخشب فقد صنعوا منه كراسىّ وأسرة لها أرجل من سن الفيل على هيئة حوافر الحيوانات .

أوانى الفخار :

إن من يرى الأوانى التى صنعها العامل المصرى فى عصر الأسرة الأولى ليعجب أشد العجب لأتقان هذه الصناعة إتقاناً يتضاءل أمامه ما نراه اليوم من أوان من نفس المادة مع التقدم فى الآلات الحديثة . ومع كبر حجم الأوانى نراها متساوية النسب تساوياً تاماً ، ناعمة الملمس كأنها من حجر أجيد صقله .

ففى المقبرة رقم ١٣٧١ عثرنا فى الزاوية الشمالية الغربية من حجرة الدفن

(صوره رقم ٣) على إناء من الفخار محطم ترك فى مكانه منذ دفن صاحب المقبرة . ولما كان هذا الإناء من أكبر الأوانى التى عثرنا عليها حتى الآن وتاريخه ثابت وهو عصر الملك « عدجيب » رأينا أن نقوم بنقله وترميمه للاحتفاظ به إذ هو فريد فى نوعه (صورة رقم ٢٠) كما أن أسماء الملوك كانت تنقش على بعض هذه الأوانى الكبيرة (صورة رقم ٢١)

ومن بواعث الدهشة فى موضوع هذه الأوانى أنها كانت تصنع باليد ، فهناك على جسم الأوانى علامات أصابع الصانع ، وإن كانت لا تظهر للعين المجردة ، إلا أن الفحص الدقيق يجعل المدقق يرى آثار هذه الاصابع .

ولم تقتصر صناعة الفخار على الأوانى فقط ، بل صنعوا صوامع للغلال كالصوامع الحقيقية التى ما زالت مستعملة حتى الآن فى أنحاء البلاد (صورة رقم ٢٢) ، كما قاموا بصناعة نماذج لهذه الصوامع كانت توضع مع صاحب المقبرة ، بعضها من الفخار وبعضها من الطين (صورة رقم ٢٣) .

أما التوابيت المعدة لوضع جثث الموتى فقد صنعت بإتقان ، بعضها كان على شكل مستطيل ، وبعضها على شكل بيضاوى ، وكان لبعضها غطاء والبعض الآخر كان يترك مكشوفا (الصورتان رقم ٢٤ و رقم ٢٥) .

الأوانى الحجرية :

إن الدهشة التى تبدو على وجوه من يزورون الحفائر عند رؤيتهم الأوانى التى وجدت فى المقابر لهى أكبر دليل على دقة صناعتها والفن الذى أضفاه الصانع عليها . وليس الإتقان

وحده هو الذى يجعل الدهشة تتملك الزائرين ، وإنما هو تعدد الأشكال التى صنعت منها وغرابة التفكير فى الإخراج ، وتساوى النسب بين أجزاء هذه الأوانى التى نرى فى مراعاتها علما هندسياً رائعا ، وليس هذا فحسب ، ولكننا نجد أن هذا الصانع لم يكن يقوم بعمله كما يقوم العامل المسخر بل كان له ولع بعمله يحفزه على إتقانه وتنفيذ الرسم الذى أعطاه له المصمم النابغة ، الذى ماكان ليستطيع أن يرسم هذه الأشكال الجميلة إلا إذا كانت له روح فنان مبدع .

فنظرة إلى هذا الأبريق الجميل الذى وجد فى المقبرة رقم ٢٤ ح ٥ ترينا أن صنعه متقن روعيت فيه النسب المضبوطة ، وأكثر من هـــذا أن له صنبوراً توضع فيه سدادة (صورة رقم ٢٦) فينزل السائل نقطة نقطة مثل القطارة المستعملة فى الأدوية ، فإذا ما رفعت هذه السدادة نزل السائل من الصنبور متصلا .

وفكرة السدادة فى ذاتها ترينا ما كان عليه هؤلاء القوم من التفكير السليم فى الوصول إلى ما يريدون من أغراضهم بطريقة سهلة بسيطة تدل على علو كعبهم وتمكنهم من فن النحت . ومثل هذا الأبريق المصنوع من حجر الألبستر الشفاف ليس من السهل عمله باليد وبآلات يقال إنها لا تخرج عن أزميل ومدق . ولست أستطيع أن أفهم كيف توصل هذا العامل الذى عاش فى الأسرة الأولى إلى ثقب فتحة الصنبور فى جدار الأبريق الرقيق ، بل كيف توصل إلى نحت الصنبور فى نفس الوقت الذى نحت فيه الأبريق ، إلا إذا كان هذا العصر الذى مر عليه أكثر من خمسة آلاف من السنين عصراً ازدهرت فيه الصناعة ازدهاراً سبقته مئات السنين فى صناعات متشابهة حتى أصبحت على ما نراه من الرقى والإتقان .

وهناك صانع آخر أتم صنع وعاء من الحجر جعله على شكل السلال المستعملة فى أيامنا هذه وتعرف فى الريف باسم «مشنة» (صورة رقم ٢٧) ، وقد كان المصرى القديم مغرما بنقل وحداته الزخرفية مما يراه حوله من الطبيعة ، كالبوص والأعشاب والزهور ، فكثيراً ما نراه يصنع إناء على شكل زهرة اللوتس ، أو طبقا على هيئة ورقة التين ، أو على أشكال غريبة أخرى[١] .

وقد وجدنا طبقين من حجر الأردواز كل منهما له شكل خاص (صورة رقم ٢٨) فالأول نحت من قطعة من حجر الأردواز مثلث الشكل له ثلاث فتحات ، أما جوانبه الثلاثة فقد طويت من أعلى إلى الداخل وكأنما صنع من مادة لينة استطاع الصانع بسطها كما يريد ، ومن ذلك يظهر تحكم الصانع فى الحجر الصلد الذى ينحته على الصورة التى يريدها حتى ليتوهم من يراه أنه صنع من الصلصال ، وربما كانت فكرة هذا الطبق الحجرى مأخوذة مما رآه من أطباق صنعت من النحاس قبل ذلك الوقت .

والطبق الثانى مثلث الشكل أيضاً ، وفتحاته الثلاث ضيقة ، وجوانبه مفتوحة فى تناسق بديع .

وهذان الطبقان يشبهان إلى حد كبير تلك الأطباق المصنوعة من المعادن المختلفة التي توضع فيها الفاكهة أو قطع الحلوى عند تقديمها إلى الزوار فى منازل الأغنياء فى أيامنا هذه .

ونرى فى الأوانى المصنوعة من الأردواز جمالا وتناسقاً فى الشكل ، أما صقل الحجر

---

(١) W. B. Emery, Great Tombs of the First Dynasty at Saqqara, Page 101, Fig. 58 PL. 40 A and B.

من الخارج فقد تم بدرجة تجعل سطح الإناء أملس ناعماً يكاد يكون له بريق المعادن اللامعة (صور رقم ٢٩) .

وفى مقبرة ١٨٥ ح ٤ وجدنا إناءين صغيرين أحدهما من حجر السَّربَنْتين الأسود اللامع الذى يشبه خشب الأبنوس ، وله رقبة ضيقة ، وحافة فوهتها واسعة (صورة رقم٣٠) ، والثانى يشبهه إلى حد ما ، إلا أنه من حجر البلّور الصخرى ، وهذا الحجر صعب الكسر لدرجة تجعل نحته يفوق فى صعوبته نحت جميع الأحجار الأخرى (صورة رقم ٣١) .

ومن نفس هذا الحجر وجدنا طبقا كبير الحجم ، بل يعد أكبر طبق من البلور الصخرى وجد حتى الآن ، إذ يبلغ ارتفاعه حوالى ١٣٫٥سم وقطره حوالى ٢٢سم ، وتُرينا الدقة التى صنع بها تفوق فن النحت حتى فى الأحجار الصعبة فى هذا العصر ، ولهذا الطبق أهمية فائقة من حيث التاريخ إذ وجد على جانبه اسم الملك « رسمرخت » محفوراً حفراً منتظما ، والاسم فى مستطيل يعرف « بالسرخ » وهو عبارة عن واجهة المنزل وقد اعتلاه الصقر رمز الملكية ، وبجانب اسم الملك وجد اسم صاحب المقبرة محفوراً بنفس الطريقة ، واسمه « سمرسيدو » أى صديق النجم « سيدو » (صورة رقم ٣٢) .

وهذه طائفة من الأوانى ، منهاماصنع من الألبستر على شكل الكأس ذات القاعدة ، ومنها الإناء الكبير ذو الصنبور ، والأطباق المتعددة الأشكال من حجر الأردواز أو الألبستر ، وجميعها — وعددها ٧١ — وجدت فى مخزن واحد (الصورتان رقم ٣٣ورقم٣٤) لم يهتد إليه اللصوص عند ماسطوا على المقبرة رقم ٤٢٣ ح ٩ ، ولوأننا وجدنا جميع الأدوات الجنائزية التى وضعت فى هذه المقبرة لكانت لنا منها مجموعة كبيرة جدا إذا قيست بهذا

العدد الذى وجد فى مخزن واحد صغير كالذى وجدناه سليما لم تمتد إليه أيدى اللصوص .

وإذا نحن رأينا تلك الكؤوس ذوات القواعد (صورة رقم ٣٥) رأيناها تشبه إلى حد كبير تلك الكؤوس التى تصنع الآن من أرق أنواع البلور أو الزجاج وتستعمل فى أغراض كثيرة ، فمنها مانراه فى المستشفيات كأوانى الاختبار ، ومنها مانراه فى منازل ذوى اليسار لتناول مختلف المشروبات المنعشة .

النحـــاس :

وصناعة النحاس فى عصر الأسرة الأولى لا تقل عن الصناعات الأخرى ، فقد عرف الصانع المصرى كيف يصنع من النحاس أدواته ، فهناك الأزميل والفأس والخنجر وأسنة الرماح ، بل الإبر الصغيرة التى كان يحيـك بها ملابسه ، وكانت هذه الإبر متفاوتة فى الحجم فمنها الدقيقة الرفيعة ومنها الكبيرة .

كما أنه فكر فى أن يصيد السمك بصنانير مصنوعة من النحاس ، وقد عرف أن هناك أسماكا تختلف طريقة صيدها بعضها عن البعض ، فصنع لكل نوع من هذه الأنواع مايلائمـه ، ونرى أن الصنانير التى وجدت فى المقبرة رقم ٧٤١ ح ٥ وعددها عشرة صنعت بأحجام متفاوتة (صورة رقم ٣٦) . وإذا نحن قابلنا اليوم أى صياد ، هاويا كان أو محترفا ، لم نجد فى جعبته مثـل هذا العدد . كما نرى أن الصياد كان يقدر أن تيار الماء قد يجرف معـه الصنارة التى يجب أن تكون مستقرة حتى تستطيع السمكة أن تدنو منها وتأكل ماعليها من طعم ، فأعد ثقلا جعله مقبول الحجم ، وفيه ثقب يربطه بخيط الصنارة ، فتثبت فى الماء . وإنى أعتقد أن هذا الصياد لايختلف عن صيادى أيامنا هذه فى شىء ، بل لقد سبق أحفاده ولم يترك لهم أى فضل فى طريقة الصيد .

ولما كان الإنسان فى هذا العصر فى حاجة إلى ارتداء الملابس فقد وجدنا لديهم ما يساعدهم على حياكتها ، من إبر دقيقة الصنع فى مختلف الأحجام ، ولم ينسوا أن يصنعوا إبرا يستطيع بها من يعمل فى صناعة الجلود أن يقوم بعمله بسهولة ، فقد وجدنا هذا النوع كبير الحجم له عين تتسع لدخول خيط سميك يصلح لخياطة الجلد ، كما أنهم لم ينسوا المخارز ولها أياد من الخشب (صورة رقم ٣٧) .

ولما كانت عملية قطع الأحجار تحتاج إلى الأزاميل فقد صنع منها مقادير كبيرة مختلفة فى الأحجام لتتناسب مع كل عمل ، وكانت هذه الأزاميل تصنع بدقة وتناسق حتى تفى بالغرض المطلوب على الوجه الأكمل (صورة رقم ٣٨) .

ولما كان المصرى القديم ، كأحفاده حتى يومنا هذا ، لا يقرب الطعام قبل أن يغسل يديه ، ولا يترك الطعام حتى يسارع إلى غسلهما ، فقد رأى أن يصنع الطسوت والأباريق (صورة رقم ٣٩) . ولقد وجدنا فى المقبرة رقم ١٢٩ ح ٦ أبريقاً له صنبور دقيق الصنع ومعه طست . كما وجدنا مجموعة كبيرة من الأوانى من مختلف الأحجام والأشكال ، منها ما كان يصلح استعماله لحفظ السوائل أو لطهى الطعام ، ومنها ما كان يستعمل فى تناوله .

الصــــوان :

أما حجر الصوان (الزران) ، وهو من أصعب الأحجار فى النحت ، فقد رأيناهم أسلسوا قياده ، فنحتوا منه السكاكين الكبيرة الحجم التى لم يعثر على أكبر منها فى أى منطقة غير منطقة الحفائر الملكية بحلوان ، وليست السكاكين فحسب هى التى صنعوها

من هذا الحجر ، بل الأساور الدقيقة الصنع التى كان يتزين بها النساء والرجال على السواء .

ففى المخزن الذى وجد سليما فى المقبرة رقم ٣٨٥ ح ٤ وجدت ثلاث سكاكين دقيقة الصنع كبيرة الحجم تعتبر أكبر ما وجد من نوعها (الصورتان رقم ٤٠ ورقم ٤١) ، وقد وجدت سكين منها بين طبقات عظام الضحية ، والأخريان وجدتا فى قاع المخزن (صورة رقم ٤٢)

وقد عثرنا فى المقبرة رقم ١٢٣٦ ح ٩ على سكينين من نوع آخر من الصوان الأشهب ، وتعدان أكبر سكينين كشفتا حتى الآن (صورة رقم ٤٣) ، وما كان يظن أنه يوجد سكاكين بهذا الحجم فى مقبرة صغيرة كهذه إذ يبلغ طول الواحدة ٥٠ (خمسين) سلام تقريبا .

سن الفيل :

إن سن الفيل (العاج) من أجمل مواد الصناعة التى تستعمل فى أدوات الزينة هذه الأيام ، أما المصرى القديم فى عصر الأسرة الأولى فلم يقصر استعمال سن الفيل على أدوات الزينة ، بل رأيناه يصنع منه الصناديق الصغيرة ، ومقابض الخناجر الفاخرة ، والأوانى ، ونماذج المراكب الجنائزية .

فبينما كنا نعمل فى كشف المقبرة رقم ١١٦ ح ٤ التى وجدت سليمة عثرنا على قطعة من سن الفيل بين الأدوات والأوانى الجنائزية ، إن دلت على شىء فإنما تدل على روعة فى الفن وعلو كعب فى محاكاة الطبيعة تميز بها الفنان الذى وكل إليه إخراج هذه القطعة (صورة رقم ٤٤) فكانت آية من آيات الإبداع .

ونرى أن الصانع رأى أن يحاكى ربطة من زهرات اللوتس تضم سبع زهرات ربط سيقانها من تحت الزهرات مباشرة بثلاثة حبال يعلو بعضها بعضاً فى تنسيق بديع ، وتنتهى السيقان بقطعة ناتئة مربعة الشكل .

ويبلغ ارتفاع هذه القطعة ٢١ سم والجزء المربع الصغير فى آخرها حوالى ١٫٥ سم ، وربما صنع هذا الجزء الصغير كى يثبت كلسان لتعشيقها فى قطعة أخرى لم نعثر لها على أثر ومن البديهى أن هـذه الزهرات وسيقانها كانت مقبضاً إما لمروحة أو عصا أو ما شابه ذلك .

ويرجع تاريخ المقبرة المذكورة إلى الأسرة الأولى ، وعلى ذلك تـكون جميع الأوانى والأدوات التى وجدت بها من هذا العصر ، ومن بينها هذه القطعة . وأهمية ذلك ترجع إلى أن ساق هذه القطعة بما فيها من قنوات ، تشبه كل الشبه الأعمدة التى وجدت فى مدخل معبد الملك زوسر فى سقارة ، أما الزهرات السبع فتشبه تيجان الأعمدة التى وجدت فى كثير من المعابد بعد ذلك التاريخ ، فيكون أصل هذه الأعمدة وتيجانها معروفا من الأسرة الأولى .

وذلك مما يثبت أن الأصل فى هذه الأعمـدة التى صنعت على شكل زخرفة نبات اللوتس كانت فى الأصـل مأخوذة من العمود الخشبى البسيط المزخرف من الخارج فى أعلاه بزهرات اللوتس المربوطة بعضها إلى بعض بحزام تحتها مباشرة ، أما ساق العمود فقد كسيت من الخارج بسيقان الزهرات المذكورة ونتج عن ذلك شـكل العمود ذى القنوات المعروف باسم (دورى) نسبة إلى مقاطعة دوريس ببلاد اليونان أو (Proto doric) أى ما قبل الدورى .

وعلى ضوء ذلك كان الاعتقاد السائد فى وقت من الأوقات أن أعمدة معبد الملك زوسر ليست مصرية ، بل يونانية الأصل ، حتى كشف هناك عن نصوص باللغة المصرية القديمة أثبتت أنها من عصر الأسرة الثالثة .

وفى كشفنا عن هذه القطعة فى مقبرة من الأسرة الأولى ما يؤيد وجود أمثال هذه العمد فى الأسرة الأولى أى قبل الأسرة الثالثة بأكثر من ٢٠٠ سنة .

وإذا أنعمنا النظر فى القطعتين (صورة رقم ٤٥) وهما تحاكيان أرجل الثيران ، أخذنا العجب ، إذ لا يستطيع أن يصنع مثل تلك القطع التى أمامنا إلا من كان على علم بتشريح هذه الأرجل وإلمام تام بوظيفة كل عضلة من عضلاتها . فالرجل التى إلى اليمين وهى الخلفية للثور لا ينقصها شىء ، حتى الحافر قد مثل أكمل تمثيل ، والرجل الأخرى وتمثل رجل الثور الأمامية .

وكانت هذه الأرجل لكراسى للجلوس أو لأسرّة ، ومن النادر أن نجد الكراسى أو الأسرّة فى هذا العهد خالية أرجلها من الزخرفة .

وقد رأى الفنان أن تكون حوافر الأرجل مرتكزة على قاعدة جعل لها خطوطا أفقية تكسب أرجل الكرسى زخرفا لجأ إليه رجال الفن الحديث فى أيامنا هذه ، وهو ما يعرف بالخطوط الأفقية والرأسية الطويلة فى الأثاث ، وكذلك فى العمارة . وقد وضعت هذه القواعد تحت الحوافر لعدة أسباب منها توزيع الثقل على سطح الأرض المرتكزة عليها القاعدة كى لا تغوص الرجل فى أرض الغرفة ، وكذلك كى لا يؤثر تآكل القاعدة فى شكل الحافر ، كما أن هذه القاعدة تكسب الرجل ارتفاعا يكون أكثر انسجاما فى الشكل .

وفى المقبرة رقم ١ ح ٥ عثرنا على قطعة من سن الفيـل تمثل رجلاً أحدب وقد ركع وأمسك بين ذراعيه إناء من سن الفيل أيضاً ، وقد أتقن الصانع هذه القطعة إتقانا جعله يبرز الوجه بتقاطيعه الدقيقة تعلوه ابتسامة (صورة رقم ٤٦) والشعر المصفف وأصابع اليد التى تحمل الآنيـة (صورة رقم ٤٧) وكأن حاملها يقدمها بكل خشوع لسيد هو تحت طاعته .

وهذا تمثال وجد فى مقبرة رقم ٥٩٧ ح ٥ صنع من سن الفيل يمثل طفـلا صغيراً يجلس القرفصاء وقد وضع أصبع يده اليمنى فى فمه بينما وضع يده اليسرى على ركبته . ولم ينس الفنان أن يحلى معصم الطفل بسوار (صورة رقم ٤٨) .

كما عثرنا فى مقبرة أخرى على تمثال صغير لسبع صنع من سن الفيل ، ولعل من يرى هذه القطعة يستطيع أن يحكم على من قام بصنعها بالمهارة التى جعلته لا ينسى أى تفصيل من تفاصيل جسم السبع بل زاد على الجسم الروح التى تجعل فى هذه القطعة حيوية تحدونا إلى الظن أن هذا المثّال كان على علم تام بشخصية الأسد وتعبيرات وجهه وعينيه ، وكأنه كان ينقل رسمه عن أسد حى (صورة رقم ٤٩) .

ومن يرى الصورة رقم ٥٠ وهى ليـد إنسان لا يسعه إلا أن يعتقد أن من صنعها كان بغير شك على دراية بتشريح الجسم البشرى ، فإن هذه اليد ترينا المعصم وظاهر اليد والأصابع وأظافرها ، والقطعة جميعها تدل على ذوق فنى لا يتأتى إلا بعـد دراسة طبية ومعرفة تامة لعضلات اليد ووظائفها .

وفى المقبرة رقم ٣٩٤ ح ٧ — وكانت لطفل صغير — عثرنا على إناء من سن الفيل (صورة رقم ٥١) وهو يمثل زهرة الـكريزنتيم البرية بأوراقها الجميلة ، كما يمثل غطاؤه تلك الزهرة إذا نظرنا إليه من فوق .

أما الملاعق فقد تفننوا فى صنع أيديها فصنعوا لبعضها أيادى عادية طويلة مثل الملعقة التى فى (الصورة رقم ٥٢) أما الملعقة التى فى (الصورة رقم ٥٣) فقد صنعت دقيقة صغيرة كالتى يتناول بها الكيماوى مواده ليزنها فى ميزانه الذى يستعمل فى وزن كميات صغيرة قد تصل فى بعض الحالات إلى جزء من الدرهم .

أما الملعقة الثالثة (صورة رقم ٥٤) فقد صنعت يدها على شكل بطة نرى فيها المنقار والرأس والعينين ، ثم الجسم بجناحيه وهما مضمومان

والملعقة الرابعة (صورة رقم ٥٥) لها يد على شكل الرجل الخلفية لغزال أو عنزة .

أما الملعقة الخامسة (صورة رقم ٥٦) فإن يدها على شكل الرمز الخاص بالإلهة إيزيس ، ولهذا أهميته الخاصة من جهة الديانة عند قدماء المصريين فى عصر الأسرة الأولى . والملعقة دقيقة الصنع ، وربما كانت لتناول الأدوية كى تساعد الإلهة إيزيس فى شفاء المريض .

وقد تفنن الصانع المصرى فى هذا العصر فى عمل الصناديق الجميلة ، ويدلنا حجمها على أنها كانت تستعمل فى حفظ الأشياء الثمينة ذات الحجم الصغير مثل الجواهر والحلى وما إليها .

ففى المقبرة رقم ٦٢٧ ح ٨ وجدنا جزءاً من صندوق أسطوانى الشكل قطره حوالى ١٢سم أما ارتفاعه فلم يبق منه إلا ١٩ سم ، وقد صنع من قطع طويلة من سن الفيل مقسمة إلى خطوط متعارضة أكسبته مظهراً لا يقل فى بهائه عن كثير من الصناديق الحديثة (صورة رقم ٥٧) .

وفى المقبرة رقم ٦١ ح ١٠ عثرنا على صندوق مستطيل الشكل من سن الفيل طوله ٢٢ سم وعرضه ١١٫٥ سم وارتفاعه ٨٫٥ سم ، وله غطاء (صورة رقم ٥٨) من نفس المادة . وتدلنا صناعة هذا الصندوق على ما كان عليه الصانع من إتقان فن التطعيم بالعاج وطريقته الدقيقة فى ربط القطع بعضها ببعض ، ونرى « فى الصورة رقم ٥٩ » الصندوق وقد وضع الغطاء بجانبه .

وفى المقبرة رقم ١١٥ ح ١٠ وجدت قطع من سن الفيل كانت لتطعيم جوانب صندوق له غطاء ، وقد استطاع عمالنا الفنيون إعادته إلى سيرته الأولى « صورة رقم ٦٠ » ، وطول الصندق ٢٦ سم وعرضه ١٤٫٧ سم وارتفاعه ١٥ سم . وتدل صناعة الغطاء على ذوق سليم وبراعة فى فن الزخرفة لا أكون مبالغا إن قلت إنه لا يقل عن فن الزخرفة الحديثة « صورة رقم٦١ » . وقد تعمد صانعه أن يجعل له برواز حول جهاته الأربع جعل فى زواياه الأربع قطعاً من سن الفيل تحاكى أوراق الشجر ، وحلى وسطه بثمانى زهرات لكل زهرة ثمانى ورقات تتوسطها قطعة مستديرة تحاكى قلب الزهرة .

وكما استعمل الصانع العاج لتطعيم الصناديق استعمل كذلك الودع والأصداف لنفس الغرض ، فقد عثرنا فى المقبرة رقم ٦٣٦ ح ٤ على صندوق كان يحوى جثة طفل صغير الحجم جدا « صورة رقم ٦٢ » ، وقد وجدت أجزاء الصندوق فى حالة سيئة، إلا أن الجهد الكبير الذى بذله الأستاذ زكى إسكندر مدير المعمل الكيماوى بالمتحف المصرى ومعاونوه أسفر عن إعادة هذا الصندوق إلى ما كان عليه . وفى « الصورة رقم ٦٣ » نرى قطعة فنية رائعة تضاف إلى البراهين العديدة التى تؤيد عظمة الصانع فى هذا الفن أيام الأسرة الأولى .

وكان من عادة قدماء المصريين أن يدفنوا حيواناتهم الأليفة وطيورهم المحببة إليهم إلى جوارهم، فقدعثرنا على صندوق صغير من الخشب له غطاء «صورة رقم ٦٤» وقداستطعنا أن نخرج الصندوق من الحفرة التى دفن فيها سليما بعد علاجه بالمواد اللازمة، وعند فتحه عثرنا فيه على هيكل عظمى لطائر صغير يغلب على الظن أنه صقر «صورة رقم ٦٥»

الملابس:

كانت ملابس المصريين فى عصر الأسرة الأولى تصنع من نسيج الكتان، وقد عثرنا فى الحفائر على أنواع كثيرة من الأقمشة تدل طريقة نسجها على تعدد أنواعها، فمنها النسيج الرفيع الذى دق غزل خيوطه حتى ليخالها الإنسان من غزل الآلات الحديثة، ولست أملك من الخبرة فى هذا الشأن ما يمكننى من معرفة مقدار ما فى الخيوط من الفن.

وقدعثرنا فى مقبرة من الأسرة الأولى على قطع من الفخار بعضها يشبه قطع الخشب الحديثة التى تستعمل فى لف خيوط الغزل لاستعمالها فى النول اليدوى المستعمل لنسج الأقمشة، كما أن بعض هذه القطع ممايستعمل فى تثبيت قطع النول المعروفة اليوم بالخوابير الخشبية (صورة رقم ٦٦)، وهذا يدلنا على معرفتهم للنول اليدوى للنسيج. ولكن الذى يصعب علينا هو كيف توصلوا إلى غزل الكتان حتى أصبح الخيط على هذه الدرجة من الدقة والرقة والاستواء حتى يكاد يحاكى ما أخرجته الآلات الحديثة من خيوط الغزل.

ومهما كانت دقة من يستعمل المغزل فلن يصل إلى إتقان الخيوط بهذه الطريقة إلا إذا كانت طريقته فى ذلك سراً يضاف إلى أسرارهم التى لم نتوصل بعد إلى حلها حلا

معقولا . وإننى أضع أمام القارىء (الصورة رقم ٦٧) وهى عبارة عن قطعة من قماش رفيع خفيف ناعم الملمس لا يقل فى جودته عن أغلى أنواع الكتان الذى نستعمله فى أيامنا هذه .

وقد عثرنا على أقمشة تتفاوت فى درجة النعومة والرقة (صورة رقم ٦٨) مما يجعل لدينا فكرة طيبة عن أنواع الأقمشة التى كانت تستعمل فى مختلف الأوقات ، ففى أيام البرد تلبس الملابس الثقيلة ، وفى الأيام الحارة تلبس ملابس خفيفة .

ومن الضرورى أن نذكر هنا أننا عثرنا (فى المقبرة رقم ٣٦ ح ٥) على بقايا هيكل لإنسان كان ملفوفا فى قماش من الصوف ، مما يؤكد أن المصرى القديم فى عصر الأسرتين الأولى والثانية كان يعرف الأقمشة الصوفية وأنه استعملها فيما استعمل من ثيابه.

وقد عثرنا على لوحات جنائزية كثيرة من عصر الأسرة الثانية تعددت فيها أنواع الأقمشة المقدمة لصاحب المقبرة ليستطيع استخدامها فى حياته الثانية ، وقد نص على لونها فمنها اللون الأخضر والأزرق والأحمر والأبيض .

وكانت ملابسهم فى هذا العصر طويلة تصل إلى القدمين ، أما جزؤها العلوى فقد كان يختلف فمنها ما كان له أكمام ومنها ما كان يربط على إحدى الكتفين ، الكتف اليسرى فى الغالب (صورة رقم ٦٩) وترى الربطة وهى لاتختلف عن الربطات التى نشاهدها على ملابس السيدات وتعرف باسم فيونكة شكل رقم ٤) .

ومن هــــذه الملابس ما كانله حمالات تشد الثوب إلى الكتفين فتكشف عنهما وعن الصدر مثل ثياب السهرة التى يرتديها الآن سيدات الطبقة الراقية .

وكان بعض ذوى المكانة ينتعلون الصندل (الخف) وهو مصنوع من سيور من

الجلد فوق نعل من جلد سميك ، أما السيور فكانت تشد إلى الرجل فوق القدم مباشرة ، وكان حامل نعل الملك ذا حظوة ومركز ملحوظ إذ كان يقف خلف الملك مباشرة .



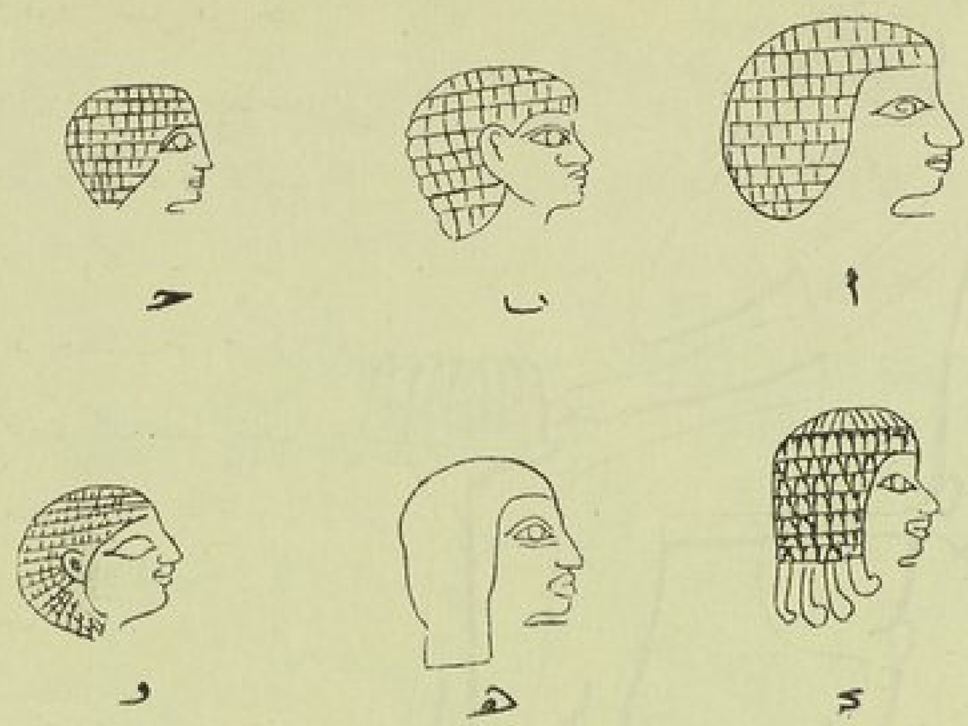
(شكل ٤)

تصفيف الشعر :

ولتصفيف الشعر عند الرجال طرق مختلفة ، وأغلب الظن أن كلا منها كانت تناسب صاحبها (شكل ٥ : ا . ب . ج . د . ه . و) على أن الشعر كان قصيراً دائماً .

ويغلب على الظن أن الأشكال المنشورة ليست لشعر طبيعى ، وإنما هى لشعور مستعارة تلبس فوق الرأس وتخفى تحتها الشعر الطبيعى . وكان المصرى فى ذلك العصر حليق الذقن والشارب ، وقد كان بعضهم يرسل لحيته وشاربه . وكثيراً مانرى اللحية مهذبة الجوانب ذات رونق يدل على شدة العناية ليبدو صاحبها فى منظر لطيف يدل على الأناقة .

وكانت السيدات يصففن شعورهن على أشكال متباينة ، فمنهن من كانت تضفر

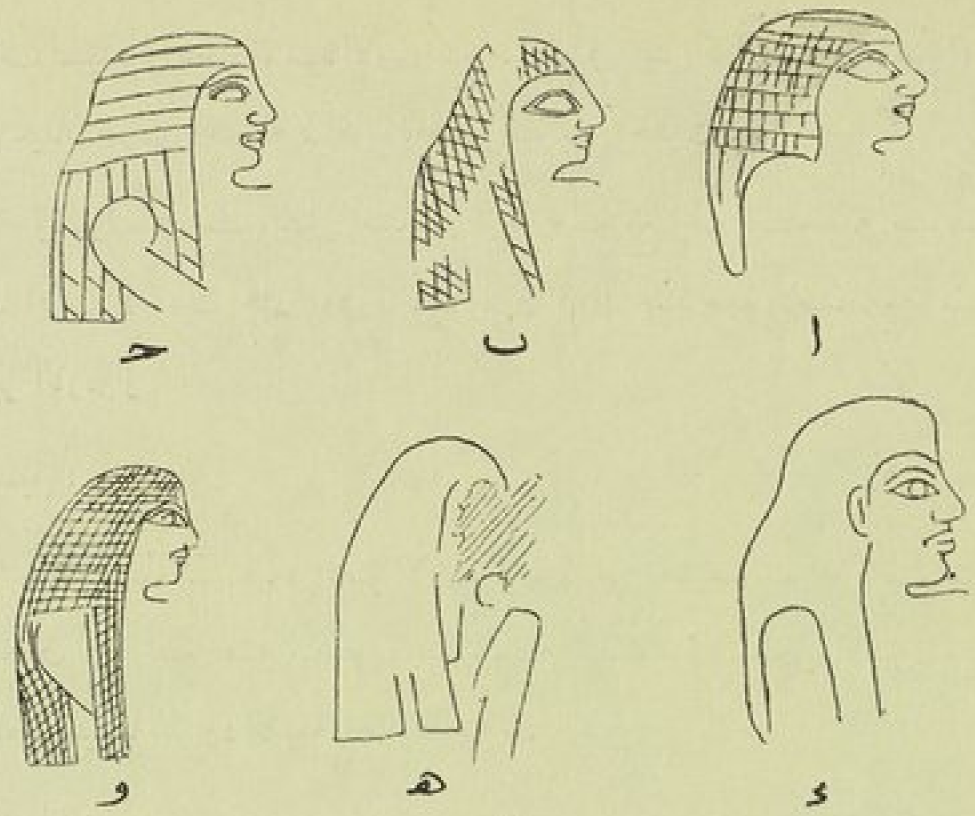


(شكل ٥)

شعرها جدائل تنساب على الظهر والصدر ، ومنهن من كانت تجعله على شكل الجدائل مدلاة على ظهرها وكتفيهـا ، أو تتركه ينساب على الظهر والصدر ، أو تجعله جدائل تتركها على الظهر (شكل ٦ : ا . ب . ج . د . هـ . و) .

أما لون الشعر فقـد كان يختلف من الأشقر الذهبي إلى الـكستنائى الداكن والـكستنائى الفاتح والأسود . ومما يثبت أن اللون الأشقر لم يكن نتيجة لصبغه عادة غريبة تعدد هذه الألوان . كما أننا عثرنا على الشعر الذى وخطه الشيب .

ولم يكن أكثر الشعر مجعداً خشناً كما يعتقد أغلب الناس عن قدماء المصريين ، بل كان منه الناعم الملمس، وكان بعضه متموجاً يضفى عل صاحبته جمالاطبيعياً، وكثيراً ما نرى سيدات العصر الحديث يلجأن إلى الطرق الصناعية حتى يكتسب شعرهن هذه الصفات .



(شكل ٦)

وعلى هذا فإن سيدات الأسرتين الأولى والثانية كن يتبعن نفس الطريقة التى يتبعها السيدات فى أيامنا هذه مع تغيير طفيف .

وكانت الأمشاط التى تستعمل فى تصفيف الشعر تصنع غالبا من سن الفيل وبعض الأحيان من الخشب . وقد عثرنا على مجموعة طيبة من هذه الأمشاط من بينها مشط من سن الفيل كان يوضع فى كيس مضفور من سيقان البردى (صورة رقم ٧٠) .

وهذا يدل على أن السيدة من خمسة آلاف سنة كانت تصنع ما تصنعه سيدات اليوم ، فكما أن سيداتنا يضعن فى بعض الأحيان أمشاطهن فى أكياس من الجلد كذلك

كانت السيدة فى عصر الأسرة الأولى تضع مشطها فى كيس كان يصنع فى بعض الأحيان من سيقان البردى المجدولة لا يقل أناقة عن الكيس الحديث .

وقد رأينا فى بعض المقابر أمشاطا رمزية توضع مع الجثة لتستخدمه صاحبته فى العالم الآخر إذا دعت الحال . وفى (الصورة رقم ٧١) أحد هذه الأمشاط وقد صنع من حجر الأردواز .

التجميل :

وبعد انتهاء السيدة ، فى عصر الأسرة الأولى ، من تصفيف شعرها كانت تعمد إلى مسحوق أحمر تضع القليل منه على وجنتيها ، ثم تأخذ من الكحل الأسود مايكفى لتكحيل عينيها بالمراود الأنيقة المصنوعة من سن الفيل .

الكحل :

وقد وجد فى إناء واحد فى المقبرة ٨٢٨ح ٢ ثلاث مواد اتضح من التحليل الكيميائى أنها عبارة عن :

(١) الجالينا ، وهى كبريتور الرصاص الذى يوجد خاما فى الطبيعة على شكل كتل ذات بريق معدنى . وقد استخدمها المصريون فى ذلك العصر وما بعده لعمل الكحل الأسود ، وذلك بصحنها وخلطها بمادة لاصقة .

(٢) المالاخيت ، وهو كربونات النحاس القاعدية ، ولونه أخضر ، وقد استخدمه المصريون فى ذلك العصر لعمل الكحل الأخضر ، وذلك بصحنه وخلطه بمادة لاصقة أيضاً

(٣) الهياتيت المسحوق ، وتركيبه الكيميائى كالآتى :

أ — ٤٧٫٥٪ سليكا

ب — ٣١٫١٪ أكسيد الحديديك وقليل من أكسيد الأليومنيوم

١١٫٠٪ أكسيد الكلسيوم

٦٫٠ ٪ أكسيد المغنسيوم

٤٫٤ ٪ ماء

ومن المؤكد أن هذه المادة قد استخدمت أيضاً لعمل نوع من الكحل البنى اللون ، وذلك بصحن الهيماتيت وخلطه بمادة لاصقة ، ولم يُستطع التعرف على نوع المادة اللاصقة ، ولكن يبدو أنها كانت من الصمغ والماء .

ومثل هذا اللون من الكحل لم يستخدم فى مصر إلا نادراً ، ويجدر بالذكر أن هذه العينة هى أقدم ما عُثر عليه من هذا الكحل .

ووجود ثلاثة أنواع من الكحل فى إناء واحد هو من الأمور المستغربة التى لم نصادف لها مثيلا من قبل .

وقد وجد فى إناء آخر فى المقبرة ١٤٤٨ ح ٢ مادة رمادية اللون ظهر من تحليلها أنها تتركب أساساً من كبريتور الرصاص (الجالينا) المسحوق ومعها كمية متوسطة من كبريتات الكلسيوم (الحجر الجيرى النقى المسحوق) .

ولا شك أن هذه المادة قد استخدمت ككحل رمادى اللون صنع بواسطة خلط الكحل الأسود وهو (الجالينا المسحوقة) بمسحوق أبيض (من الجبس والحجر الجيرى النقى) ومزجهما بمادة لاصقة .

وهذه هى أول مرة يُكشف فيها عن مثل هذا الكحل الرمادى اللون فى مصر القديمة .

المواد العطرية :

وقد عثرنا على عدة أوان تحوى أنواعا من المواد العطرية التى كانت تستخدم لتجميل الوجه وتضميخه كالتى تستخدم فى هذه الأيام من مختلف الأنواع من الكريم .

وقد اتضح من التحليل الكيميائى أن معظم هذه المواد تتركب من مادة دهنية حيوانية المصدر وأكسيد الحديديك الأحمر وكربونات الكلسيوم (حجر جيرى مسحوق) ، ولا شك أنه كان يوجد مع هذه المواد نوع آخر من الزيوت العطرية التى تبخرت ولم تترك أثراً .

ومثل هذا التركيب يكسب الوجه لوناً وردياً ناتجاً من أكسيد الحديديك الأحمر المخلوط بالمسحوق الأبيض ، والمادة الدهنية الموجودة تلصق هذا اللون بالوجه ، كما أنها تكسب البشرة نعومة وتضفى على الوجه بهاء .

وكانت من هذه المواد عدة ألوان ، لا لون واحد ، وذلك لكى تختار السيدة اللون الذى يناسب لون بشرتها ، وهذا لا يختلف عما تقوم به السيدات فى أيامنا هذه من اختيار ما يناسبها من مواد التجميل .

وبعد أن تنتهى السيدة من زينة وجهها وتصفيف شعرها كانت تنظر إلى مرآة (صورة رقم ٧٢) حتى تطمئن إلى أن ماقامت به من الزينة أضفى على طلعتها صورة بهية وجمالا تباهى به صاحباتها إذا ما قابلتهن ، أو لتكون أمام زوجها على الصورة التى تعجبه .

والمرآة التى عثرنا عليها من النحاس ، ولها يد من الخشب .

وكانت الألوان التى تستعملها السيدة تصحن على ألواح من الأردواز الأخضر تفنن الصانع فى عملها فجعل منها أشكالا كثيرة ، منها المستطيل والمربع والبيضاوى ، أو ما كان على هيئة الطيور أو السمك (صورة رقم ٧٣) .

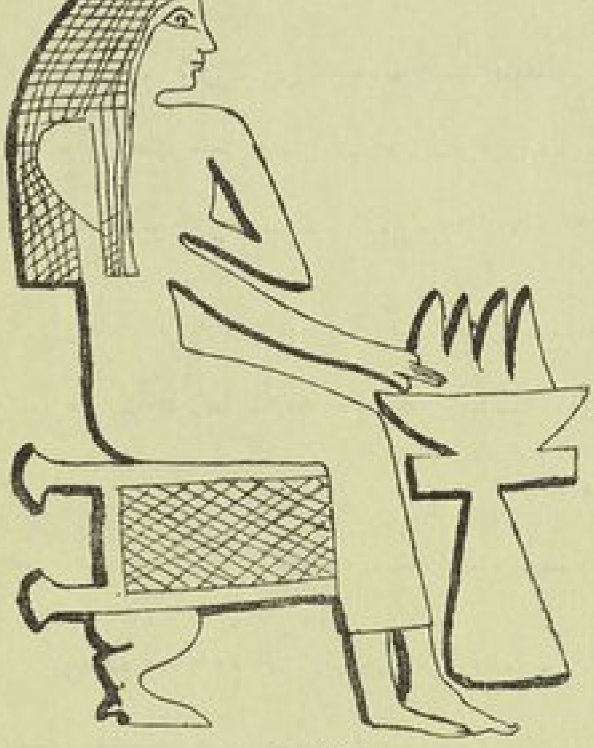
وهناك لوحة مستطيلة زخرفت على جانبيها يدان مرفوعتان إلى أعلى على هيئة الكا ، وقد زخرف أعلاها بثلاثة رموز هيروغليفية ، نرى فى أوسطها علامة الحياة ، وإلى جانبها الأيمن علامة السعادة والأيسر علامة القوة . وكأن الكفين تتضرعان إلى الله أن يجعل حياة صاحبتهما سعيدة متمتعة بالقوة (صورة رقم ٧٣) .

وهذه لوحة قام الفنان بنحتها من قطعة من الأردواز على هيئة سمكة ، وقد طعم مكان العينين بقطعتين من الصدف (صورة رقم ٧٤) .

ولعل فى انتقاء المراود الجميلة الصنع علاقة وثيقة بالتأنق الذى نراه من عادة المرأة الحديثة فى انتقاء أدوات الزينة ، وهذا يثبت أن المرأة هى المرأة فى كل عصر ، فهذه مراود أنيقة دقيقة فيها كثير من الذوق (صورة رقم ٧٥) صنعت منذ أكثر من خمسة آلاف سنة ، وإذا نحن قارناها بأدوات الزينة الحديثة لم نجد فارقا كبيراً يتمشى مع بعد الشقة بين العصرين .

ونستطيع أن نحكم بأن السيدة فى عصر الأسرة الأولى كانت حريصة كل الحرص على زينتها وأدواتها حرص السيدة فى أيامنا هذه على زينتها وأدواتها . ولعل نظرة واحدة إلى (الصورة رقم ٧٦) ترينا جمال سيدات ذلك العصر السحيق وأناقتهن (شكل ٧)

الحلى:


(شكل رقم ٧)

وبعد أن تنتهى السيدة من اللبس وتصفيف الشعر وتجميل الوجه تبدأ فى انتقاء الحليّ، من أساور فى المعصم، إلى العقود الخفيفة أو القلائد التى تغطى جزءاً من الصدر وتضفى على من يلبسها زينة جميلة.

وكانت العقود تستعمل فى الزينة للجنسين، وكذلك الأساور، فكثيراً ما نرى الرجال وقد زينت أياديهم الأساور المختلفة، كما نراهم وقد وضعوا العقود حول رقابهم.

والعقود كانت متعددة الأشكال مختلفة الألوان، نظمت حباتها من متباين الخرز، كالعقيق الأحمر، والهماتيت الأسود المائل إلى الحمرة، أو الألبستر الأبيض، أو الفيانس (القيشانى) الأخضر والأزرق والأبيض. أما حجم الحبة فكان بينه الصغير المستدير، أو المستطيل، وفى بعض الأحيان تكون الحبة على هيئة أسطوانة صغيرة مسطحة.

وكانت طريقة نظم حبات العقد تختلف، فبينما نرى عقداً جميع حباته من حجر العقيق الأحمر نرى آخر وقد استعملت فيه حبة حمراء بجانبها حبة بيضاء، وآخر استعملت فيه حبة سوداء تليها حبة بيضاء ناصعة البياض، وغيره نظم من حبات متباينة الألوان جمعت الأحمر والأخضر والأبيض (الصورتان رقم ٧٧ ورقم ٧٨).

وكثيراً ما نشاهد السيدات الآن يتحلين بعقود كالتى كانت تستعملها السيدات فى عصر الأسرة الأولى مباهيات بأنهن يتحلين بآخر ما وصل إليه الابتكار فى فن الحلى هذه الأيام ، وما دار بخلد إحداهن أن سيدات مصر من ٥٠٠٠ سنة كن أسبق منهن إلى هذا اللون من الحلى .

وأغلب السيدات الآن لا يقنعن بقليل من العقود والأساور ، كذلك كان سيدات الأسرة الأولى يمتلكن الكثير من هذه الحلى ، فقد عثرنا على سبعة عقود وتسع أساور فى مقبرة واحدة (صورة رقم ٧٨) .

أما القلائد الكبيرة (صورة رقم ٧٩) — وكان علماء الآثار يعتقدون أنها لم تظهر قبل الأسرة الرابعة — فقد وجدت فى مقابر الأسرة الأولى . ولو أننا حضرنا إحدى الحفلات الساهرة لأخذنا العجب إذ نرى بعض السيدات فى هذه السهرات متحليات بقلائد على صدورهن لاتختلف عن القلائد القديمة إلا فى نوع الحب المنظوم فيها ، لأن القلائد الحديثة كلها من الخرز اللامع البراق ، بعكس القديم منها ، فقد عثرنا على بعضها منظوماً من حبات من الأحجار النصف الكريمة مثل : العقيق ، والأماتيست ، واللابسلازولى .

والعقود الحديثة تتوسطها أحياناً « دلايات » على أشكال مختلفة ، وكذلك عثرنا على مايشابه هذا فى كثير من العقود المكتشفة فى مقابر الأسرة الأولى ، وكانت هذه « الدلايات » تمثل أشياء كثيرة ، فنها مايمثل لنا الصقر فى مركب الإله « رع » المقدس أو الضفدعة .

وقد عمد الفنان إلى عمل بعض حبات العقود على هيئة فرس البحر أو الذبابة أو

الجراد ، وقد أجاد فى صنعته لدرجة أن الإنسان إذا نظر إلى إحدى هذه القطع خالها حقيقية لإتقان صنعها أولا ولاختيار الحجر الذى يحاكى لونه لون مايراد تمثيله ثانيا .

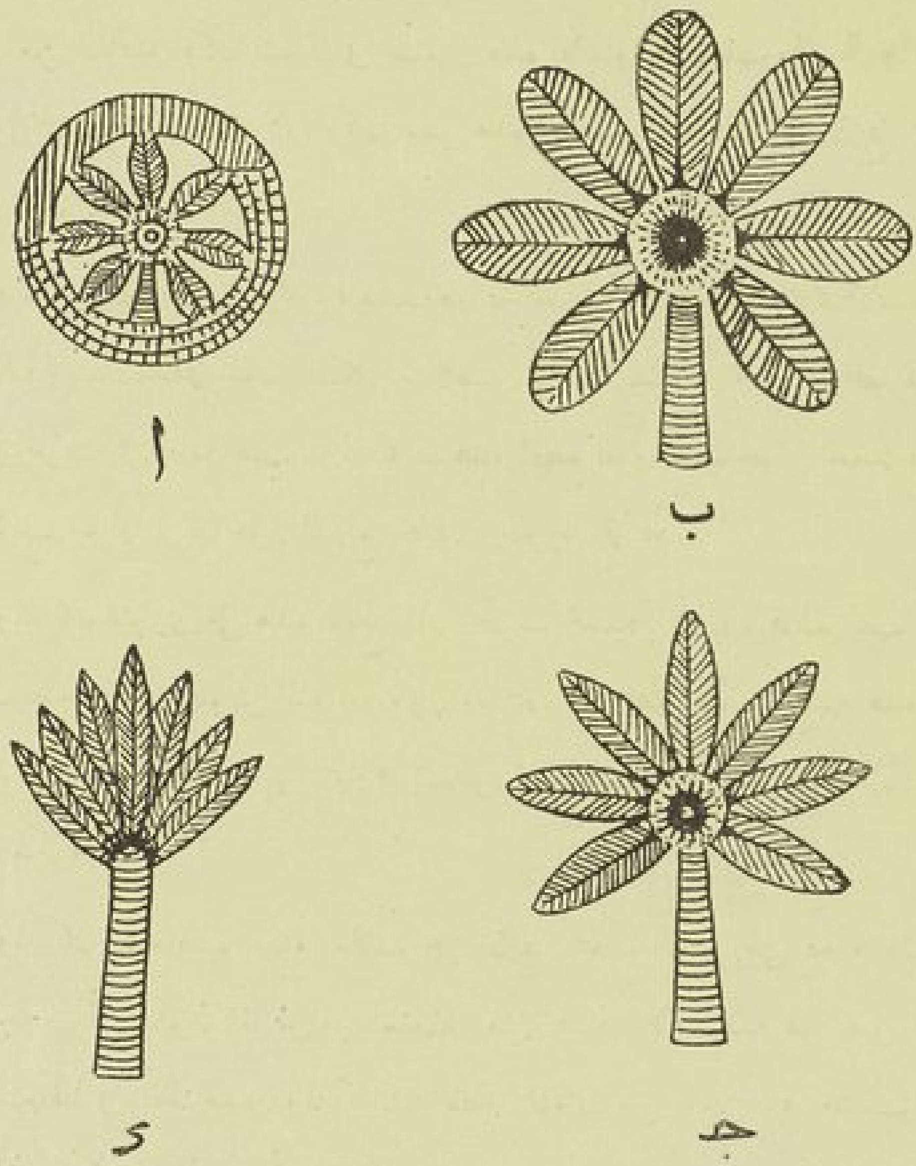
ولعل أجمل تلك القطع وأروعها تمثيلا تلك القطعة التى عثرنا عليها فى المقبرة رقم ٤٤٠ ح ٥ ومعها أربعة عقود من خرز القيشانى الأخضر على شكل أسطوانات مسطحة صغيرة (صورة رقم ٨٠) .

والقطعة عبارة عن دائرة فيها ثمانية فروع تلتقى فى الوسط عند دائرة صغيرة فيها ثقب على هيئة عجلة (صورة رقم ٨١) .

وإذا دققنا النظر فى هذه الدائرة وفروعها وجدنا سبعة من هذه الفروع متشابهة تماماً ، والفرع الثامن يختلف عنها جميعها (شكل ٨ : ا) .

وبعد دراسة طويلة رأيت أن أرفع الإطار وأترك الفروع وحدها فظهر أمامى جذع شجرة حوله سبعة فروع (شكل ٨ : ب) ، وإذا رسمنا لهذا الجذع رسماً يبين الفروع مرفوعة قليلا ظهرت أمامنا شبه نخلة (شكل ٨ : ج) ، فإذا رفعنا الفروع إلى أعلى (شكل ٨ : د) كانت أمامنا نخلة بسعفها المرتفع الذى يتوج الجذع .

ويظهر أن المثّال الذى قام بعمل تلك القطعة لتكون حلية تعلق من الثقب الأوسط فى أحد العقود أو بمفردها كان متأثراً بجمال النخلة وجلال منظرها وقد توجها السعف الأخضر ، فلم يجد حيلة تمكنه من إبرازها جميلة أخاذة إلا بوضعها فى إطار مستدير بحيث يكون الجذع والسعف على شكل فروع يتوسطها ثقب بأعلى مكان فى الجذع حيث يتفرع السعف ، لكى يمكن تعليق القطعة على هيئة « دلاية » لأحد العقود ، أو أن تستعمل كحلية بمفردها يعلقها صاحبها على صدره .



(شكل ٨)

أما الأساور فقد صنعها المصرى القديم من : الأردواز، وسن الفيل ، والخرز الملون ، والأحجار النصف الكريمة كالعقيق . وكان من الأردواز وسن الفيل الرفيع والعريض أساور كالتى تستعملها سيدات العصر الحاضر . ومنها ما كان يوضع على المعصم أو على الجزء

العلوى من الساعد ، وكان يشترك فى استعمال هذه الأساور السيدات والرجال والأطفال (الصورتان رقم ٨٢ ورقم ٨٣) ، وكان بعض هذه الأساور يعثر عليها على أذرع أصحابها (صورة رقم ٨٤) .

ولعل أكثر الأشياء إثارة لدهشتنا فيما عثرنا عليه ثلاث قطع بمثابة الأساور من حجر الدولوسيت الناعم الملمس تكاد أشكالها تكون بيضاوية لولا أطرافها المدببة ، وكان فى طرف كل قطعة ثقب . ولما كانت هذه القطع قد وجدت بجوار المعصم فلاشك أنها كانت سواراً يربط حول الذراع بخيط (صورة رقم ٨٥) .

ولما كان عثورى على هذه القطع إبان الحرب العالمية الأخيرة فقد لفت نظرى ما كان يضعه رجال الجيوش المتحالفة حول معاصمهم من قطع معدنية تشبه هذه القطع إلى حد كبير وقد كتبت عليها أسماؤهم لتكون وسيلة إلى التعرف عليهم إذا حل بأحدهم مكروه .

ولما كان وضع هذه القطع الثلاث على أذرع أصحاب المقابر التى عثرنا عليها فيها فإنى رجحت أن يكون الغرض من استعمالها من خمسة آلاف سنة هو نفس الغرض من استعمالها فى أيامنا هذه . ولما كانت القطع الثلاث من حجر ناعم متفتت فأغلب الظن أن ما كان عليها من الأسماء قد محى .

وقد أخبرنى أحد الثقات فى هذا الصدد أن أول استعمال لهذه القطع المعدنية فى العصر الحاضر كان فى باريس بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان أول من استعمله السيدات، فقد كانت السيدة تضع فى أسفل رجلها ، مكان الخلخال ، قطعة من المعدن ، يختلف نوعه حسب حالة السيدة المالية ، وكانت تكتب على هذه القطعة اسمها . وبعد ذلك

ابتدأ استعمال هـذه القطع حول المعصم حتى انتشر أيام الحرب الأخيرة كما أسلفنا ، وتعدى استعمالها رجال الجيش إلى المدنيين من سيدات ورجال . وقد انتشرت هذه العادة حتى إن بعض المصريين قد قلدوها بين مايقلدون من عادات أجنبية .

وبكشف هذه القطع جاز لنا أن نقول إن هذه العادة مصرية قديمة استعملها قدماء المصريين من خمسة آلاف سنة ، قبل أن تعود إلى الظهور فى الغرب على أنها أحـدث ما وصل اليه أهله من وسيلة للزينة وللتعرف على صاحبها فى نفس الوقت .

الطعام والشراب :

إن طريقة استعمال الطعام عند شعب من الشعوب تعد دليلا على مدنيته ومدى علمه بما يفيده الجسم منه ، كما تدل الوسائل لتناوله على مقدار رقى هذا الشعب ومبلغ حضـارته .

وقد وقفنا على كثير من أنواع الأطعمة وتعدد ألوانهـا فى الأسرات التى دونت المناظر اليومية لحياة أصحابهـا على جدران مقابرهم . أما الأسرة الأولى والثانية فكانت تنقصنا معرفة أنواع طعامهما حتى تيسر لنا ذلك على ضوء الحفائر الملكيـة بحلوان، إذ وجدنا كثيراً من هذه الأطعمة التى أكدت لنا شدة اهتمام المصريين القدماء بما يتناولون منها ، كما أن حفائر مصلحة الآثار بسقارة دلتنا على بعض هذه الأنواع فى عصر هاتين الأسرتين .

فقد كان يحفظ فى مخازن المقابر كميات كبيرة من المأكولات المختلفة بعضها معـد للأكل مطهياً ، وبعضها وضع بدون طهى حتى إذا احتاج صاحب المقبرة إلى المزيد وجد لديه ما يطهيه .

وقد استطعنا أن نعرف أنهم كانوا يأكلون اللحم من أنواع متعددة ، مثل الضأن ، والماعز ، والغزلان ، والبقر ، والثيران . كذلك استعملوا لحوم الطيور ، مثل البط ، والأوز ، والحمام ، والسمان ، كما أنهم استعملوا السمك .

أما الخضروات فقد كانت عندهم ضرورية . ومثلها البقول، ومنها : العدس، والفول والحمص ، واللوبية .

وكان من الفواكه عندهم : العنب ، والتين ، والنبق ، والجميز ، والرمان ، والبلح ، والدوم ، والخروب ، والزبيب.

وقد عرفوا اللبن وعملوا منه الجبن والزبدة .

وكان الخبز عندهم مختلف الأنواع ، فمنه ما خبز من دقيق أبيض ، وكانت أشكاله كثيرة ، فهناك الرغيف المستدير ، والمثلث ، والمخروطى الشكل . ولم يقتصروا على الخبز ، بل عملوا الفطائر المتعددة الأنواع .

أما المشروبات فقد كان منها ما صنع من العنب مثل النبيذ ، أو من الشعير مثل البيرة ، أو من البلح مثل العرق ، أو من التين والزبيب . وما زال عرق البلح معروفا فى مصر حتى الآن .

وكانت وجبة الطعام عندهم متعددة الألوان ، فقد وجدنا فى مقبرة من الأسرة الثانية فى سقارة لأحد الأشراف وجبة كاملة بجانب التابوت الذى وضعت فيه جثته ، وقد صفت صحافها بحيث تكون فى متناول يده عند بعثه . وهذه الصحاف عبارة عن أوان من المرمر والألبستر والأردواز ، وأطباق من الفخار ، فيها ألوان متعددة من الطعام تدلنا على ما كانت عليه مائدة رجل من الأشراف فى ذلك العصر السحيق الذى يرجع إلى قرابة خمسة آلاف سنة .

ولما كانت ألوان الطعام فى حالة جيدة من الحفظ فقد أمكننا أن نعرف أن أحد الأطباق كان به سمان ، والثانى كان به حمام . ولعل القارىء يدهش إذا عرف أن الحمام كان محشواً على الطريقة المصرية المتبعة الآن . والثالث كان به سمك ، والرابع به لحم ثور صنع على الطريقة المصرية الحديثة المعروفة عندنا بالضلع البقرى ، والخامس والسادس بهما بقول ، والسابع به قطعتان من الكبد ، والثامن به فطائر مستديرة ، والتاسع به فطائر مثلثة الشكل . هذا عدا ثلاثة أطباق لم نستطع الوقوف على ما حوته . أى أن هذه المائدة كان عليها اثنا عشر نوعا من الطعام .

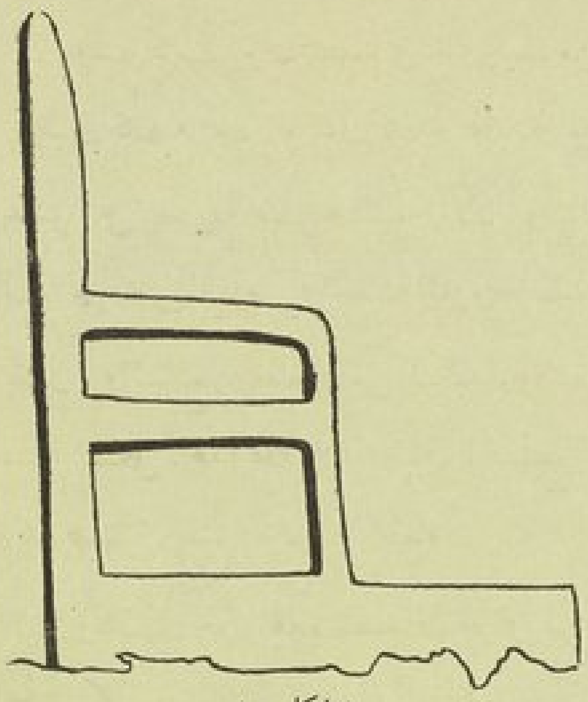
وكان إلى جوار هذه الصحاف جرار من الفخار أغلب الظن أنها كانت تحوى الخمور كالنبيذ والبيرة والعرق . كما وجدت أوان من الفخار صغيرة الحجم مغلقة بسدادات من الطين ، وقد كتب عليها اسم الفاكهة التى كانت تحويها بمداد أسود ، وهى النبق المعروف .

ومن وضع الأطباق المصنوعة من المرمر والألبستر والأردواز وبجانبها الصحاف من الفخار أمكننا أن نعرف أن المصرى فى ذلك العصر كان يضع الطعام فى صحاف من الفخار ويأخذ ما يحتاج إليه منه فى طبق من المرمر أو الألبستر أو الأردواز ، وميزة وضع الأكل فى الصحاف المصنوعة من الفخار أن الفخار يحفظ الأكل ساخنا .

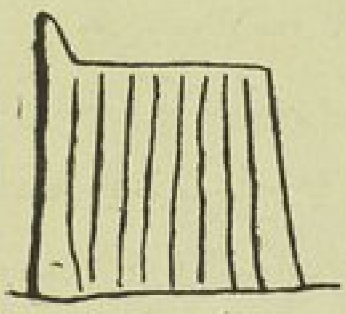
الكراسى والموائد والأسرة :

وتدلنا اللوحات الجنائزية التى عثرنا عليها على أن هؤلاء القوم كانوا يأكلون وهم جلوس على الكراسى وأمامهم الموائد ، كما كانوا يتناولون الطعام بالملاعق التى وجدنا منها

أنواعا كثيرة . وليس هناك ما يدلنا على أن شعباً آخر غير المصريين كان يستعمل هذه الطريقة فى تناول طعامه (راجع الصور من ٥٢ إلى ٥٦ والصورتين٦٩و ٧٦) .


(شكل ٩)

وكانت الكراسى فى هذا العصر مختلفة الأشكال كثيرة النماذج ، ممايدلنا على مقدار تفكير الصانع وحبه فى الابتكار ، فهذا كرسى له مسند للظهر مرتفع ، وجانبان مرتفعان قليلا لكى يستطيع الجالس عليه أن يريح ذراعيه عليهما (شكل ٩) ، وهذا الكرسى لا يختلف عن نظائره اليوم من حيث الظهر والجانبان والأرجل البسيطة .

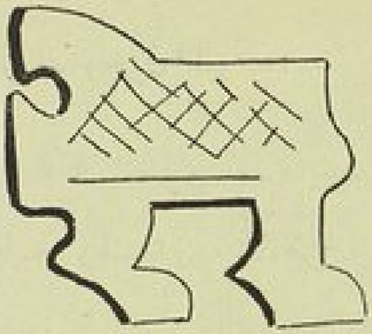

(شكل ١٠)

وهذا كرسى ثان له مسند للظهر قصير (شكل ١٠) ، ويخيل إلى من يراه أنه صنع لكى توضع عليه كسوة من القماش كالكسى التى تستعمل الآن لوقاية الكراسى المكسوة بالقطيفة أوالحرير من الأتربة .

وهناك كرسى ثالث له أرجل سميكة ، وقد صنع بحيث يشبه تلك الكراسى ذات المقاعد المصنوعة من القش المضفور (شكل ١١) .

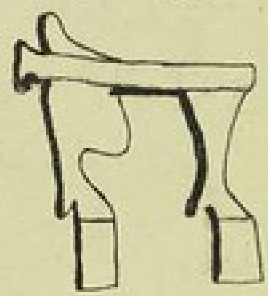
أما الكرسى الرابع فقد صنع بسيطاً تمثل صانعه حشية على قاعدته تحمل الجالس

عليه مستريحا ، أما أرجله فقد صنعت على هيئة أرجل الثيران بحوافرها (شكل ١٢) .



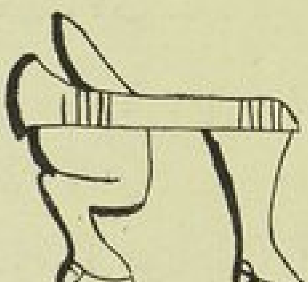
(شكل ١١)

وإليك كرسياً خامساً تفنن الصانع فى صنعه ، فوضع الحشية على قاعدته ، ثم عمد إلى هذه القاعدة فصنع فى طرفيها خطوطا رأسية على أعلى الأرجل الأمامية والخلفية ، ليظن من يراها أنها تربط القاعدة بالأرجل . وقد جعل حوافر الثور نهاية للأرجل ، ووضع الحافر على قاعدة جعل لها خطوطا أفقية (شكل ١٣) .



(شكل ١٢)

وقد كان السرير معروفا عندهم . وإذا لم نكن عثرنا على أثر لهذه الأسرة فى الحفائر الملكية بحلوان فقد عثرنا على آثار لها فى الحفائر التى قمنا بها فى سقارة [1] . ولما كان عصر المنطقتين واحداً فقد حق لنا أن نقول إن هؤلاء القوم كانوا يستعملون الأسرة لنومهم ، كما كانوا يجلسون على الكراسى ، ويأكلون وجباتهم على الموائد ، ويتناولون طعامهم فى أطباق وصحاف جميلة بواسطة ملاعق .



(شكل ١٣)

(١)W. B. Emery and Zaki Y. Saad, Excavations at Saqqara, The Tomb of Hor-Aha, P. 63-64

الزراعة وخزن الحبوب :

كان المصرى القديم بعيد النظر ، يعد لأمر حياته العدة ليكفل لنفسه وأهله حياة طيبة . وعندما زرع الأرض كان يفكر فى قوته وقوت مواشيه وما يلبس من الثياب . فقد زرع القمح والشعير والعدس ، كما زرع الكتان وصنع منه القماش (راجع الصورتين رقم ٦٧ ورقم ٦٨) ، كما أنه صنع ثيابه كذلك من الصوف .

وعندما حصد قمحه وشعيره فكر فى خزن مايحتاج إليه طول أيام السنة حتى يأتى المحصول الجديد . وقد هداه تفكيره إلى عمـــل الصوامع بطريقة مازالت متبعة حتى الآن فى مصر وغيرها من بلاد العالم ، إلا أنه كان له قصب السبق فى هذا الشأن منذ خمسة آلاف سنة .

وقد عثرنا على صوامع منها ما كان يستعمل فعلا فى خزن الحبوب ، ومنها ما كان نماذج توضع مع المتوفى فى مقبرته (الصورتان رقم ٢٢ ورقم ٢٣) . وعثرنا على أربع صوامع فى مخزن المقبرة رقم ١٥٠٢ ح ٤ وهى مصنوعة من الفخار ، وقد وجدنا فيها أنواعا من القمح والشعير والعدس (صورة رقم ٨٦) .

وعثرنا على مقبرة كبيرة بجوارها حفرة مستطيلة الشكل بنيت فيها صوامع من الطوب الأخضر مستديرة الشكل (صورة رقم ٨٧) ، وتدلنا الأجزاء الباقية منها على أن قواعدها كانت أوسع من أجزائها العليا ، ومن الراجح أن ارتفاعها كان لايقل عن ثلاثة أمتار [1] .

(1) The Royal Excavations at Helwan p. 20 PL. XVIII b, XIX a and XIX 6.b

صيد الحيوانات والسمك :

أما صيد الحيوانات فقد كانوا يمارسونه فى الغابات التى كانت تكتنف أراضيهم، أو فى الصحارى المجاورة لحدود الوادى الخصيب. وقد عثرنا بجوار إحدى المقابر على قرون لحيوان الوعل كانت مكسورة ثم رممت، ولا يكون هذا الترميم إلا نتيجة لكسر هذه القرون وشدة حاجتهم إليها. وأغلب الظن أنها كانت تزين جدران حجرات منزل صاحب هذه المقبرة ورأى أن تدفن معه مع مادفن من حاجاته العزيزة عليه (صورة رقم ٨٨) ولسنا نستطيع الفصل فى هل كان صاحب هذه المقبرة من الصيادين المحترفين أم كان هاويا، ولكن يغلب على الظن أنه كان من الهواة لعظم مركزه الاجتماعى بدليل مقبرته الكبيرة الحجم، ولا شك أنه كان يمضى بعض أوقات فراغه فى إشباع هذه الهواية، ثم إنه كان يزين جدران منزله ببعض الأجزاء الصالحة للزينة من صيده.

أما صيد السمك فقد كان على الأرجح معروفا. وكان المصرى القديم يمارسه بعدة طرق، لم نعثر إلا على واحدة منها وهى الصنانير، فقد عثرنا فى المقبرة رقم ٧٤١ ح ٥ على عشر صنانير مصنوعة من النحاس (صورة رقم ٣٦)، وكان مع الصنانير قطعتان من الحجر مخروطيتا الشكل، بجزئيهما العلوى ثقب، وكانت هذه القطع تربط فى الخيط فوق الصنارة حتى لايجرفها تيار الماء.

وقد صنعت هذه الصنانير العشر من أحجام مختلفة، ففيها الصغير الحجم وفيها الكبير الحجم، وهذا يدلنا على أن الصياد كان يحتاط لكل شىء، فالسمك الكبير

له عنده صنانير كبيرة الحجم ، كما أن السمك الصغير لا يمكن صيده إلا بصنارة دقيقة الحجم .

الحـــرب :

كان المصرى منذ أقدم العصور حريصا على استقلال بلاده ورد أى عدوان عليها . وليس هذا فحسب ، بل كثيراً ما كان يغير على القبائل المجاورة ، على سبيل تأديب أهلها إذا بدرت منهم بادرة يشتم منها العدوان .

وكان الملك يذهب على رأس جيشه فى الحملات والغزوات ، ويحف به أمراء البلاد وأشرافها ، وكلهم مدجج بالسلاح . وعدتهم فى الحرب أسلحة كانت تعتبر فتاكة فى ذلك العصر السحيق .

وكان القوس والسهم أهم هذه الأسلحة . وقد عثرنا على كثير من رؤوس السهام بعضها مصنوع من الصوان وبعضها من سن الفيل .

وكانت بعض رؤوس السهام من سن الفيل لها طرف حاد أثبتت بعض التحاليل الكيماوية وجود السم فيها بحيث كانت تقضى القضاء المبرم على من تصيبه .

وكانت عندهم السيوف الكبيرة الطويلة النصل المصنوعة من النحاس ، وكانت لها مقابض إما من الخشب أو من العاج .

كما أنهم كانوا يستعملون الخناجر أيضا .

أوقات الفراغ :

كان على المصرى القديم أن يبحث عن طريقة يمضى بها أوقات فراغه ، فهـــداه تفكيره إلى بعض الألعاب للتسلية داخل منزله ، مع زوجته أو أصدقائه ، وقد عثرنا على كثير من قطعها التى كانوا يستعملونها فيها ، ومن بينها لعبة كاملة من هذه اللعب ، وهى سبع قطع مخروطية الشكل وسبع قطع أخرى أسطوانية كنصف دائرة ، وجميعها من حجر الألبستر ، وكان بجوار هذه الأربع عشرة قطعة ستون حبة من مختلف الأحجار والألوان والأشكال ، منها المستديرة والبيضاوية والمخروطية ، وتختلف مادة الأحجار التى صنعت منها فبعضها من الألبستر وبعضها من الأردواز وبعضها من الحجر الجيرى الأصفر (صورة رقم ٨٩)

أما طريقة اللعب بهذه القطع فلم نستطع معرفتها ، وأما وجود الحبات الستين المختلفة فالتعليل الذى توصلت إليه هو أنها كانت مستعملة كما يستعمل فيش اللعب الآن فى المقامرة ، واختلاف هذه الحبات بعضها عن بعض كان للتفريق بين كل نوع ، فهذا النوع تختلف قيمته عن النوع الآخر مثل الفيش تماما ، فكما أن لكل نوع من الفيش قيمة يتفق عليها فى عصرنا هذا ، كذلك كانت لكل نوع من هـذه الحبات عند المصريين فى عصر الأسرة الأولى قيمة متفق عليها أيضاً .

وقد عثرنا على كثير من قطع اللعب مصنوعة من سن الفيل ، وهى مختلفة فى الأشكال ، إلا أنها لنفس اللعبة الكاملة (صور رقم ٩٠)

وإن وجود الألعاب المنزلية للتسلية عند شعب لهو دليل ساطع على مقدار الرقى

الفكرى لهذا الشعب ، إذ أنه فكر فى تمضية وقته بعد العمل المضنى فى ممارسة رياضة فكرية يسرى بها عن نفسه ويجدد بها نشاطه ، لكى يستطيع العودة إلى عمله بعد ذلك بهمة ونشاط .

أما الألعاب التى كانوا يمارسونها خارج منازلهم فليس شك فى أنها هى التى دونت على جدران المقابر فى الأسرات التالية . والسبب فى عدم عثورنا على آثار لها هو أن هذه الألعاب لم يكن يصنع لها تماثيل توضع فى المقابر ، بل كانت إما مدونة على جدران المقابر أو على أوراق البردى ، ولم نعثر على شىء من هذا القبيل حتى الآن .

الكِتابة

عرفت الكتابة فى مصر من عصر قديم سبق الأسرة الأولى بسنين طويلة ، ودليلنا على قدم استعمالها أنها كتبت فى الأسرة الأولى بطريقة لا تدع مجالا للجدل ، إذ أن المبتدىء فى الكتابة لا يستطيع استعمالها بسرعة بل يكب فى أناة تجعل لحروفه شكلا خاصاً ، فقد عثرنا على أوان من الفخار كتبت أسماء محتوياتها بخط سريع مثـــل السرعة المعروفة عندنا فى خط الرقعة ، كما أن أسماء الملوك قد كتبت بعناية فائقة ودقة لا تتأتى إلا لمن يحسن الكتابة ومارسها مدة طويلة .

فهذا اسم الملك « حوراحا » أول ملوك الأسرة الأولى نجده مكتوباً بعناية على قطعة من إناء مصنوع من حجر الألبستر (صورة رقم ٩١) ونرى الصقر وقد حفر بدقة وعناية على واجهة القصر الملكى وهو قابض على الحربة بأحد مخالبه .

وعلى قطعة من الأردواز عثرنا على اسم الملك « كاع » آخر ملوك الأسرة الأولى ، وقد رسم الصقر وهو واقف على واجهة القصر الملكى بعناية فائقة ، وداخل الواجهة نجد اسم الملك محفوراً بإتقان لا يتأتى لمبتدىء فى فن الكتابة (صورة رقم ٩٢)

وبينما كنا نعمل فى المقبرة رقم ٧٢٨ح ٥ عثرنا على قطع من سن الفيل وعلى بعض منها نقوش باللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية » . وعند جمع هذه القطع وجدنا أنها تكمل الجزء العلوى من لوحة من العاج (صورة رقم ٩٣) ، وفى أعلاها اسم الملكة « نيت حتب »

وتحت الاسم وجه الملكة وقد صففت شعرها تصفيفاً جميلا (شكل ١٤) . وإن كان الجزء السفلى من هذه اللوحة مفقوداً إلا أننا كنا سعداء الحظ فى العثور على الجزء الأعلي ، ولأول مرة نرى عليه وجه ملكة مهمة كانت تحكم الوجه البحرى ، وقد ذكر المؤرخون أنها تزوجت الملك « حوراحا »[1] الذى كان يحكم الوجه القبلى ، وبهذا الزواج الذى يعتبر أول زواج سياسى فى العالم أصبحت مصر مملكة واحدة بعد أن كانت مملكتين ، مملكة الوجه البحرى ومملكة الوجه القبلى ، وبذلك التوحيد لبس ملوك مصر التاجين معاً على شكل تاج واحد .



(شكل ١٤)

ولعل من الضرورى أن أوضح هنا أن توحيد الوجهين لم يتم بواسطة الحرب بل تم نتيجة لهذا الزواج بهدوء كان يشمل المملكة . ولو أن هذا التوحيد تم نتيجة حروب بين الوجه القبلى والوجه البحرى لما استطاع الملك أن يترك البلاد عقب ذلك ويذهب لغزو بلاد النوبة ، وكذلك غزو الليبيين[2] ، إذ يقتضى هذا الغزو أن يترك الملك البلاد ليكون

(١) Drioton et Vandier, Les peuples de L'Orient Méditerranéen, II, L'Egypte, p.137 et 139.

(٢) Driot on et Vandier, Les peuples de L'Orient Médterranéen, II. L'Egypte p. 138.

على رأس جيشه . ولا يمكن لملك أخضع الوجه البحرى بالعنف أن يتركه هكذا ، اللهم إلا إذا كان هذا الإخضاع كما أقول نتيجة اتحاد سلمى قبله أهل مصر السفلى راضين ، وقبلته ملكتهم فرحة بهذا الاتحاد ، عقب الزواج الذى تم بينها وبين ملك مصر العليا .

ولما كنا قد عثرنا على مقبرة الملك « حوراحا » فى سقارة[1] فمن المؤكد أنه كان يقيم فى العاصمة الجديدة ممفيس (الحائط الأبيض) ، إذ لا يعقل أن يموت فى ممفيس ويدفن فى أبيدوس بالقرب من طيبة العاصمة القديمة للوجه القبلى ، أو العكس ، أو أن يكون فى مقر الملك طيبة ، وبعد موته تحمل جثته لدفنها فى سقارة ، لبعد المسافة بين المكانين ، ولأن التحنيط فى ذلك العصر لم يكن قد بلغ ذروة الكمال .

والعثور على مقبرة أول ملوك الأسرة فى جبانة سقارة يثبت لنا أن العاصمة الجديدة اتخذت مقراً للحكم منذ توحيد القطرين وإنشاء هذه العاصمة .

وكان المصرى فى هذا العصر حريصاً على أن يدون اسم الملك واسم صاحب المقبرة على سدادات الأوانى التى يحفظ فيها طعامه وشرابه (صورة رقم ٩٤) . وكانت هذه السدادات مصنوعة من الطين أو الطفل المخلوط بألياف النخيل أو القش ، وقبل أن تجف السدادة يمر على جوانبها خاتم أسطوانى الشكل مصنوع من الحجر وقد نقش عليه اسم الموظف أو اسم الملك (صورة رقم ٩٥) ، ونرى على هذا الخاتم زرافتين بينهما شجرة ، أما الزرافة التى إلى اليسار فنرى فى الفضاء الذى فوقها رسماً يقرب من رسم التمساح ، وأمامها فى الفضاء الذى بينها وبين الشجرة رسم يشبه رمز الإله « مين » ، وفى الفضاء الذى فوق الزرافة التى إلى اليمين نرى رسم واجهة القصر الملكى فوقها الصقر

(١) W.B. Emery and Zaki Y. Saad, Excavations at Saqqara, The Tomb of King Hor-Aha

وهو اسم الملك « حوراحا » ، وخلف الزرافة نرى رسم رجل له وجه طائر وقد رفع يديه من عند المنكبين إلى أعلى ، ولكل يد ثلاثة أصابع .

وهذا خاتم آخر من حجر الجماتيت وعليه اسم أحد الموظفين (صورة رقم ٩٦) ، ويلاحظ أن الحروف محفورة بعناية فائقة .

وكان من عادة المصريين أن يسجلوا اسم المادة التى تحويها الآنية على بطاقات من العاج وبجانب اسم المادة اسم صاحب المقبرة وكذلك رسم الآنية ، فقد عثرنا على ثلاث بطاقات من العاج فى مقبرة واحدة هى المقبرة رقم ٦٣٥ ح ٩ وعلى كل منها اسم صاحب المقبرة واسم المادة التى فى الإناء ثم رسم الإناء . ويلاحظ الثقب الذى فى أعلى البطاقة إلى الجهة اليمنى حيث يمكن ربطها بعنق الإناء (صورة رقم ٩٧)

وكانت طريقة الكتابة فى هذا العصر إما بالنحت على الأحجار أو بالكتابة على الأوانى والبطاقات ، وقد استعمل فى ذلك الحبر الأسود وكذلك الحبر الأحمر .

وكانت المحابر المستعملة لهذا الغرض من حجر الأردواز ، ولعل اختيارهم لهذا الحجر راجع إلى أن هذا الحجر عديم المسام فلا يتسرب منه الحبر .

وقد عثرنا على محبرة من حجر الأردواز ، مستطيلة الشكل ، ومقسمة إلى قسمين مستديرين أحدهما للحبر الأحمر والآخر للحبر الأسود ، وقد وجدنا كلا النوعين كما تركه الكاتب من خمسة آلاف سنة (صورة رقم ٩٨)

كما عثرنا فى المقبرة رقم ٢٧٠ ح ٥ على محبرة ثانية مستطيلة الشكل أيضا ، ولكنها

مقسمة إلى قسمين مستطيلين ، ولهذه المحبرة غطاء ، وقد صنعت المحبرة والغطاء من حجر الأردواز ، ونرى المحبرة وعليها الغطاء (فى الصورة رقم ٩٩) ، ويلاحظ إتقان وضع الغطاء على المحبرة ، ونرى المحبرة وبجانبها الغطاء (فى الصورة رقم ١٠٠) وقد ظهر القسمان المخصصان للحبر الأسود والأحمر ، كما نشاهدها وهى إلى جوار كتف صاحب المقبرة الأيمن وبجانبها الغطاء (صورة رقم ١٠١)

أما الأقلام التى كانت تستعمل فى الكتابة فيغلب على الظن أنها كانت من الغاب ، ولكننا لم نعثر على شىء منها .

طرق المواصلات :

كان الانتقال من مكان إلى مكان فى عصر الأسرتين الأولى والثانية يتطلب وسائل مريحة سهلة ، وكذلك نقل الأدوات والأحجار اللازمة للبناء .

أما انتقال الأشخاص على البر فأغلب الظن أنه كان على ظهور الحمير ، بدليل عثورنا بجوار ثلاث مقابر كبيرة الحجم على مقابر ثلاث تحوى كل واحدة منها جثثاً لثلاثة حمير كبيرة الحجم ، ولعلها كانت عزيزة على أصحابها فدفنوها بجوار مقابرهم (صورة رقم ١٢١)

أما الانتقال على الماء ، وهو النيل ، فكانت وسيلتهم فى ذلك هى المراكب ، وقد ثبت بالدليل القاطع أنهم كانوا يستخدمونها ، فقد عثرنا على كثير من نماذجها فى المقابر (الصور من ١٠٧ إلى ١٠٩) ، وكذلك عثرنا بجوار المقابر على مراكب كبيرة الحجم من

الخشب (الصور من ١١٠ إلى ١١٣) . وليس ثمة شك فى أن أمثال هذه المراكب كانت تستعمل فى الانتقال من جهة إلى أخرى .

أما الأحجار فكانت توضع على قطع كبيرة من الخشب يحملها الماء إلى الجهات التى يراد نقلها إليها ، وأما على البر فكانت توضع تحتها قطع مستديرة من الخشب تدحرج عليها الكتل الحجرية .

الدّيانة

لم تكن الديانة عند المصريين فى الأسرة الأولى والثانية جديدة ، بل كانت من أقدم ما وصل إليهم مع ما وصل من فن وعلم وحضارة ، فقد عثرنا على رموز آلهة كان علماء الآثار يظنون أنها متأخرة ، إلا أن العثور عليها فى منطقة الحفائر الملكية بحلوان قضى على هذا الزعم .

فقد عثرنا على رمز الإله « أوزيريس »، وفى الصورة رقم ١٠٢ قطعتان من العاج[١] هما لهذا الإله ، ويقال إنه كان يمثل على هيئة شجرة جذعها مستقيم وقد ربطت فروعها طبقات بعضها فوق بعض ، وإن من يدقق النظر فى الرمزين المعروضين فى الصورة ليرى أن الفنان آلى على نفسه أن يظهر براعته الفنية فى إبراز الفروع جلية واضحة فى كل طبقة .

وعثرنا على قطعة من سن الفيل تمثل الرمز المعروف للالهة « إيزيس » على هيئة يد ملعقة . وكذلك عثرنا على قطعة من سن الفيل ربما كانت غطاء لصندوق صغير ، وقد حلى ظهر الغطاء برسمين بارزين لرمز الإلهة « إيزيس » تحتهما علامة السلام «حتب» . وتدل صناعة هذه القطعة على مهارة فائقة فى فن الحفر على سن الفيل (صورة رقم ١٠٣)

وقد عثرنا على قطع كثيرة من القيشانى « الفيانس » الأخضر تمثل الصقر رمز الإله « حوريس » ، وهو ابن الإله « أوزيريس » والإلهة « إيزيس » (صورة رقم ١٠٤)

(١) Zaki Y. Saad, The Royal Excavations at Saqqara and Helwan p. 27 Pls. XIV b. and XV.

كما عثرنا على رمز للالهة « نخبيت » ، وكانت تمثل بطائر الرخم ، وكانت معبودة مقاطعة نخن (الـكاب) (صورة رقم ١٠٤ إلى يمين الصف الأخير)

وقد عثرنا على قطع من القيشانى الأخضر (الفيانس) والألبستر تمثل رمز الإله « مين » (صورة رقم ١٠٥).

وفى أسفل القطع التى تمثل رمز الإله « حوريس » ثقوب ، وهناك ثقوب مماثلة فى القطع التى تمثل رمز الإله « مين » ، وقد تبـــادر إلى ذهنى فى أول الأمر أن هذه الثقوب كانت تسهل رفع هذه الرموز على عصىّ كى تستعمل بمثابة مميزات للأقاليم المختلفة ، إلا أننا عثرنا فى نفس المنطقة على قطعة من النحاس هى رمز الإله « حوريس » وهو معتلٍ رمز الإله « مين » (صورة رقم ١٠٦) ، وعلى ضوء هذه القطعة ثبت لنا أن القطع ذات الثقوب كانت تجمع الرمزين معاً فى قطعة واحدة تمثل الإله « حوريس » مع الإله « مين » ، وهذا الائتلاف بين هذين الإلاهين هو الأول من نوعه.

فإن دل عثورنا على هذه الرموز المخصصة لهذه الآلهة على شىء فإنما يدلنا على أن قدماء المصريين فى عصر الأسرة الأولى كانوا يعبدون الآلهة : « أوزيريس » و « حوريس » و « نخبيت » و « مين » ، وليس هذا فحسب ، بل إن اعتمادهم بهـــذه الآلهة لم يكن جديداً ، وإنما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ، والدليل على ذلك إتقانهم لتلك الرموز ، وكذلك الائتلاف الذى وجدناه بين الإله « حوريس » والإله « مين » ، فإن ائتلافاً مثل هذا لا يمكن أن يتم دون أن تـكون هذه الآلهة قد عرفت من عهد بعيـــد ، ورأى الـكهنة أن يجمعوا بين هذين الإلاهين فى عبارة واحدة ، إما حسماً لنزاع ، وإما تقوية لكلتا العبادتين بجمعهما معاً.

المراكب :

كان المعتقد أن ظهور المراكب بجوار المقابر بدأ فى عهد الأسرة الرابعة بجوار الأهرامات فقط ، إلا أننا عثرنا على مركب بجوار المقبرة التى كشفناها فى سقارة لحامل أختام الملك « دن » وهو « حما كا » ، وكذلك عثرنا على مركب آخر بجوار مقبرة الملك « حوراحا » ، فرجحنا أن هـذا الإجراء كان وقفاً على الملوك وكبار موظفيهم فى الأسرة الأولى .

ولما بدأنا العمل فى منطقة الحفائر الملكية بحلوان عثرنا على نموذج لمركب صنع من العاج فى المقبرة رقم ٧١٣ ح (صورة رقم ١٠٧) ، ولم نجدها سليمة ، بل ينقص منها جزؤها الخلفى ، مع أن المقبرة التى وجدت فيها كانت سليمة . وهذا يدلنا على أنها وضعت فى المقبرة على هذه الحال[١] .

وعثرنا كذلك على نموذج من الحجر الجيرى الأصفر لمركب صنع على شكل المراكب المصنوعة من سيقان البردى المضفور (صورة رقم ١٠٨) ، وكذلك عثرنا على نموذج آخر لمركب صنع من الفخار (صورة رقم ١٠٩)

ولم يقتصر الكشف على هذه النماذج التى أعطتنـــا فكرة عن معرفة قدماء المصريين فى عصر الأسرة الأولى للمراكب بوضعهم هذه النماذج فى مقابرهم ، بل عثرنا أيضاً على مراكب حقيقية كانت تصنع من الخشب وتوضع إلى جوار المقابر ، ولم تكن المقابر الكبيرة فقط هى التى عثرنا بجوارها على المراكب بل لقد عثرنا عليها أيضاً بجوار مقابر صغيرة .

(١) Zaki Y. Saad : The Royal Excavations at Saqqara and Helwan p. 27 PL. XIV a.

وأغلب الظن أن صاحب المقبرة كان يصنع المركب بجوار مقبرته لكى يستطيع أن ينضم بها إلى موكب الإله « رع » .

وأول مركب كبير عثرنا عليه كان إلى الجهة الجنوبية من المقبرة رقم ١٥٠٢ ح ٢ وهى من المقابر الكبيرة [١] ولو أنها لا تقاس فى حجمها بإحدى المقابر الكبيرة فى سقارة . كذلك عثرنا على مركب ثان بجوار الجهة الشرقية من المقبرة رقم ٦٤٩ ح ٥ واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (صورة رقم ١١٠) . ووجدنا مركباً ثالثاً بجوار الجهة الشمالية من المقبرة رقم ٦٨٠ ح ٥ ومركباً رابعاً بجوار الجهة الشمالية من المقبرة رقم ٧٦٢ ح ٥

وقد عثرنا فى الموسم الثامن على ثلاثة مراكب وضعت بجوار الجهة البحرية من ثلاث مقابر تعتبر من المقابر المتوسطة الحجم (صورة رقم ١١١) .

أما فى الموسم التاسع فقد عثرنا على سبعة مراكب وضعت جميعها فى الجهة الشمالية من المقابر المجاورة لها ما عدا مركباً واحداً فقط وضع فى الجهة الجنوبية من المقبرة .

ولعل المقبرة رقم ١٢١٦ ح ٩ هى أجدر هذه المقابر بالذكر ، إذ كان صاحبها أحد كبار الموظفين ، وقد عاصر ملكين هما الملك « حوراحا » وخلفه الملك « جر » . وقد ثبت لنا ذلك بعثورنا على سدادتين من سدادات الأوانى الفخارية الكبيرة على إحداهما اسم الملك « حوراحا » وعلى الثانية اسم الملك « جر » . كما أن لذلك أهمية تاريخية ، فهو يؤكد النظرية القائلة بأن الملك « جر » حكم بعد الملك « حوراحا » [٢] (صورة رقم ١١٢) .

(١) Zaki Y. Saad, The Royal Excavations at Saqqara and Helwan p. 111 PL. LIX a.

(٢) Dricton et Vandier, Les peuples de L'Orient Méditèrraneen II L'Egypte, P. 136 et 139

وعثرنا على مركب بالجهة البحرية من المقبرة رقم ٤٢٣ ح٩ وقد سبق الكلام عنها (صورة رقم ١١٣).

ديموقراطية الدين :

نرى من وجود هذه المراكب بجوار مقابر صغيرة أن عبادة الإله « رع » لم تكن وقفا على الملوك والوزراء وكبار الموظفين ، بل كانت متاحة للجميع . ولم تكن معروفة من الأسرة الرابعة فقط بل ترجع إلى ماقبل الأسرة الأولى، ولانستطيع الآن تحديد هذه المدة ، ولكن يمكننا أن نعرف أنها مدة طويلة جداً ، تمكنت فيها هذه الديانة من نفوس الشعب ، حتى لقد كانوا يزودون مقابرهم بنماذج لهذه المراكب ، كما كان القادرون منهم يضعون بجوار مقابرهم مراكب حقيقية صنعت من الخشب .

ونرى من تلك العناية بوضع نماذج للمراكب فى مقابر غير القادرين ومراكب حقيقية بجوار مقابر ذوى المراكز الكبيرة تقديسا لعقيدتهم المتأصلة لعبادة الإله « رع » الذى كانوا يحرصون كل الحرص على الانضمام إلى موكبه بما أعدوه من مراكب صنعت من الخشب لهذا الغرض .

اللوحات الجنائزية :

وعلى اللوحات الجنائزية ، وهى الجزء العلوى من الباب الوهمى أو لوحات من الحجر، نرى : رسم صاحب المقبرة ، وأمامه : اسمه ، وألقابه ، والمائدة المعدة لطعامه ، وما أعد من القرابين ليكون معه فى المقبرة من أنواع متعددة من المأكل والمشرب ، وكذلك ما قد يلزمه من أنواع الأقمشة ليعمل منها ثيابه التى تلزمه ، وقد نص على أنواع

الأقمشة والألوان الزاهيــة من أحمر وأخضر وأزرق (الصورتان رقم ٦٩ ورقم ٧٦)

وكان المعروف عن مكان هذه اللوحات أنها فى الحائط الغربى من المقبرة بحيث تكون الرسوم التى عليها مواجهة للشرق . وكانت العادة أن يكون وراء الباب الوهمى بئر توصل إلى حجرة الدفن حيث يرقد صاحب المقبرة فى مثواه الأخير .

وكان عمل الباب الوهمى لكى تمر منه الروح عند صعودها من حجرة الدفن إلى حيث حجرة الباب الوهمى ، لتأكل مما قدمه لها أهلها أو الكهنة الذين يقومون على الطقوس الدينية فى المقبرة . وكانت توقف عليهم لهذا الغرض الأرض والخيرات الكثيرة

هذا هو مكان الباب الوهمى بدون تغيير حيث لم يعثر على حالة شاذة واحدة لوضعه هذا .

مكان جديد فى السقف :

ولكن حدث أن عثرنا فى الحفائر الملكية بحلوان على مكان اللوحات الجنائزية فى مكان لم يخطر لأحد علماء الآثار على بال ، حتى إن علماء الآثار الذين كانوا يسمعون عن الموضع الجديد كانت تأخذهم الدهشة ، وكانوا يقابلون الخبر عن هذا الموضع الجديد بكل تحفظ إلى أن تتاح لهم الفرصة لمشاهدته بأنفسهم فى سقف المقبرة حيث كان يأخذ العجب بألبابهم وتظهر الحيرة على وجوههم .

وقد كشفنا عن مقابر كثيرة فى كل منها فتحة فى سقف الحجرة المخصصة لدفن صاحب المقبرة .

والفتحة دائما فى الجزء الجنوبى الغربى من حجرة الدفن ، وفى تلك الفتحة توضع اللوحة الجنائزية بحيث يكون رسم صاحب المقبرة والنقوش التى عليها إلى أسفل فوق

المكان المعد ليرقد فيه المتوفى . وبعد وضع اللوحة يهال عليها التراب حتى يسوى بسطح الأرض .

وتعليلى لهذا الوضع يتمشى مع المنطق أكثر مما يتمشى مع الباب الوهمى المعروف، وهو أن أصحاب تلك المقابر كانوا يعتقدون أن أرواحهم تصعد بعد موتهم إلى السماء ، فاذا عادت لزيارة أصحابها نزلت من الفتحة إلى المقبرة ، فتتعرف بسهولة على صاحبها من صورته على اللوحة الجنائزية ، وبعد ذلك تصعد إلى السماء ثانية .

وهذا معقول ومنطق أكثر من التعليل الذى يقول إن روح الميت كانت تخرج من حجرة الدفن السفلية بواسطة البئر ثم تمر من الباب الوهمى لتتناول الطعام المعد لها على مائدة القرابين أمام الباب الوهمى ثم تعود بعد ذلك من الباب الوهمى إلى حجرة الدفن فى أسفل المقبرة .

فأهل الأسرة الثانية كانوا يعتقدون أن الروح تصعد إلى السماء ، وأما أهل الأسرة التى أتت بعد ذلك فكانوا يعتقدون أن الروح تبقى مع الجثة فى القبر .

وعلى كل حال فإن تعليلى هذا طرأ على ذهنى لوجود اللوحة الجنائزية فى هذا الموضع الجديد ، وإن كان هناك تعليل آخر فإن فى التقدم به خدمة للعلم وتنويراً للأذهان المتعطشة للوقوف على أسرار الديانة عند قدماء المصريين ، وهى ديانة تحوطها الأسرار ، وأغلب الظن أنها كانت على كثير من البساطة واليسر ، ولكن كثرة النظريات التى بناها أصحابها لتعليلها وتفسيرها جعلت من هذه الديانة مشكلة معقدة . وربما استطعنا الوصول إلى حقيقتها على ضوء ما قد يكشف من آثار جديدة .

محل الباب الوهمى :

كان من العادة أن يكون فى بناء الجزء العلوى للمقبرة ، المعروف بالمصطبة ، فتحتان للباب الوهمى فى الحائط الشرقى ، بحيث يكون مواجهاً لشروق الشمس ، إحداهما كبيرة فى الجزء الجنوبى والأخرى صغيرة فى الجزء الشمالى ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا المقابر التى كشفنا عنها فى منطقة الحفائر الملكية بحلوان (صورة رقم ١٠) ، فإن مكان الباب الوهمى قد وجد فى الحائط الغربى مواجها لمغرب الشمس لا لمشرقها .

وهذه من الظواهر الجديدة التى لم يسبق العثور عليها .

ولما كانت المقابر التى كشف عنها فى سقارة ، أى على الضفة الغربية للنيل ، بها أماكن الباب الوهمى فى مواجهة المشرق ، وكانت المقابر المكتشفة فى حلوان بها أماكن الباب الوهمى فى مواجهة المغرب ، كان الأمر يحتاج إلى بعض التفكير .

فإذا كان التعليل لوجود أماكن الباب الوهمى مواجهة للمشرق هو أن يكون قبالة الشمس عند الشروق ، فماذا يكون تعليل وجود أماكن الباب الوهمى مواجها للمغرب .

ولعل وجود مكان الباب الوهمى فى مقابر حلوان مواجها المغرب يتصل بوجود النيل ، وكذلك مكان الباب الوهمى فى المشرق ليكون كذلك مواجها للنيل .

وإنى أعتقد على ضوء الكشف أن مكان الباب الوهمى فى مقابر سقارة كان قبالة النيل ، وهو الإله « حابى » معبود قدماء المصريين .

وكذلك مكان الباب الوهمى فى مقابر حلوان قصد به أن يكون مواجها للنيل ، وهو الإله « حابى » معبود قدماء المصريين .

وعلى ذلك لم يقصد بوجود الباب الوهمى شرق المقبرة أن يكون أمام الشمس ، بل قصد به أن يكون أمام الإله « حابى » ، فإذا كانت المقبرة فى سقارة على الضفة الغربية وجب أن يكون مكان الباب الوهمى شرق المقبرة ، وإذا كانت المقبرة فى حلوان على الضفة الشرقية وجب أن يكون مكان الباب الوهمى غربى المقبرة .

- ومن الأسرة الثانية بدأ التفكير فى حفر بئر مستطيلة نجد حفرة الدفن قد نحتت عند قاعها تحت الأرض بحيث تكون فتحتها فى أحد جوانب البئر . وكانت هذه المقابر فى بداية الأسرة الثانية قليلة العمق ، ولكنها أصبحت عميقة فى أواخر أيام الأسرة الثانية إذ وجدناها على عمق حوالى ١٠ أمتار أو ١٥ متراً .

وكان يوجد فى بعض المقابر حجرتان للدفن إحداهما تجاه الأخرى .

دفن الموتى

كانت طريقة الدفن فى الأسرتين الأولى والثانية أن يوضع الجسم كما كان جنينا فى بطن أمه ، فكانوا يعمدون إلى الجثة بعد الوفاة مباشرة فيجعلون الركبتين أمام الصدر والقدمين بجانب الحوض والذراعين مثنيين بحيث تكون اليدان أمام الوجه (صورة رقم ١١٤) ، ثم توضع الجثة على الجنب الأيسر فى أغلب الأحيان ، ويكون اتجاه الرأس إما إلى الجهة الشمالية وإما إلى الجهة الجنوبية .

ومن النادر أن يكون الميت على الجنب الأيمن ، كما يندر أن يكون الرأس إلى الشرق أو إلى الغرب .

وكان الغرض من وضع الميت على شكل الجنين هو أن يكون فى بطن الأرض على الهيئة التى كان عليها فى بطن أمه قبل أن يولد ، لاعتقادهم أنهم سيبعثون ثانية فيخرج الدفين من بطن الأرض كما يخرج الجنين من بطن أمه ، وكانت الأرض عندهم فى هذه الحالة كأنها الأم .

وكانت المقبرة تتناسب فى حجمها مع مركز صاحبها الاجتماعى ، فإن كان ذا مركز ممتاز وثروة كبيرة بنيت مقبرته كبيرة الحجم نخمة ، وإن كان فقيراً حفرت له حفرة ثوى فيها .

ومن المقابر ما كان حفرة مستطيلة أو بيضاوية بدون بناء ، ويوضع الميت فيها وليس معه شىء إطلاقا (صورة رقم ١١٥) . ومنها ما كان يوجد فيها حول الميت بعض

الأدوات (الصورتان رقم ١٠١ ورقم ١١٤) . ومنها ما كان يبنى بالطوب الأخضر ، ويكون لها مخزن واحد إما فى الجنوب وإما فى الشمال (صورة رقم ١١٦) . ومنها ما كان لها مخزنان واحد فى الجنوب وآخر فى الشمال . كما كانت هناك مقابر لها أربعة مخازن اثنان فى الجهة الجنوبية واثنان فى الجهة البحرية (صورة رقم ١١٧)

وكانت توضع مع الميت أدوات جنائزية مما يحتاج إليه فى حياته الثانية ، كما كانت توضع فى المخازن أوان من الفخار تحوى الطعام والشراب (الصورتان رقم ١٠١ و ١١٤)

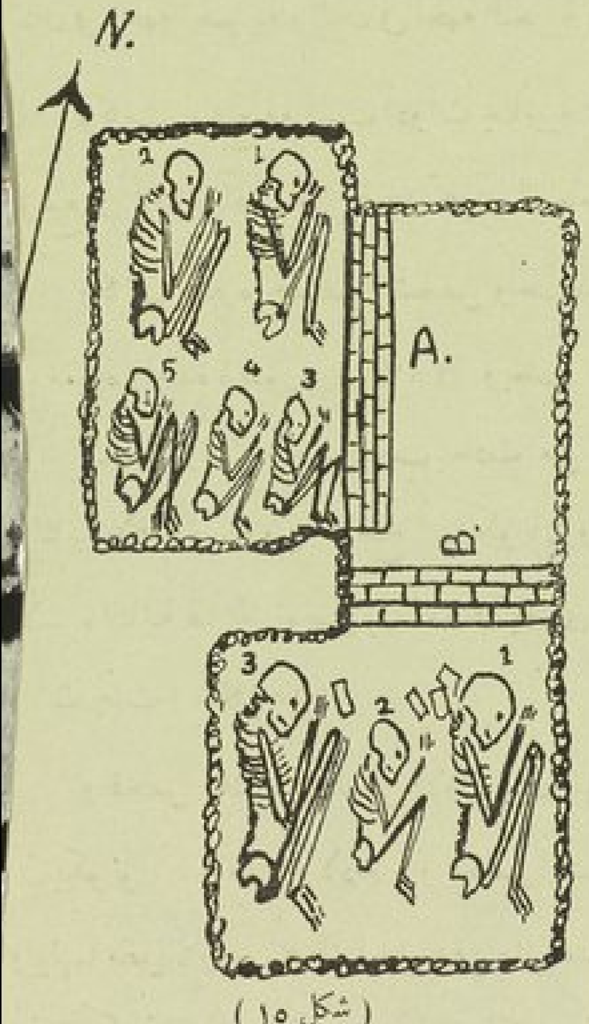
وكانت المقبرة تخصص لشخص واحـــد ، ومن النادر أن نجد جثتين أو أ كثر فى مقبرة واحدة (صورة رقم ١١٨) . ويغلب على الظن أن يكون ذلك لوفاة شخصين أو أ كثر فى وقت واحد بسبب حادث من أى نوع ، إذ أن إحدى الجثتين لرجل والثانية لامرأة ، ومن الراجح أن يكونا لزوج وزوجته . وقد عثرنا على مقبرة من الأسرة الثانية لها بئر توصل إلى مدفنين يحوى المدفن الأول خمس جثث والمدفن الثانى ثلاث جثث (شكل ١٥)

وبفحص الجثث فى المدفن الأول تبين أنها لرجل وامرأة وثلاثة أطفال من المرجح أن يكونوا أبا وأما وأولادهما . وبفحص الجثث فى المدفن الثانى تبين أنها لرجل وامرأة وبينهما طفل . وليس هناك تعليل لدفن مثل هذا العدد فى مقبرة واحدة ذات مدفنين إلا أن تـكون هناك حادثة سببت وفاة عائلتين دفنوا جميعا فى وقت واحد .

وكانت الجثث لا توضع على الأرض ، بل كانت توضع داخل توابيت بعد لفها بالقماش، ولم نعثر إلا على تابوت واحد فقط كان فى حالة سيئة . وكانت التوابيت إما من

الخشب أو من الفخار (الصورتان رقم ٢٤ ورقم ٢٥) أو من القش المجدول (صورة رقم ١١٩)

وكانت حيواناتهم الأليفة ودوابهم كالحمير (صورة رقم ١٢٠) وطيورهم المحببة إليهم تدفن إلى جوار مقابرهم ، فقد عثرنا على كثير من جثث الكلاب مدفونة فى توابيت من الخشب ، وكانت توضع معها أيضا بعض الأوانى من الفخار أو الأحجار الأخرى ، إذ كانوا يعتقدون أن هذه الحيوانات ستبعث مثلهم ، فلا بد من تزويدها بالطعام والشراب (صورة رقم ١٢١)



(شكل ١٥)

وعثرنا على بعض جثث الطيور مدفونة فى توابيت صغيرة من الخشب (الصورتان رقم ٦٤ ورقم ٦٥) أو فى توابيت من الفخار .

ولم يكن التحنيط معروفا فى هذا الوقت ، ولكن جفاف المنطقة حافظ على بقاء الجلد فى بعض الحالات ، كما أن الشعر بقى على رؤوس الجثث فى حالات قليلة (الصورتان رقم ١٢٢ ورقم ١٢٣)

سرقة المقابر :

بالرغم مما اتخذه قدماء المصريين من الاحتياط لسلامة مقابرهم من عبث اللصوص بوضع أبواب كبيرة من الحجر تعوق سرقتها فقد استطاع هؤلاء اللصوص الوصول إلى داخل المقابر بالرغم من ضخامة هذه الأبواب ، وذلك أن السرقات الأولى لهذه المقابر كانت تحدث عقب الدفن بمدة ، وكان اللصوص يعرفون الأماكن التى يريدون السطو عليها ، وكانت طريقتهم بسيطة سهلة ، إذ كانوا يتعدون عن الأبواب لمتانتها وعن سقف المقبرة لسمك طبقته ويعمدون إلى خارج المقبرة ويحفرون حفرة يصلون بها إلى محاذاة حجرة الدفن وبعد ذلك يحفرون نفقاً يصل إلى حجرة الدفن مباشرة .

وقد عثرنا فى إحدى المقابر على جثة أحد اللصوص وقد تهدم فوقه جزء من جدار المقبرة الذى كان النفق يمر من تحته ، وفى مقبرتين أخريين عثرنا على المسارج التى كانت تستعمل لإنارة المقبرة وقت السرقة . ومما يؤسف له حقا أن جميع المقابر الكبيرة بدون استثناء لم تنج من أيدى اللصوص ، ولو أن واحدة منها وجدت سليمة لعثرنا على أشياء فى غاية الأهمية ، وذلك لأننا عثرنا على مخزنين سليمين فى مقبرتين وجدنا فى أحدهما إحدى وسبعين قطعة من أجمل القطع (الصورتان رقم ٣٣ ورقم ٣٤) وفى الآخر وجدنا حوالى ثلاثين قطعة .

الخاتمة

هذا موجز مختصر لبعض النتائج التى وصلنا اليها على ضوء ما عثرنا عليه فى الحفائر الملكية بحلوان من مبان بالطوب الأخضر ، وكيف أن هؤلاء المصريين كانوا يستعملون الأحجار الكبيرة الحجم فى مبانى مقابرهم . ومن ذلك نستطيع الجزم أن مصر فى عصر الأسرة الأولى كانت على شىء كثير من الحضارة المعمارية الراقية ، وهذا لا يتأتى إلا بعد أجيال ، أى أن مصر قبل الأسرة الأولى بسنين طويلة كانت بها مبان جميلة ذات هندسة معمارية بلغت شأوا كبيرا فى التقدم ، ولا يقبل العقل أن تكون هذه العمارة حدثت فجأة فى الأسرة الأولى ، بل لا شك أنها كانت موجودة قبل ذلك بزمن طويل .

ولما كانت المقابر هى مساكن أعدت ليرقد فيها الجسد حتى يبعث فإنى أميل إلى الاعتقاد بأنهم كانوا يبنون هذه المقابر على نمط منازلهم . وعلى هذا فإن هذه المقابر كانت تحاكى منازل الأحياء . ومن هذا نستنتج أن منازلهم كانت جميلة كبيرة الحجم ، بعكس ما يعتقده الكثرة من علماء الآثار من أن قدماء المصريين كانوا يهتمون بمقابرهم أكثر من اهتمامهم بمساكنهم ، فكانت هذه المساكن فى زعم علماء الآثار صغيرة ليس فيها شىء من الفخامة أو العظمة المعمارية . وكما قدمت سابقا فإن أغلب هذه المساكن قد هدم وبنيت فى مكانه مساكن أخرى فقدت ما كانت عليه من عظمة تبعا لما فقده أهل مصر من عظمة ، وأصبحوا فى حالة سيئة لا تسمح لهم ببناء منازلهم على نمط ما كان يفعله أجدادهم من آلاف السنين .

وتدلنا الصناعة التى رأينا مقدار تقدمها فى عمل الأوانى من الفخار أو الأحجار المختلفة أوالنحاس على أن هذه الصناعات كانت قبل الأسرة الأولى موجودة معروفة .

كما أن حالة المعيشة من أكل وشرب وثياب وألعاب وصيد تدل دلالة واضحة على أن هؤلاء القوم ورثوا هذه الأشياء عن أجدادهم ، وأنها كانت متأصلة فى نفوسهم من عصر سبق عصر الأسرة الأولى .

أما الكتابة فنرى من درجة إتقانهم لها أنها وصلتهم من آبائهم وأجدادهم الذين كانوا بدون شك يجيدونها قبل أن يتم توحيد القطرين وتصبح مصر قطرا واحدا ومملكة موحدة . كل هذه البراهين دلائل واضحة نستطيع على ضوئها أن نقول إن مصر قبل توحيد وجهيها القبلى والبحرى كانت على درجة كبيرة من الحضارة والرقى فى شتى نواحى الحياة . ونشأ عن هذه الحضارة أن تمازجت البيئات فيها امتزاجا نشأ عنه اتحاد الوجهين بأن تزوج ملك الوجه القبلى من ملكة الوجه البحرى بدون حرب أو قتال ، واستقر الملك بعد ذلك فى بيت واحد . ورئى أن تكون العاصمة فى مكان يتوسط مصر كى تكون البلاد من أقصاها إلى أقصاها فى متناول يد الملك ، وتم اختيار العاصمة فى المنطقة المجاورة لبلدة البدرشين وبنيت هناك ، وأقيم حولها سور كبير من الحجر الأبيض وسميت تبعاً لذلك « ممفيس » أو « من نفر » .

ولو أن اتحاد الوجهين كان نتيجة لحرب وقتال لما كان فى استطاعة الملك «حوراحا» أن يترك البلاد عقب هذا الحدث التاريخى العظيم ويذهب لغزو بلاد النوبة ، وكذلك لغزو الليبيين ، والغزو يتطلب أن يترك الملك البلاد ، ولا يمكن له ذلك إلا إذا كان الحال يسمح بذلك من استقرار واستتباب .

مركز أصحاب المقابر الاجتماعي :

عندما اكتشفنا المقابر بمنطقة الحفائر الملكية بحلوان ، ظن البعض أن هذه المنطقة كانت لقوم فقراء مغمورين ، ولكننا لم نلبث أن كشفنا عن مقابر كبيرة الحجم عرفنا أنها كانت لموظفين كبار فى عصور ملوك الأسرة الأولى وكذلك الأسرة الثانية ، وقد وجدنا من ملوك الأسرة الأولى :

١ — نارمر	1 — Nâr - Mer
٢ — حوراحا	2 — Hour - Aha
٣ — جر	3 — Djer
٤ — أدزيب أو عدجيب	4 — Adz - Ib
٥ — دن أو أوديمو	5 — Den or Odimou
٦ — سمرخت	6 — Semer - Khet
٧ — قاع	7 — Kaâ

ولم نعثر على اسم الملك « جيت » أو « دجت » وهو ثالث ملوك الأسرة الأولى.

أما من ملوك الأسرة الثانية فلم نعثر إلا على اسم الملك « نترمو » أو « نتران»

وقد كان لنا حظ وافر للعثور على لوحات جنائزية من الأسرة الثانية وجدنا عليها أسماء لأمراء وأميرات وكهنة ملوكيين وكتبة وسيدات وسادة ، ومنها اللوحات الآتية :

١— الأمير : نيسوحكت	1 — Nisoheket
٢— والأميرة : حبت خنمت	2 — Hepet - Khenmet
٣— والأميرة : سات با	3 — Sat - Ba

ولكبار الموظفين هذه اللوحات :

٤— كبير الأمناء : دوحم رود	4 — Dohem - Rod
٥— الأمين : نفر	5 — Nefer
٦— الكاهن الملكى : أوبو	6 — Opo
٧— الكاهن الملكى : نفرست	7 — Nefer - Set
٨— الكاهن : جيفا	8 — Gefa
٩ — الكاتب : ساخو	9 — Sakhou
١٠—المثال : كاخت	10 — Kakhet

ومن لوحات السيدات :

١١— نيسوحكت	11 — Nisoheket
١٢—منخت كا	12 — Menkhet - Ka
١٣— دوات نيت	13 — Douat - Neit
١٤— حكن	14 — Heken
١٥— نيسى نيت	15 — Nisi Neit
١٦— بات	16 — Bat
١٧— نيسى نيت	17 Nisi - Neit
١٨— نفر سيوف	18 — Nefer - Sioof

والسادة:

١٩— نفر مرى كا	19 Nefer - Meri - Ka
٢٠— خواتيف	20 — Khou - itef
٢١— نبو	21 — Nebo
٢٢— إرنى	22 — Irni
٢٣— نيسو حدجت	23 — Niso - hedget
٢٤— ايوسن جت	24 — Iosen - Get
٢٥— سيسى	25 — Sisi

هـذه أسماء بعض أمراء وأميرات وكبار موظفين وسيدات وسادة تدل ألقابهم ومراكزهم على ما كانوا عليه من المركز الاجتماعى الذى يثبت لنا أن جبانة الأسرة الأولى والثانية فى حلوان كانت تضم مقابر علية القوم .

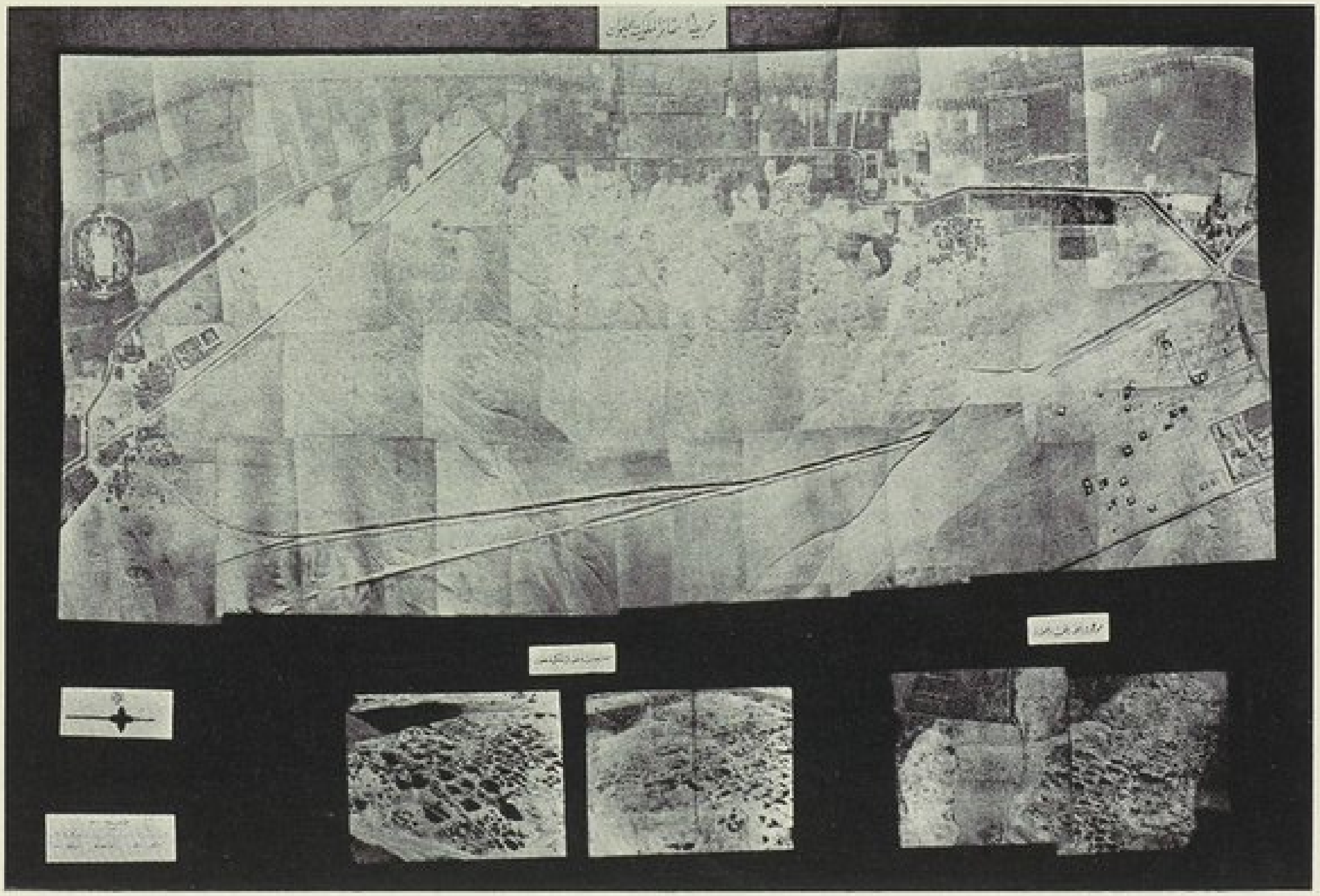
وأما المقابر الصغيرة فهى لخدم وعمال هؤلاء العظماء ، وكانت العادة أن يبنى الرجل العظيم أو الموظف الكبير مقبرته ، وتدفن حوله جثث من كانوا يعملون له .

ولعل القارىء بعد أن انتهى من قراءة هذا الوصف الموجز ونظر فى الصور التى تلقى الكثير من الضوء على ما أجملنا وصفه من مخلفات حضارة هاتين الأسرتين ، يرى معنا أن تلك الحضارة قد تدرجت من الفن البدائى الساذج وتطورت جيلا بعد جيل حتى بلغت درجة الإتقان فى عهد الأسرة الأولى ، وبعبارة أخرى أن عهد الأسرات ليس هو تاريخ بدء الحضارة عند قدماء المصريين ، بل إن مولد تلك الحضارة وذلك الفن سبق عهد الأسرة الأولى بأمد بعيد .

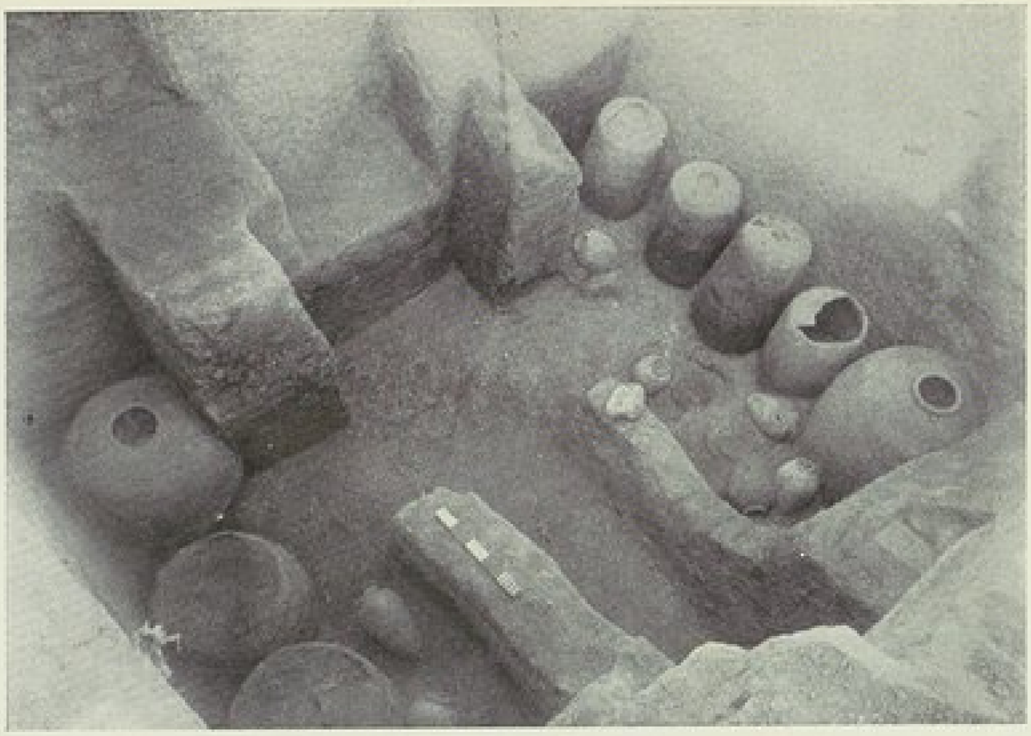
وهذه الحقيقة يرجع فضل الكشف عنها إلى الحفائر الملكية ، وصاحب هذا الفضل على تاريخ مصر القديم إنما هو مجدد مجد مصر فاروق الأول أعز الله ملكه

وإذا كان أول ملوك الأسرة الأولى هو أول من حمل لقب ملك الوجهين ، فإنه لمن عجائب التاريخ الذى يعيد نفسه أن يكون الكشف عن الكثير من تاريخ ذلك الملك قد تم فى الحفائر الملكية التى أمر بإجرائها حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول حفظه الله أول من يحمل لقب ملك مصر والسودان .

فهرست



صورة رقم ١ - الحفائر الملكية بصحراء حلوان ، مأخوذة بالطائرة من الجو



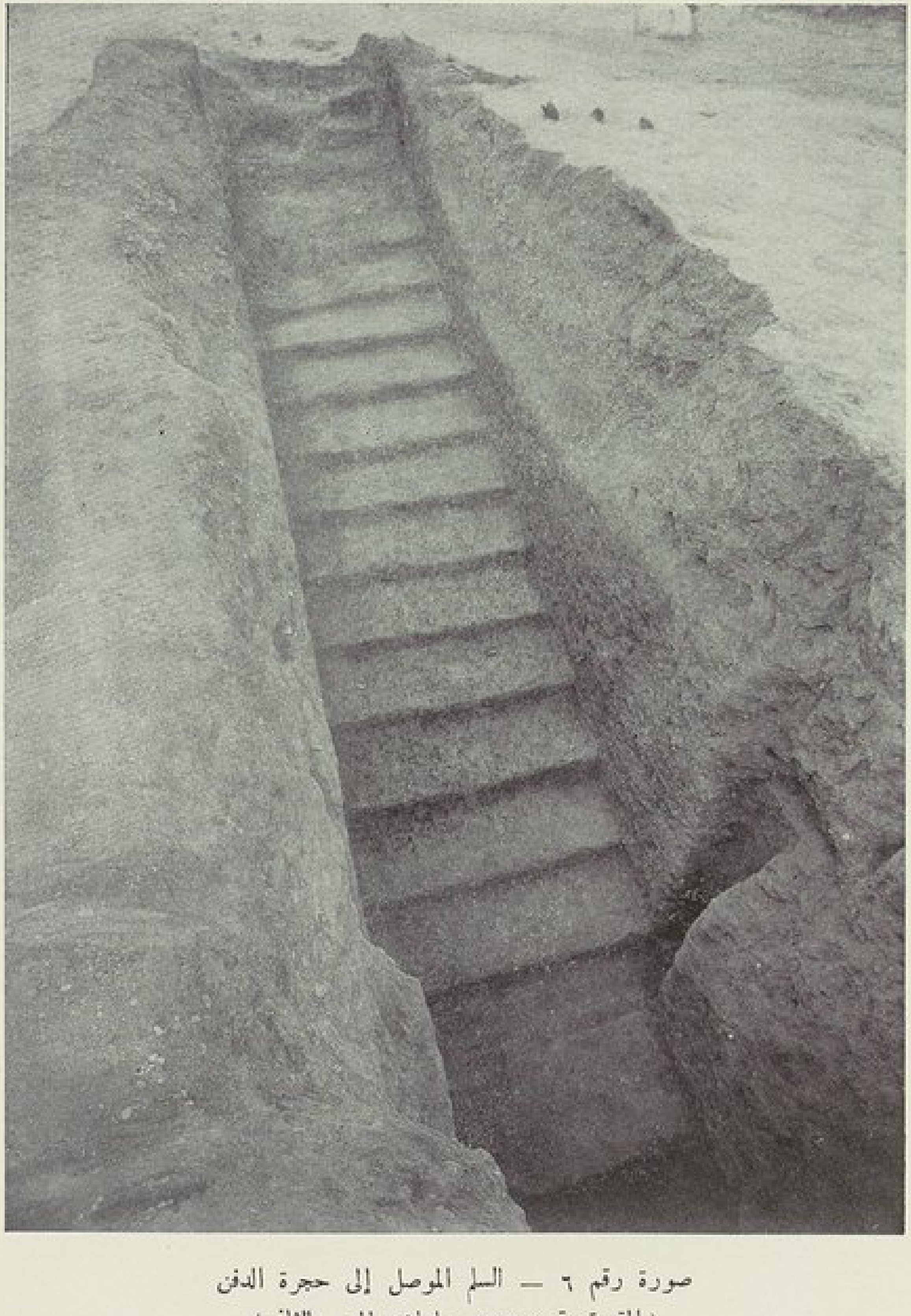
صورة رقم ٢ - الدهليز والمخزنان
(المقبرة رقم ١٣٧١ - حلوان ، الموسم الثانى)



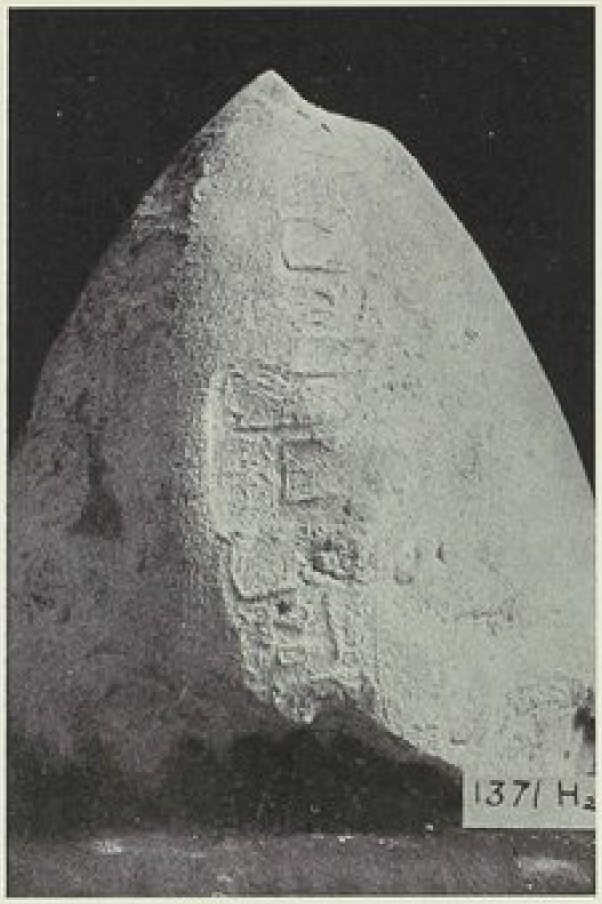
صورة رقم ٣ - منظر عام لحجرة الدفن والسلم
(المقبرة رقم ١٣٧١ - حلوان ، الموسم الثانى)



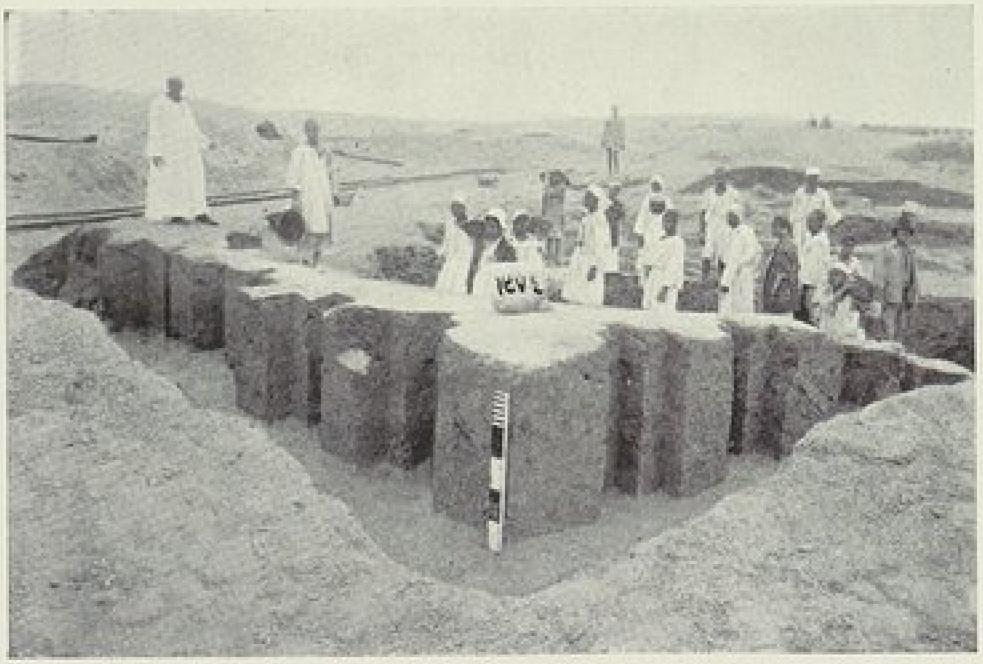
صورة رقم ٧ - الدرج الموصل إلى حجرة الدفن والمخازن
(المقبرة رقم ٧٨٥ - حلوان ، الموسم الثانى)



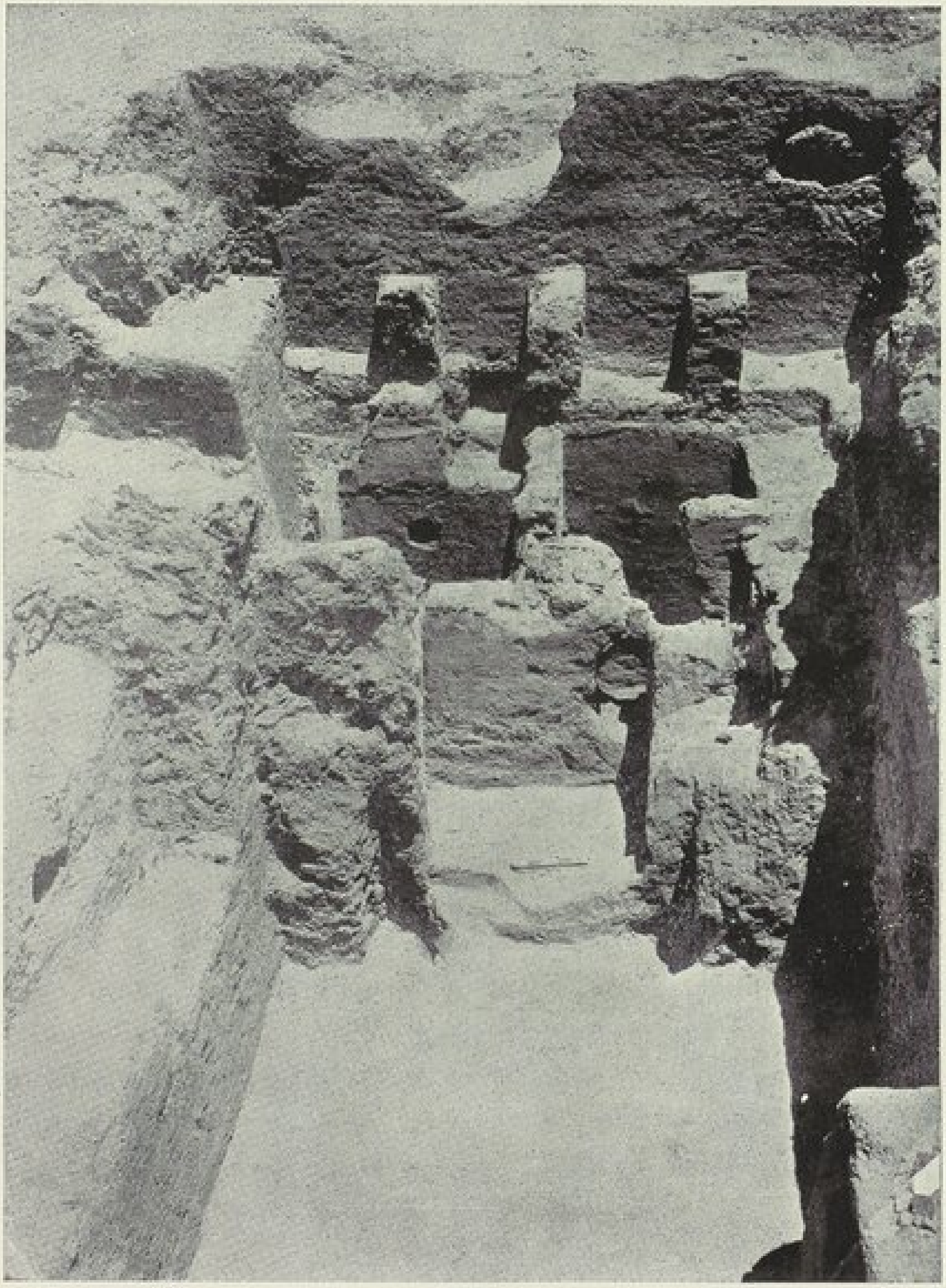
صورة رقم ٦ — السلم الموصل إلى حجرة الدفن
(المقبرة رقم ١٣٧٤ - حلوان ، الموسم الثانى)



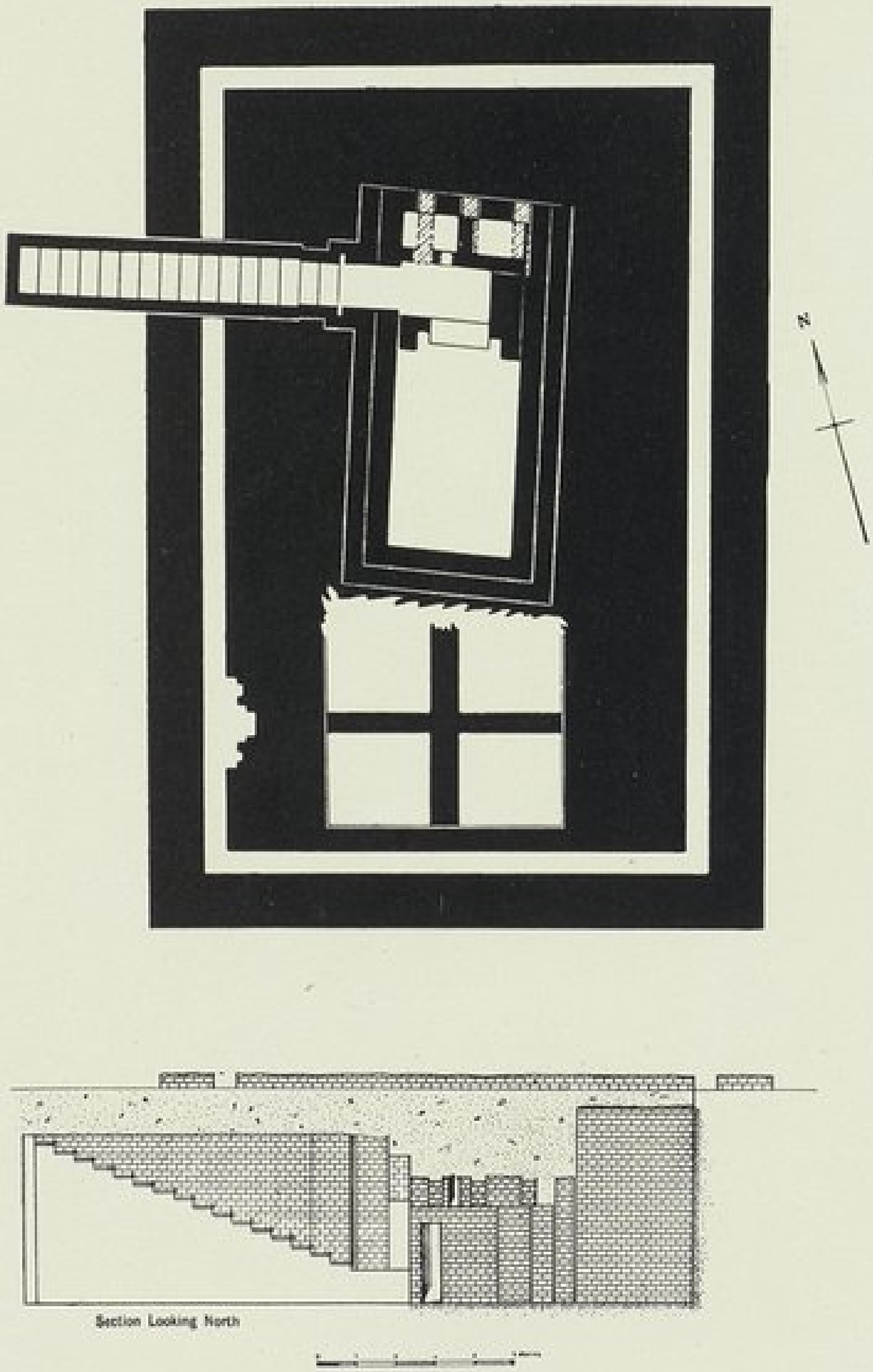
صورة رقم ٤ — سدادة من الطين عليها نقوش هيروغليفية
(المقبرة رقم ١٣٧١ - حلوان ، الموسم الثانى)



صورة رقم ٥ — الجزء الباقى من مبانى المقبرة
(المقبرة رقم ١٣٧٤ - حلوان ، الموسم الثانى)



صورة رقم ٨ ـــ المخازن الأربعة ، والمخزنان الواقعان تحتهما ، وجزء من حجرة الدفن
(المقبرة رقم ٧٨٥ ـ حلوان ، الموسم الخامس)



Tomb No. 785 H.5

صورة رقم ٩ — رسم تخطيطى للقبرة رقم ٧٨٥ ترى فيه منظراً عاماً للقبرة ومبانيها



صورة رقم ١٠ — الباب الوهمى ، وأمامه الفخارات الخمس
المقبرة رقم ٧٨٥ — حلوان ، الموسم الخامس



صورة رقم ١١ — الكتل الحجرية فوق حجرة الدفن .
ويرى الممر الذى سرق منه اللصوص المقبرة



صورة رقم ١٢ — براويز المقبرة ، وبعض أجزاء من السور الخارجي
(المقبرة رقم ٤٢٣ — حلوان ، الموسم التاسع)



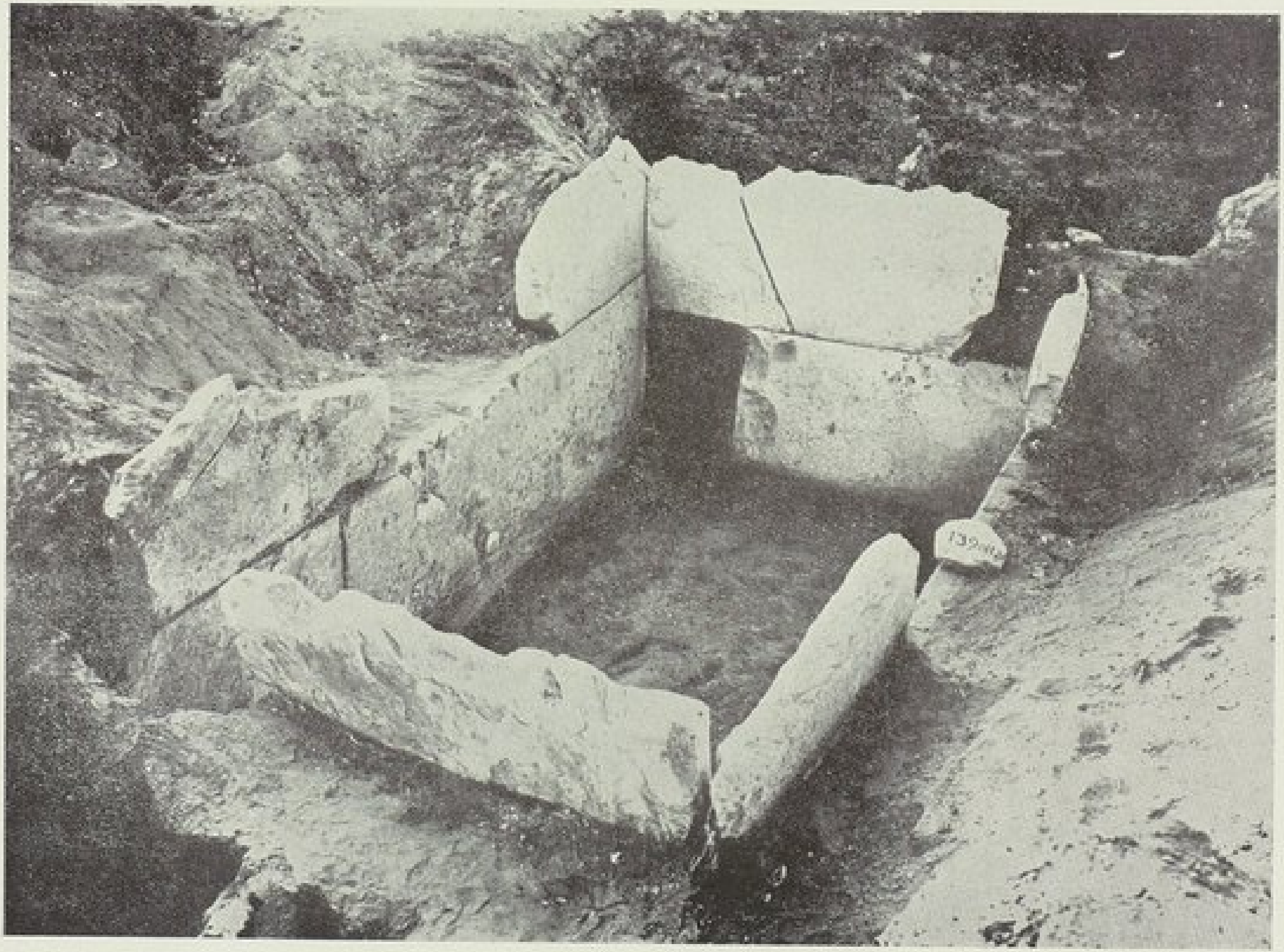
صورة رقم ١٣ ــ الجزء الداخلى من المصطبة فوق حجرة الدفن والمخازن
(المقبرة ٤٢٣ ــ حلوان ، الموسم التاسع)



صورة رقم ١٤ — منظر للمقبرة ، نرى فيه حجرة الدفن والسلم الموصل إليها من كتل الحجر
(المقبرة رقم ١ — حلوان ، الموسم الثالث)



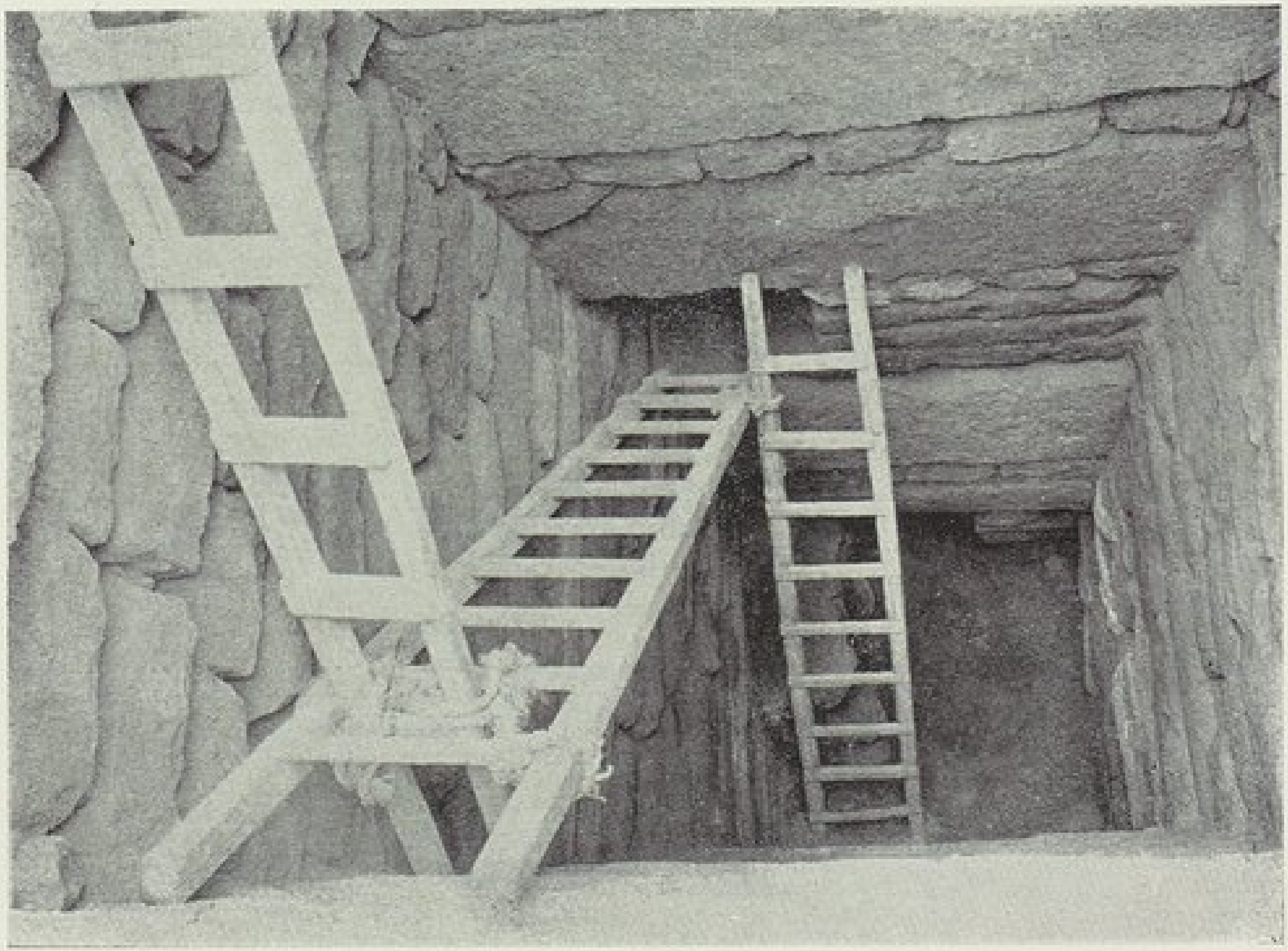
صورة رقم ١٥ — جدران حجرة الدفن والأرضية والسلم ، وكلها من الحجر
(المقبرة رقم ٤٠ — حلوان ، الموسم الثالث)



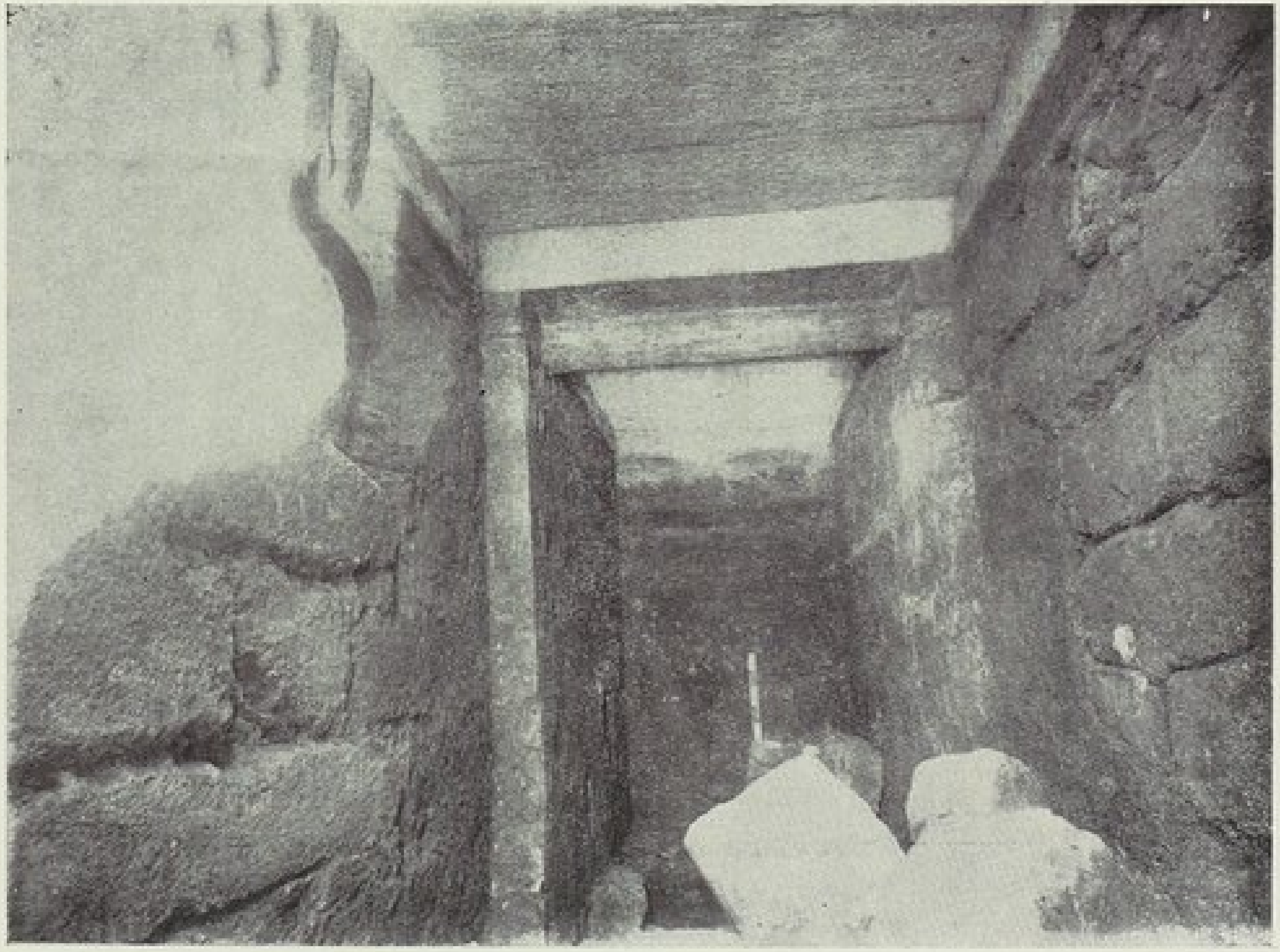
صورة رقم ١٦ — حجرة الدفن ، والكتل الأفقية ، والباب القبلي وعتبته العليا ، وكيفية وضع الكتلتين



صورة رقم ١٧ — حجرة الدفن ، وجدرانها من الكتل الحجرية الكبيرة : ويرى الموضع الذى سرقها منه اللصوص فى الجهة الشرقية تحت السقف مباشرة ، وجزء من الدرج



صورة رقم ١٨ — البئر الموصلة إلى حجرة الدفن بعد تنظيفها . ويرى الباب المؤدى إلى حجرة الدفن فى قاعها تحت قطع الأحجار الكبيرة



صورة رقم ١٩ — حجرة الدفن الداخلية ، وهى أصغر من الحجرة الخارجية . ويلاحظ إتقان نحت أحجار السقف والجزء المستدير فى السقف عند أول الحجرة



صورة رقم ٢٠ — إناء من الفخار ، كبير الحجم ، جميل الصنع ، من الأسرة الأولى



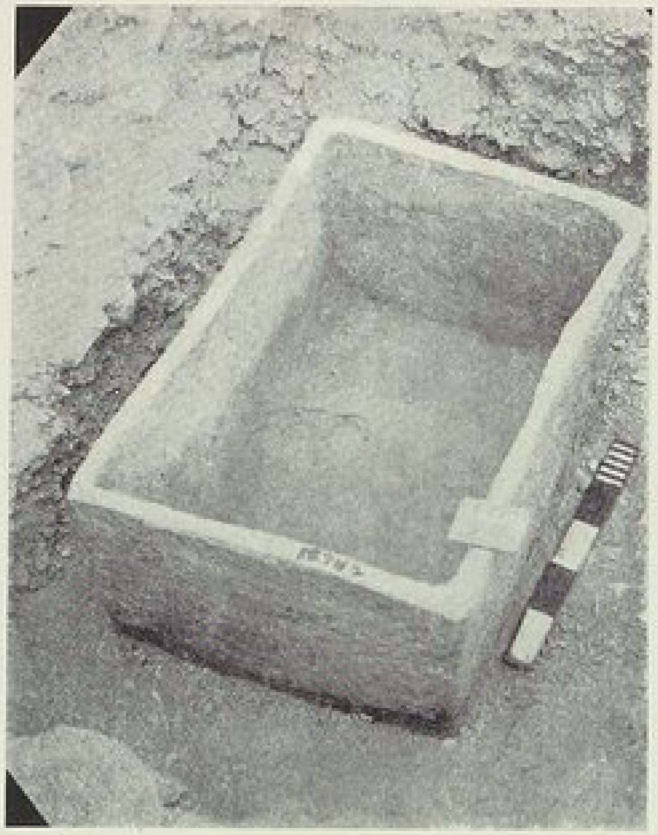
صورة رقم ٢١ — الجزء العلوى من إناءين من الفخار ، نقش عليهما اسم الملك « سمرخت »
من الأسرة الأولى



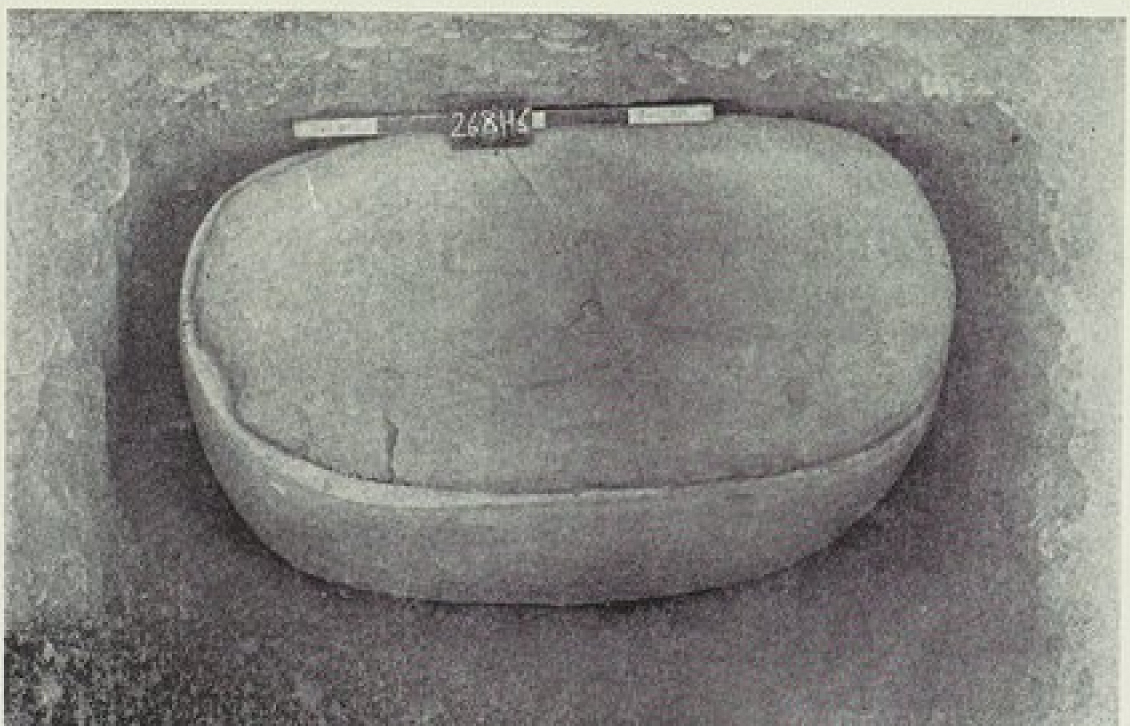
صورة رقم ٢٢ — ثلاث صوامع كبيرة الحجم صنعت من الفخار



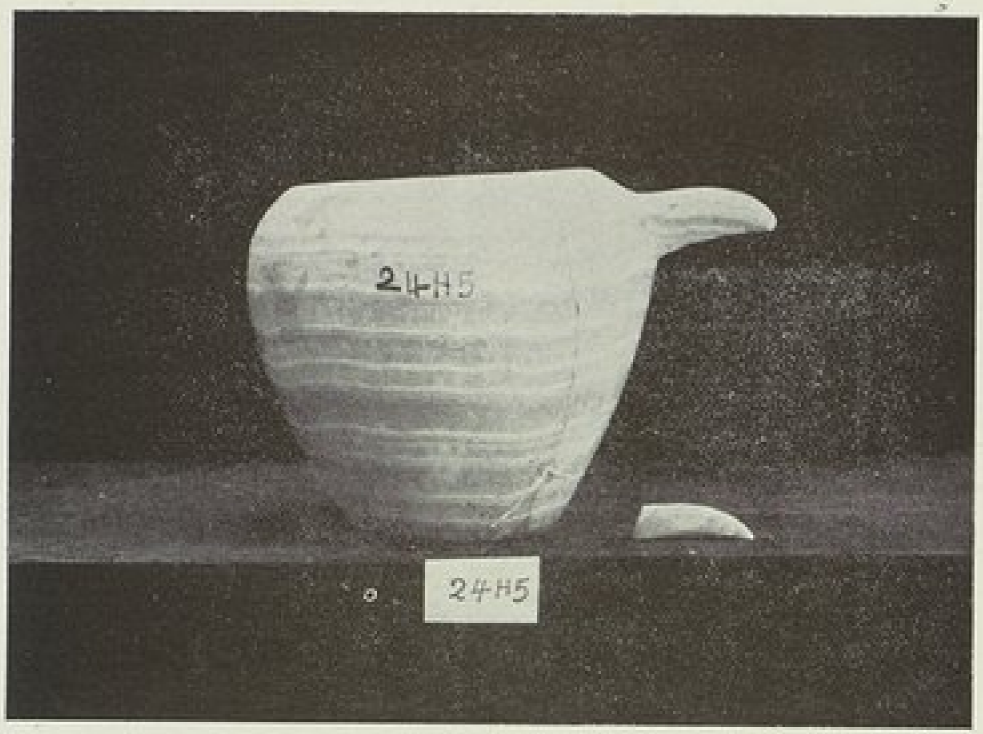
صورة رقم ٢٣ — بعض نماذج لأوانٍ من الفخار على شكل صوامع



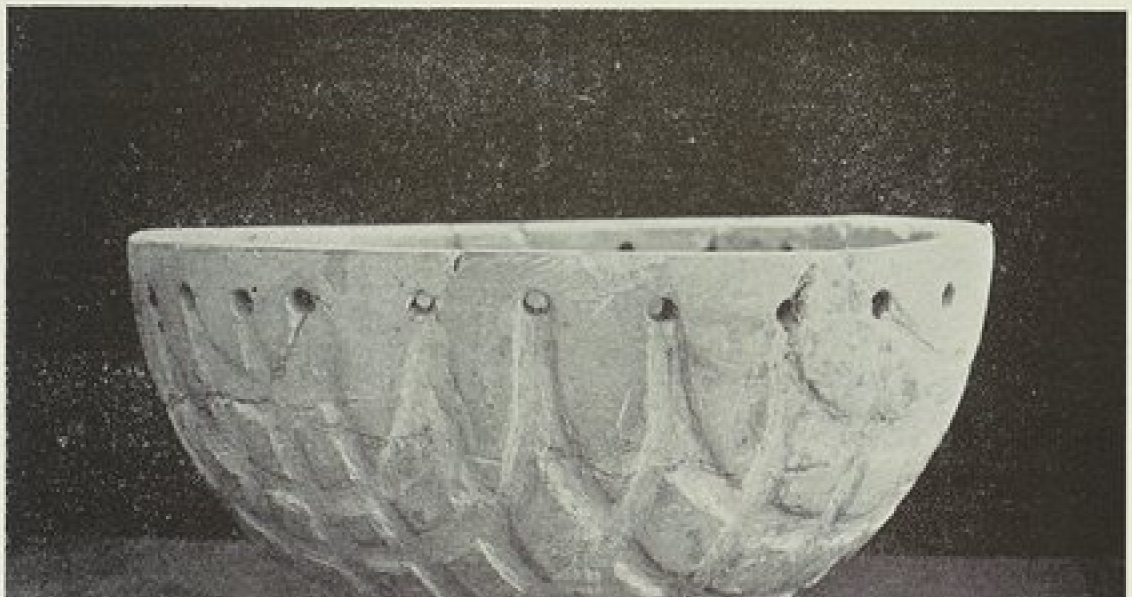
صورة رقم ٢٤ — تابوت من الفخار مستطيل الشكل بدون غطاء.



صورة رقم ٢٥ — تابوت من الفخار بيضاوى الشكل عليه غطاء.



صورة رقم ٢٦ — إبريق من الألبستر له صنبور وسدادة
تستعمل مثل قطارة الدواء.



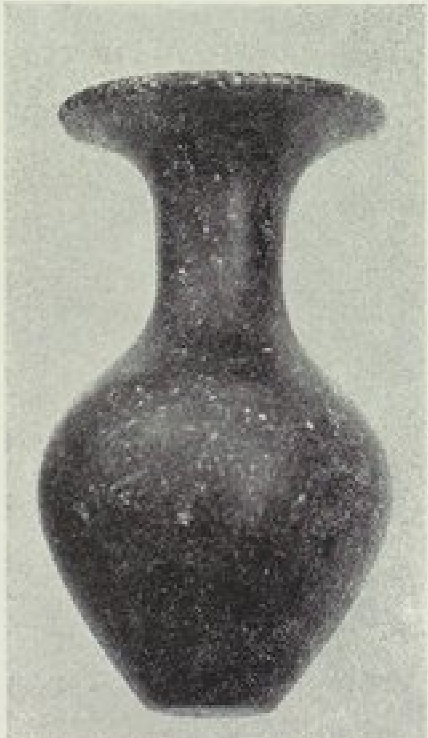
صورة رقم ٢٧ — وعاء من الحجر الجيرى على
شكل سلة (مشنة)



صورة رقم ٢٨ — طبقان من الأردواز مثلثا الشكل
(المقبرة رقم ٣٨٣ — حلوان ، الموسم السادس)



صورة رقم ٢٩ — ثلاثة أوان من حجر الأردواز ناعمة الملمس لامعة



صورة رقم ٣٠ — إناء من
حجر السربنتين الأسود



صورة رقم ٣١ — إناء من
البلور الصخرى



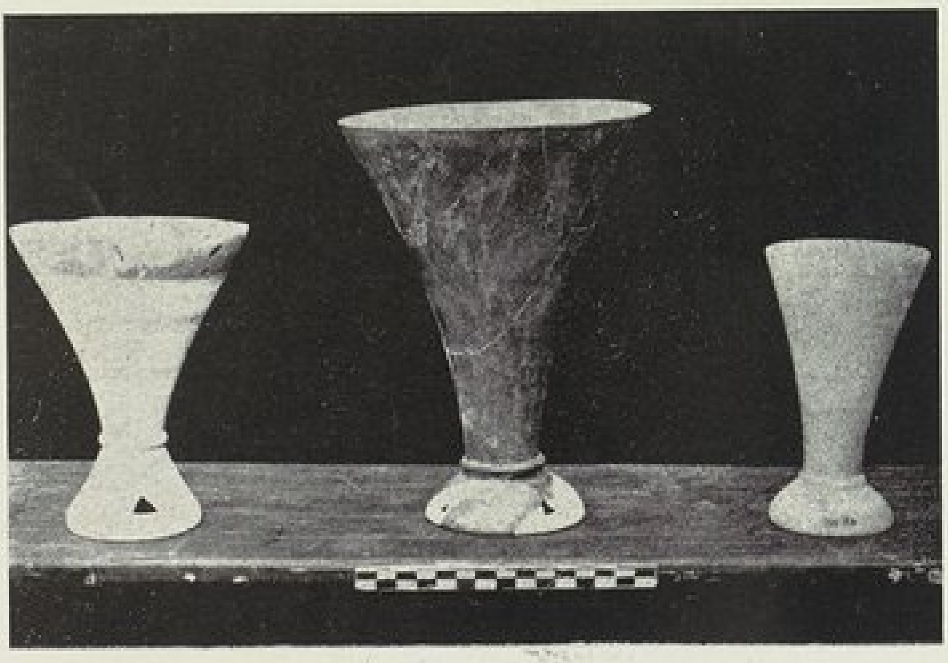
صورة رقم ٣٢ — طبق من البلور الصخرى وعليه اسم الملك سمرخت
واسم سمر سپدو صاحب المقبرة



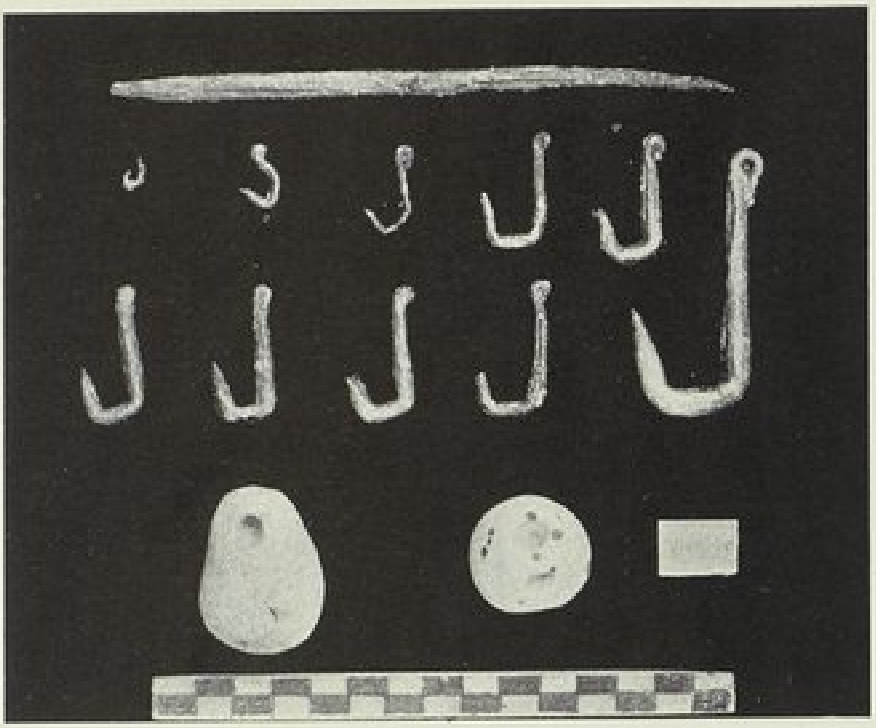
صورة رقم ٣٣ — بعض الأطباق والأوانى المصنوعة من الألبستر فى المخزن السليم
(المقبرة رقم ٤٢٣ — حلوان ، الموسم التاسع)



صورة رقم ٣٤ ــ بعض الأطباق المصنوعة من الأردواز وجدت فى المخزن السليم
(المقبرة رقم ٤٢٣ ــ حلوان ، الموسم التاسع)



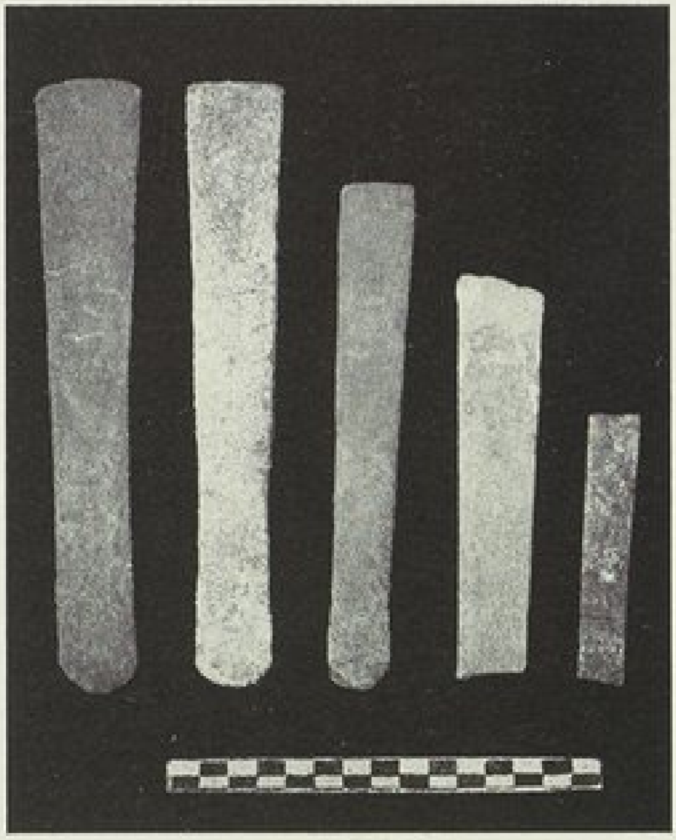
صورة رقم ٣٥ ــ ثلاث كئوس لها قواعد صنع أوسطهما
من الأردواز والباقيان من الألبستر



صورة رقم ٣٦ — عشرة شصوص (سنانير) من النحاس وثقلان
من الحجر لصيد السمك



صورة رقم ٣٧ — مجموعة من الإبر المختلفة
ومخراز له يد خشبية



صورة رقم ٣٨ — مجموعة من الأزاميل
مصنوعة من النحاس



صورة رقم ٣٩ — إبريق وطست من النحاس



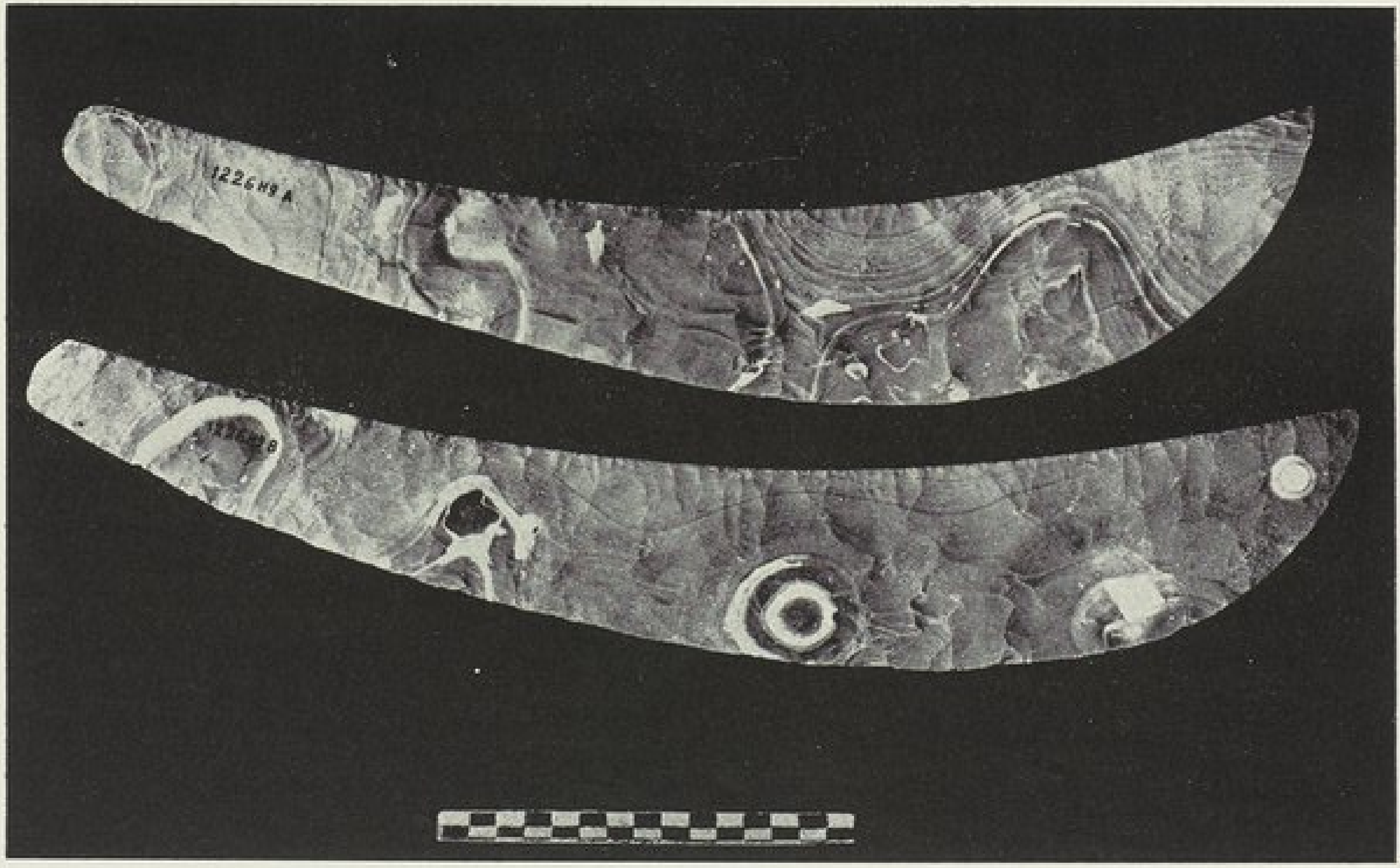
صورة رقم ٤٠ — السكين الصوان التى وجدت مع أجزاء الثور بأعلى المخزن
(المقبرة رقم ٣٨٥ — حلوان ، الموسم الرابع)



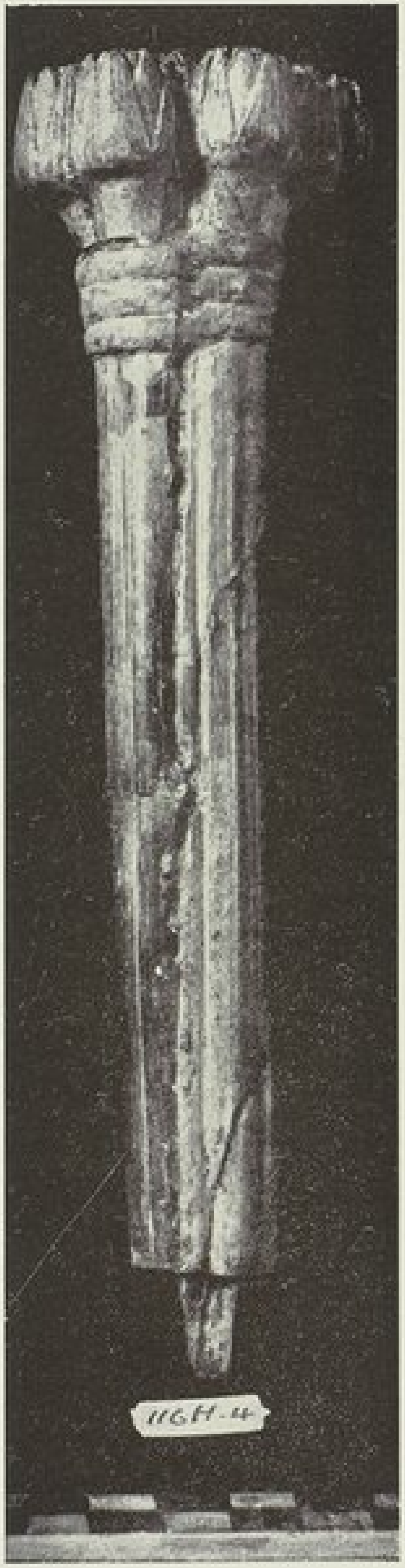
صورة رقم ٤١ — السكينتان اللتان وجدتا فى قاع المخزن
وهما من حجر الصوان



صورة رقم ٤٢ — المخزن بعد رفع أجزاء الثور
وترى السكينتان فى قاعه على هيئة المقص



صورة رقم ٤٣ ـــ سكينان من حجر الصوان الأشهب
(المقبرة رقم ١٢٢٦ ـــ حلوان ، الموسم التاسع)



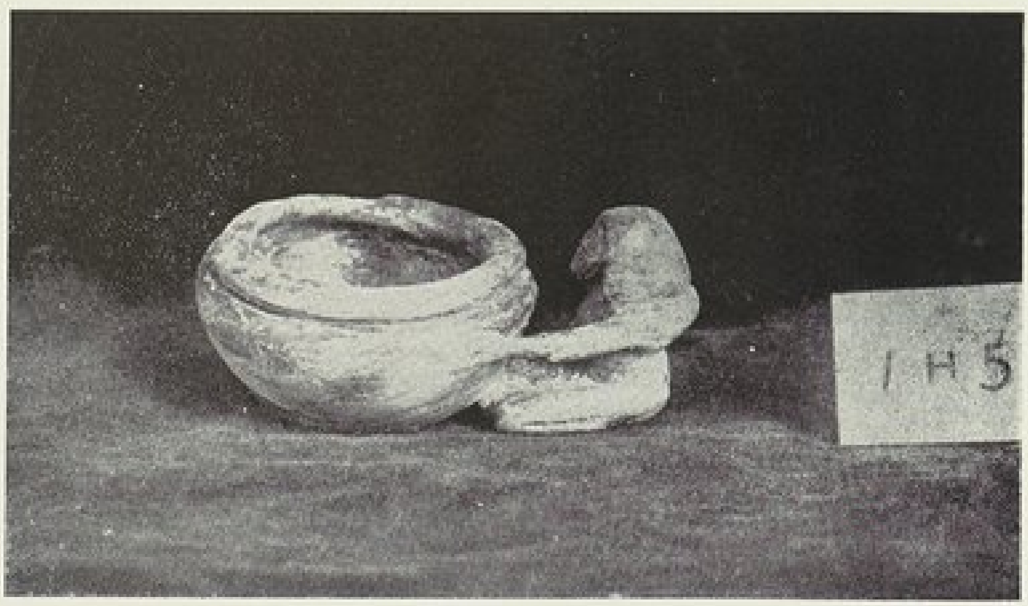
صورة رقم ٤٤ — نموذج عمود من سن الفيل ينتهي بزهرات اللوتس
(المقبرة رقم ١١٦ — حلوان ، الموسم الرابع)



صورة رقم ٤٥ — أرجل كراسى على هيئة رجل الثور الخلفية والأمامية



صورة رقم ٤٦ — تمثال صغير من سن الفيل لأحدب
ومعه إناء من نفس المعدن



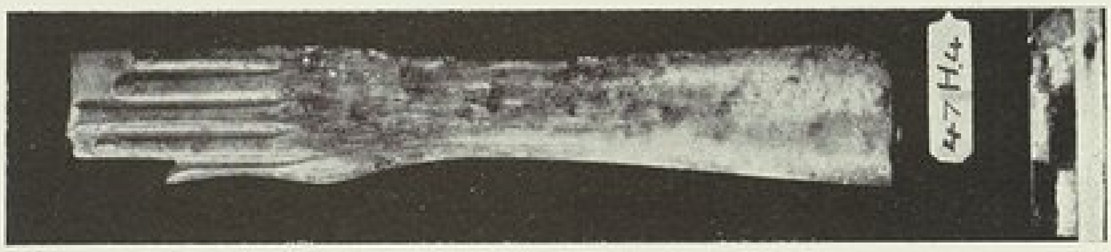
صورة رقم ٤٧ — منظر جانبي لتمثال الأحدب وهو يمسك الإناء بين ذراعيه



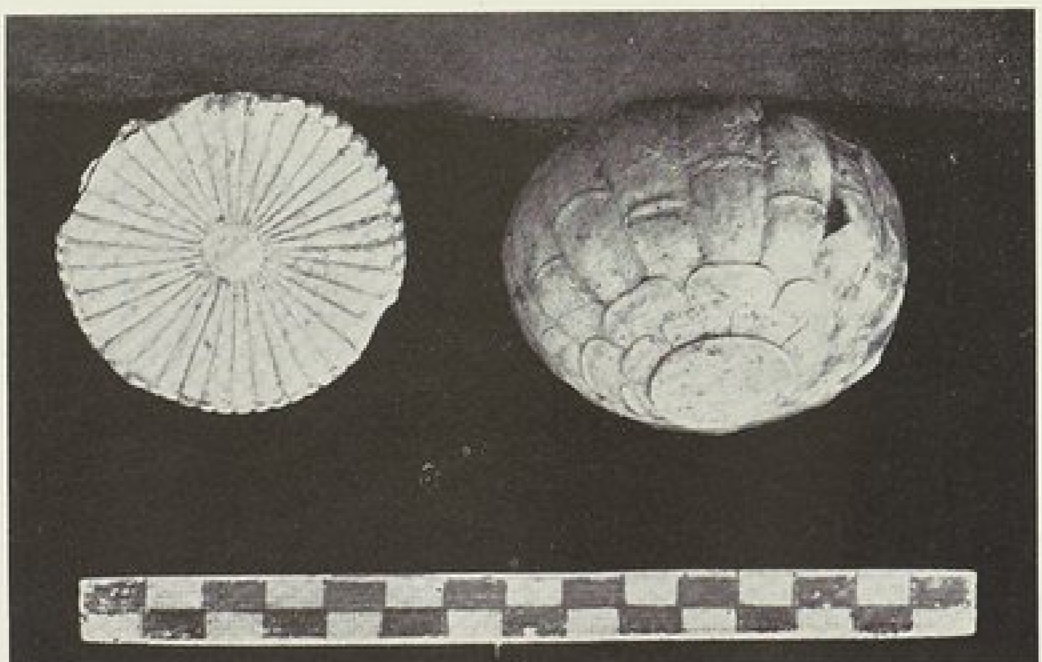
صورة ٤٨ — تمثال طفل صغير
من سن الفيل



صورة رقم ٤٩ — تمثال صغير لسبع



صورة رقم ٥٠ — تمثيل المعصم واليد والأصابع من سن الفيل



صورة رقم ٥١ — زهرة الكريزنتيم البرية وبجانبها غطاؤها من سن الفيل



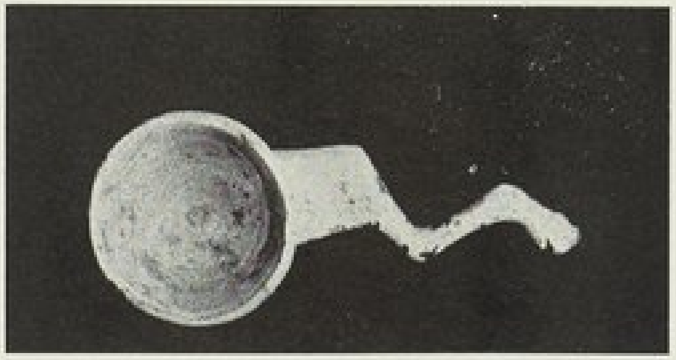
صورة رقم ٥٢ — ملعقة عادية بيد طويلة



صورة رقم ٥٣ — ملعقة دقيقة



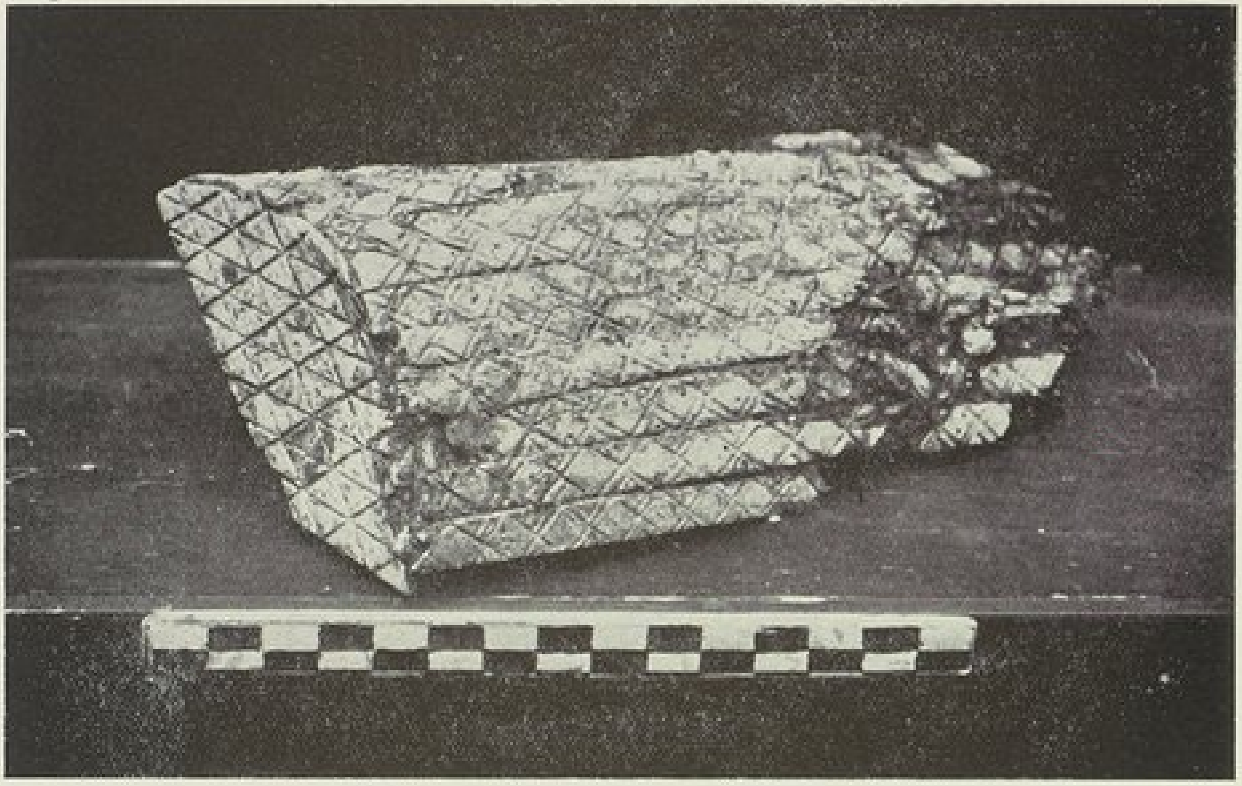
صورة رقم ٥٤ — ملعقة يدها على شكل بطة



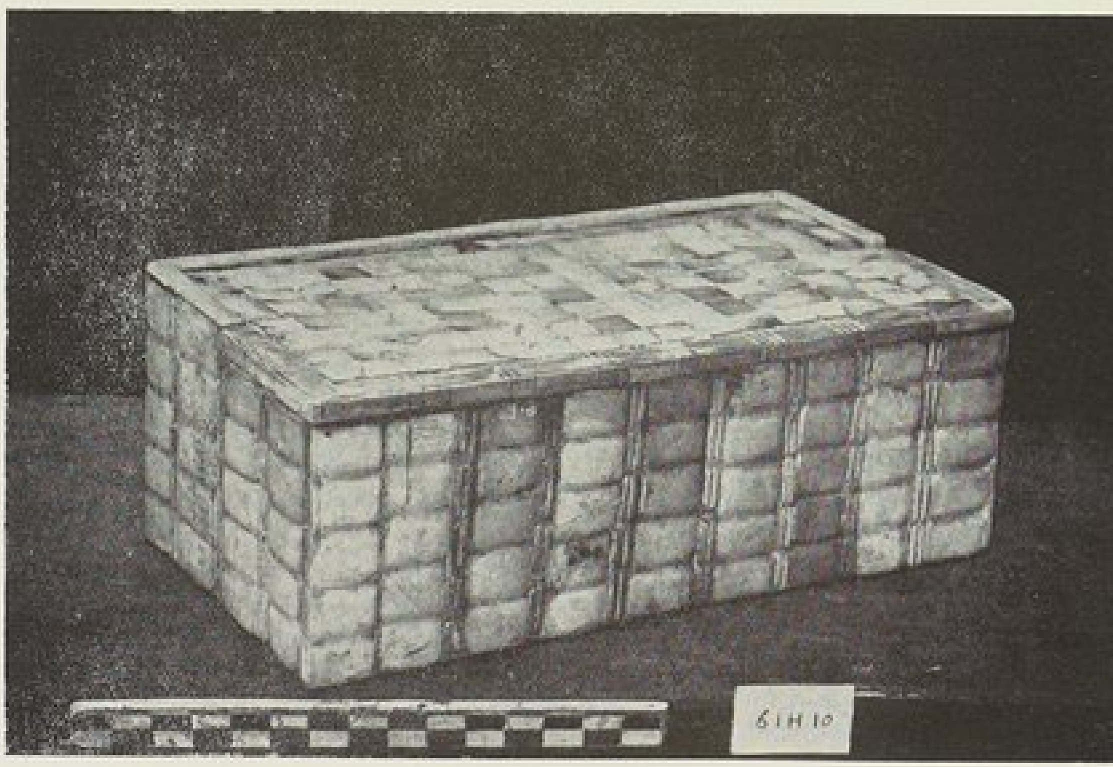
صورة رقم ٥٥ — ملعقة يدها على شكل رجل غزال أو عنزة



صورة رقم ٥٦ — ملعقة يدها على شكل رمز الإلهة إيزيس



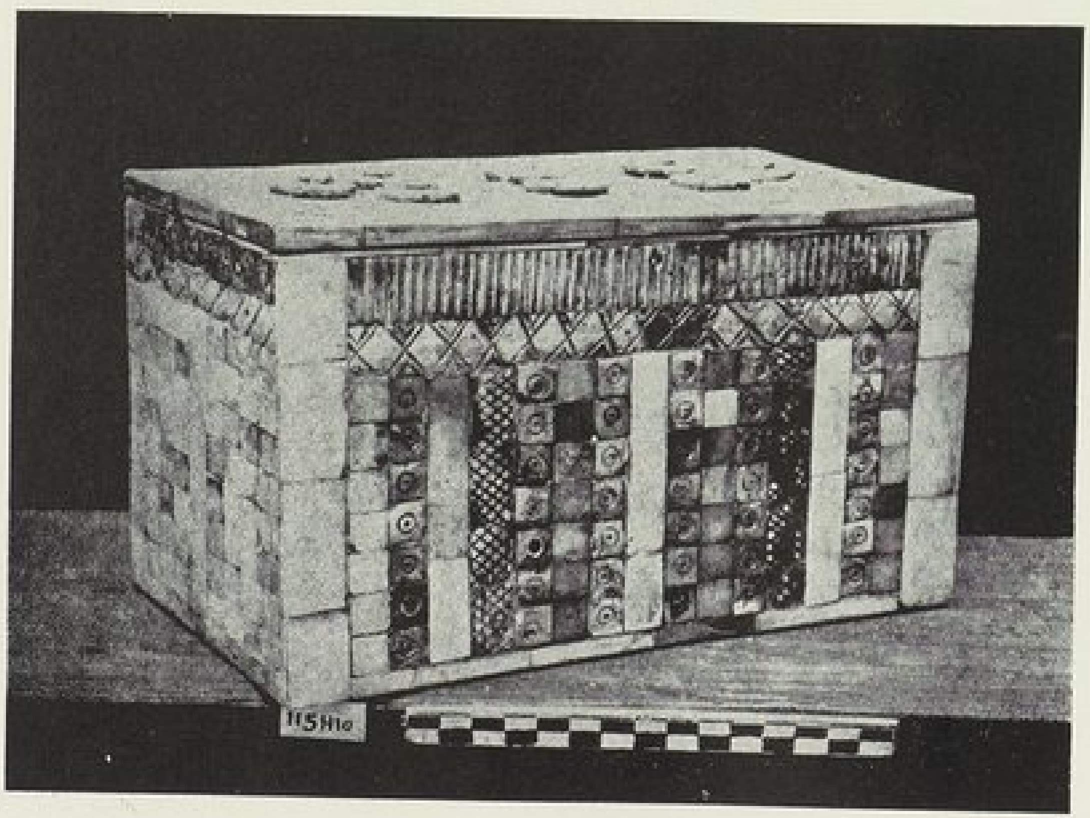
صورة رقم ٥٧ — جزء من صندوق أسطوانى الشكل
(المقبرة رقم ٦٢٧ — حلوان ، الموسم الثامن)



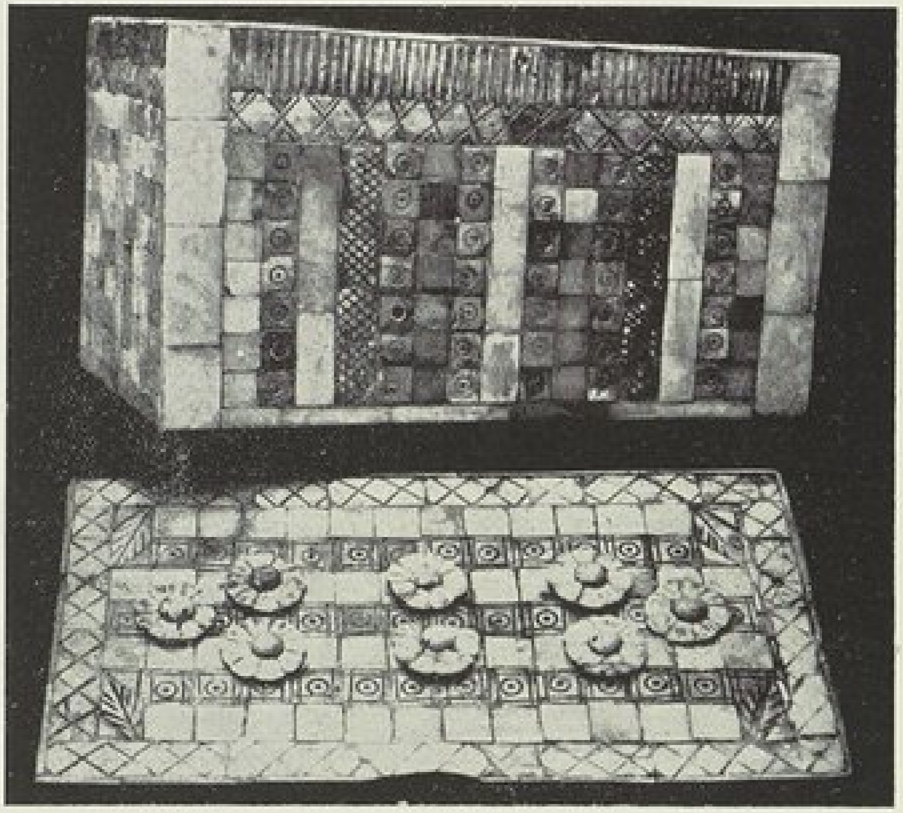
صورة رقم ٥٨ — صندوق من سن الفيل عليه غطاؤه
(المقبرة رقم ٦١ — حلوان ، الموسم العاشر)



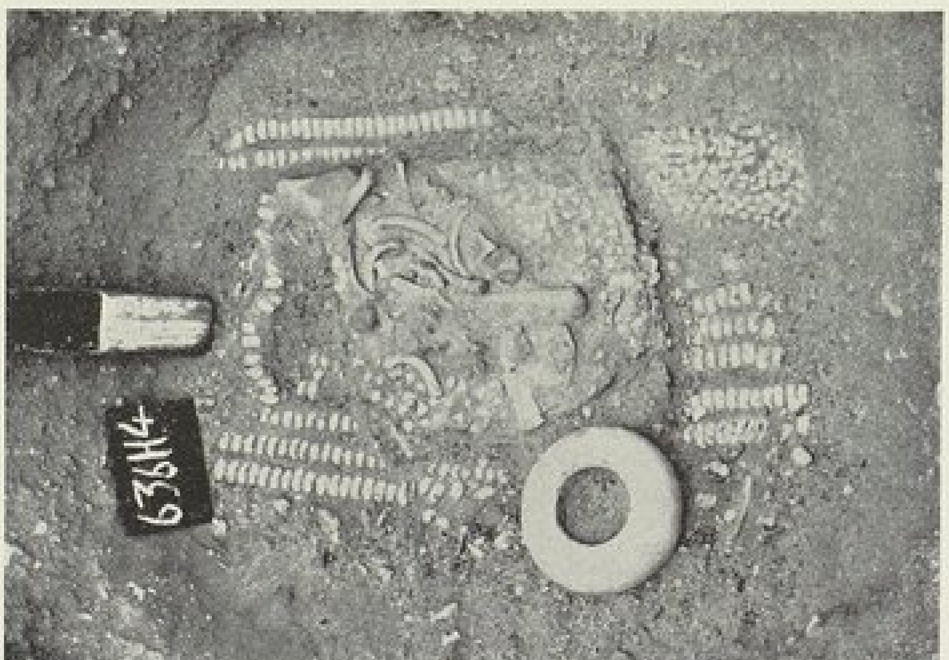
صورة رقم ٥٩ — صندوق مطعم بسن الفيل وبجانبه غطاؤه
(المقبرة رقم ٦١ — حلوان ، الموسم العاشر)



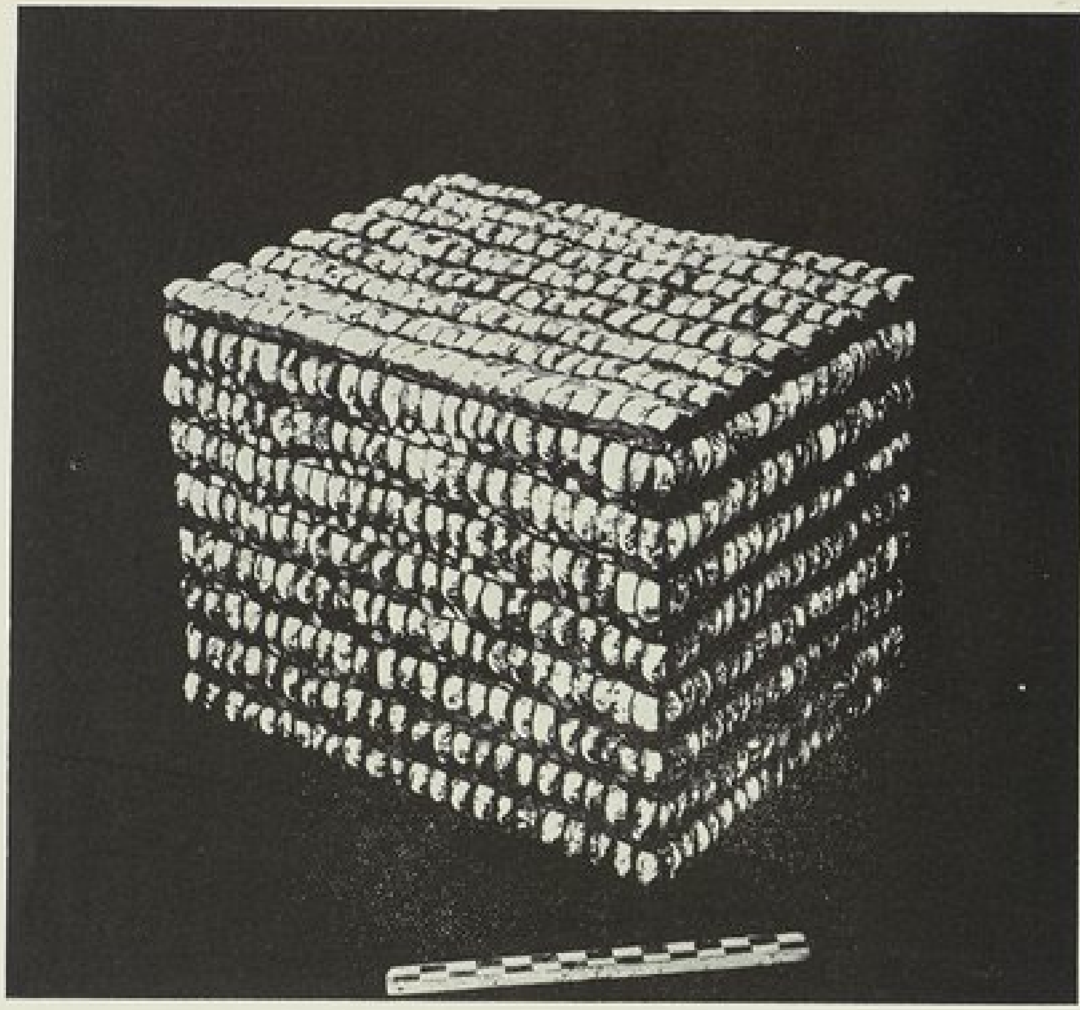
صورة رقم ٦٠ — صندوق مطعم بسن الفيل وعليه غطاؤه
(المقبرة رقم ١١٥ — حلوان ، الموسم العاشر)



صورة رقم ٦١ — الصندوق المطعم بسن الفيل وبجانبه الغطاء وفوقه الزهرات



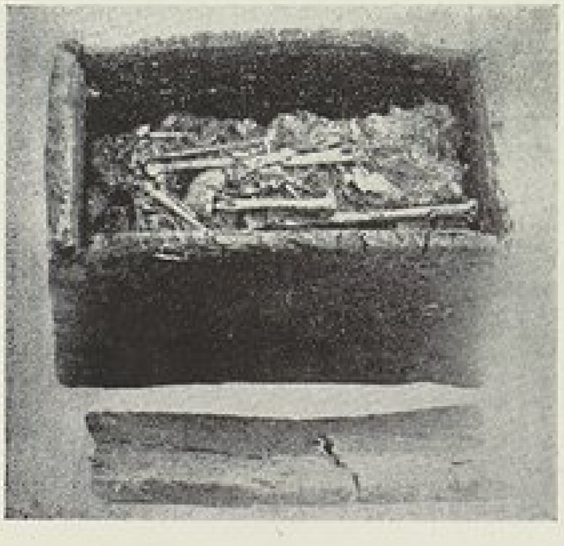
صورة رقم ٦٢ — بقايا جثة الطفل فوق أجزاء الصندوق المطعم بالودع والصدف
(المقبرة رقم ٦٣٦ — حلوان ، الموسم السادس)



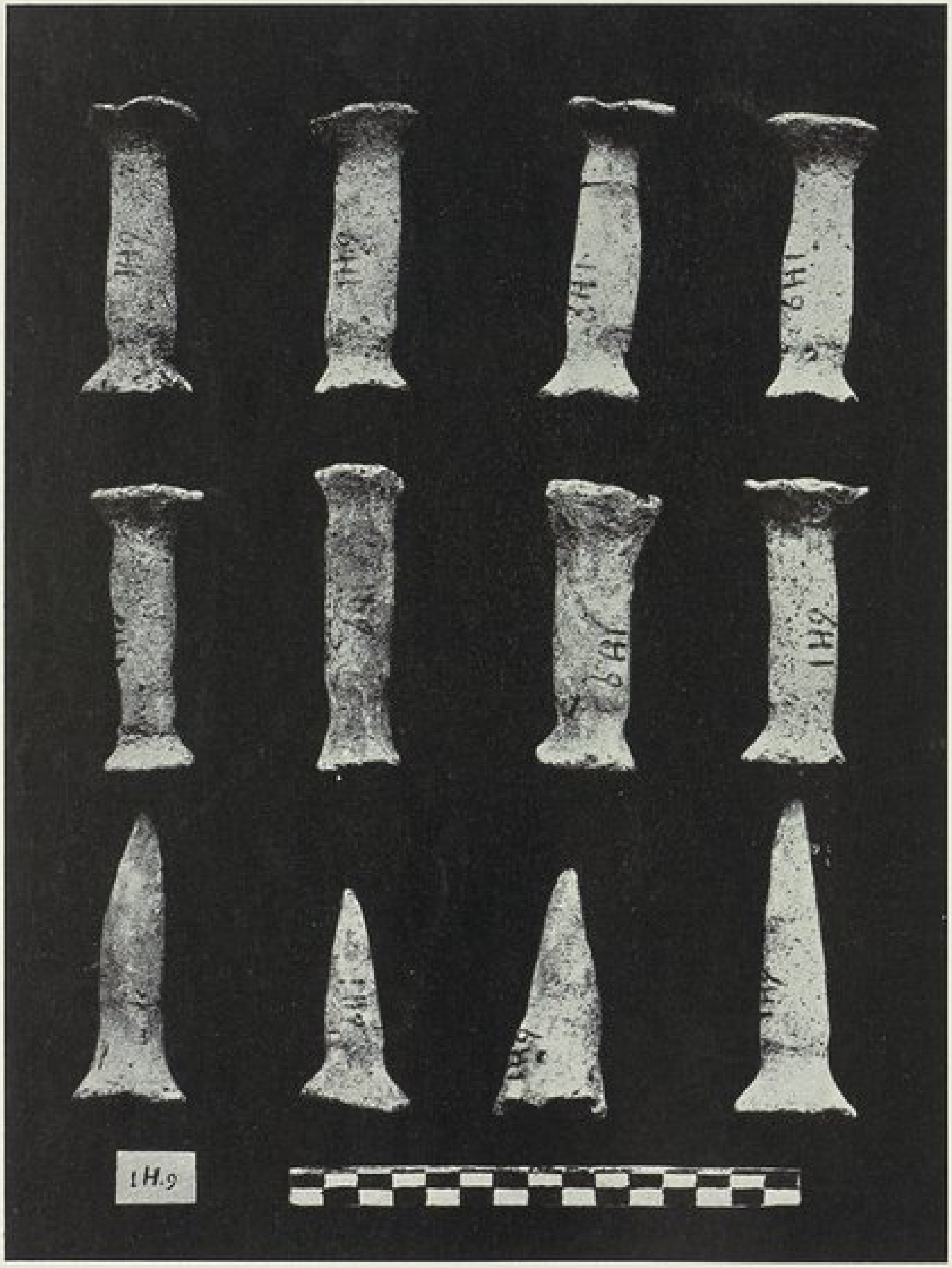
صورة رقم ٦٣ — الصندوق المطعم بالودع والأصداف
(المقبرة رقم ٦٣٦ — حلوان ، الموسم السادس)



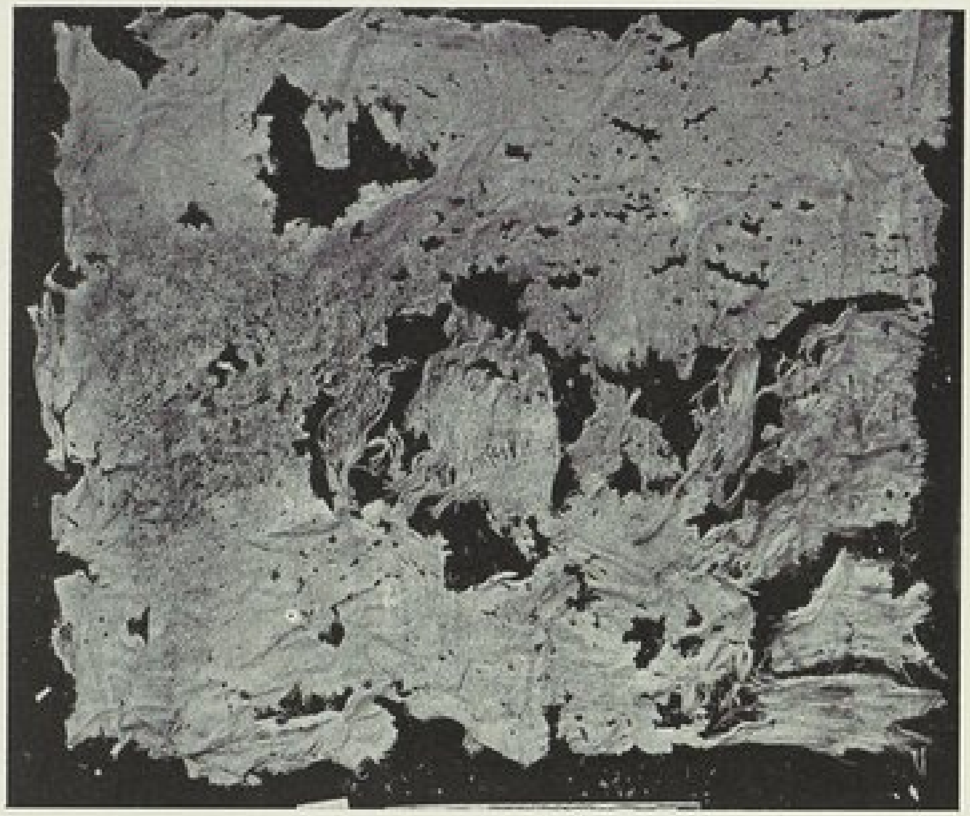
صورة رقم ٦٤ — الصندوق الخشب وعليه الغطاء



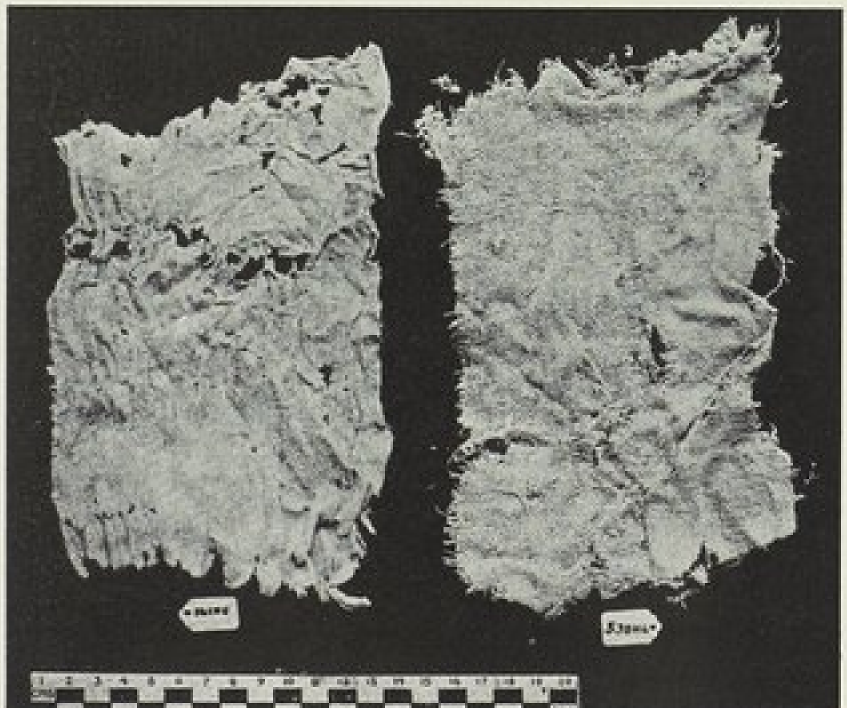
صورة رقم ٦٥ — الصندوق الخشب وبجانبه الغطاء
وداخله جثة الطائر



صورة رقم ٦٦ — قطع من الفخار للف الخيوط وضبط النول اليدوى للنسيج



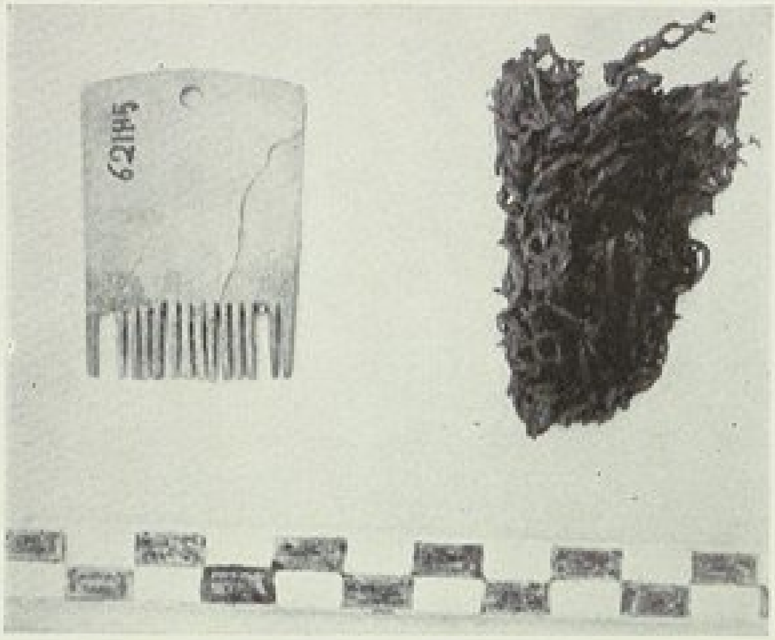
صورة رقم ٦٧ ــ قطعة من الكتان رفيعة ناعمة الملمس مثل الأقمشة الحديثة



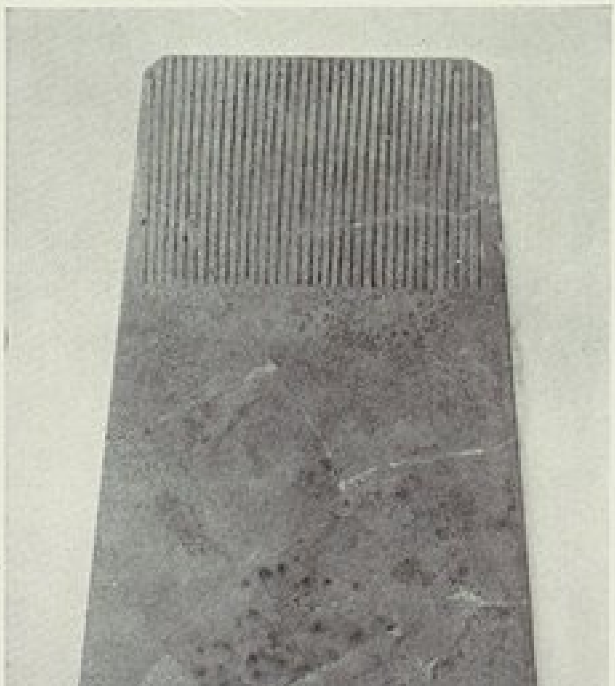
صورة رقم ٦٨ ــ قطعتان من قماش سميك بالنسبة للقطعة السابقة



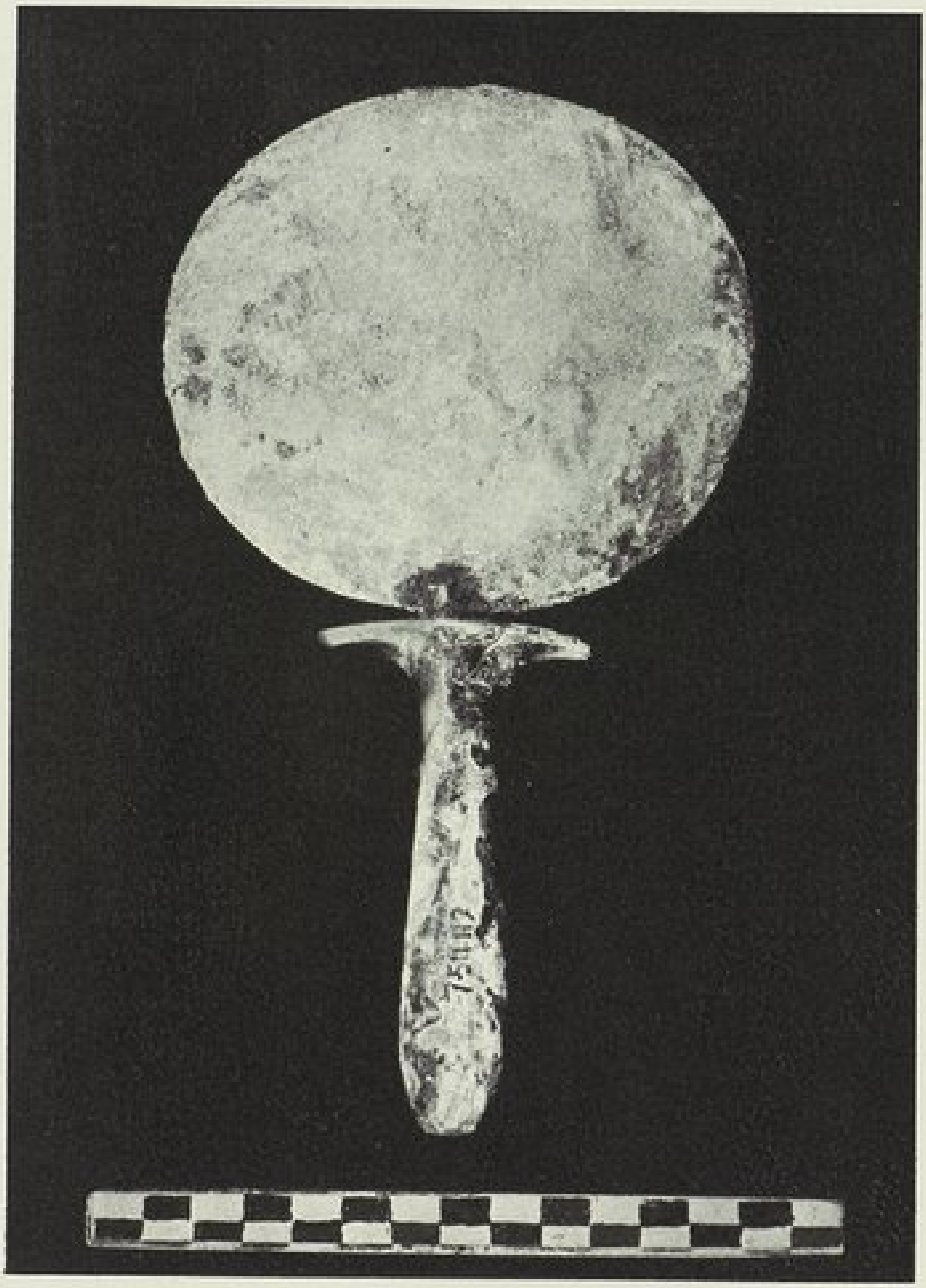
صورة رقم ٦٩ — كاهن ملكى يرتدى ثيابا ربطت على الكتف اليسرى
بربطة على شكل « فيونكة »



صورة رقم ٧٠ ـــ مشط من سن الفيل وجد فى كيس
من شيقان البردى



صورة رقم ٧١ ـــ مشط رمزى من حجر الأردواز



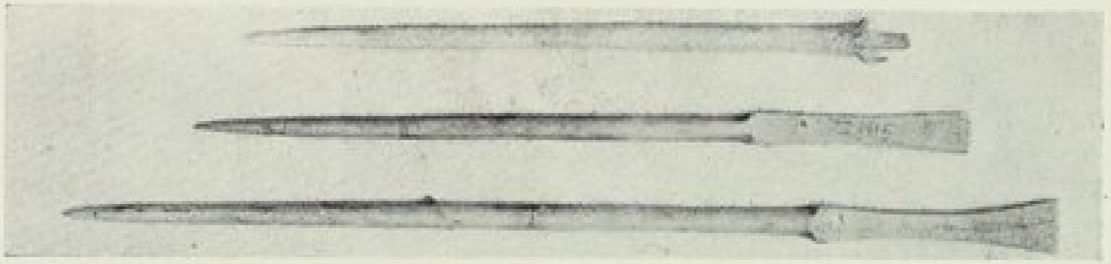
صورة رقم ٧٢ — مرآة من النحاس لها يد من الخشب



صورة رقم ٧٣ ــ لوحة لصحن الألوان على شكل مستطيل



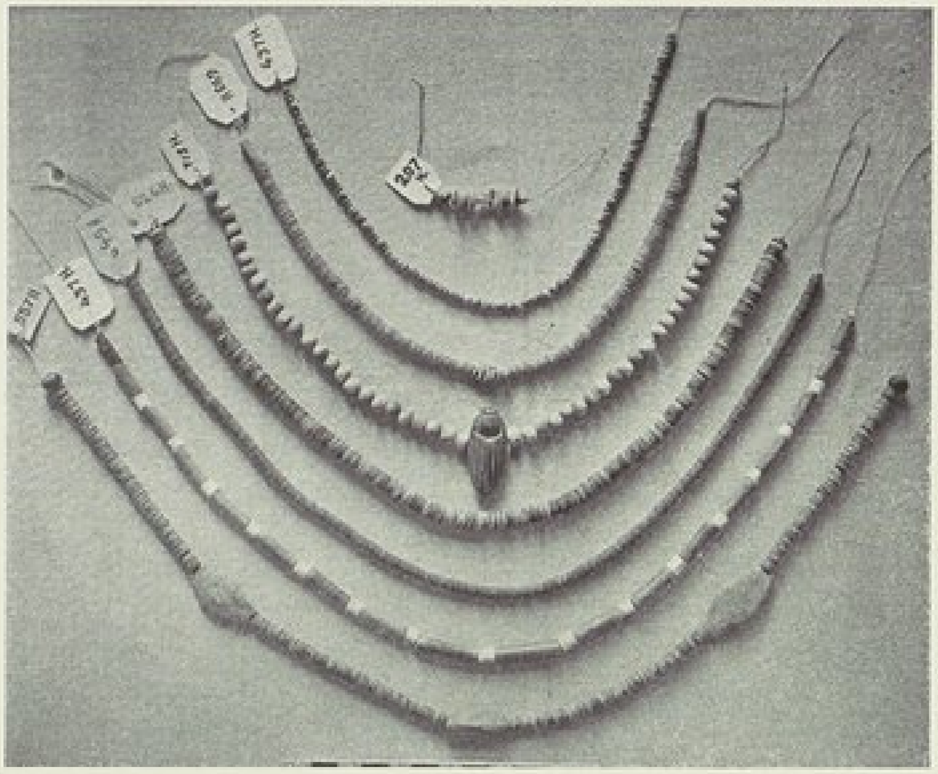
صورة رقم ٧٤ ــ لوحة لصحن الألوان على هيئة سمكة



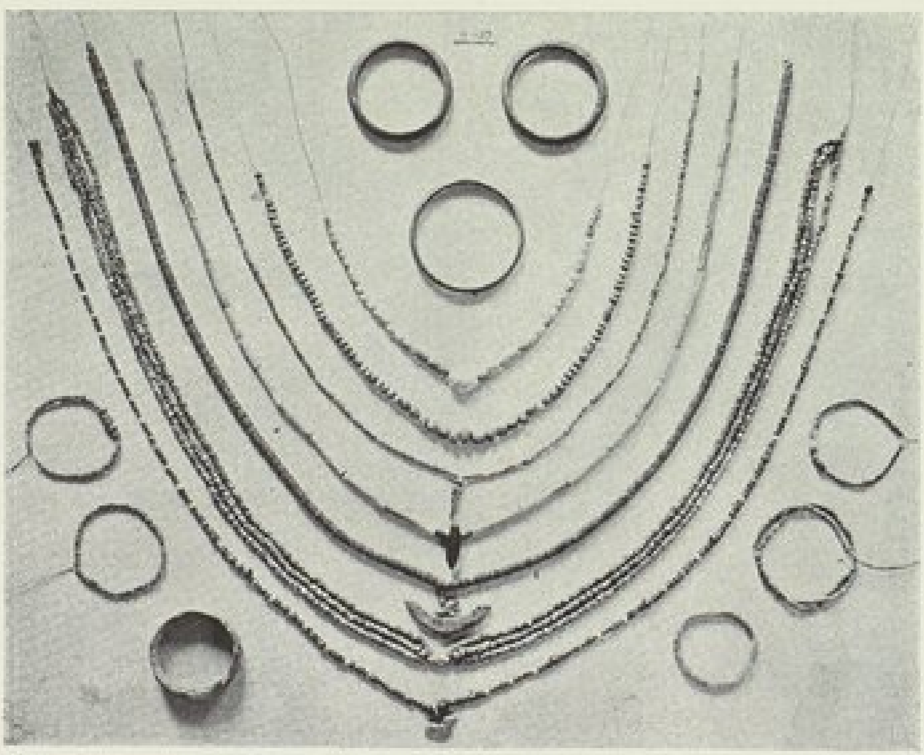
صورة رقم ٧٥ — بعض مراود لتكحيل العيون مصنوعة من سن الفيل



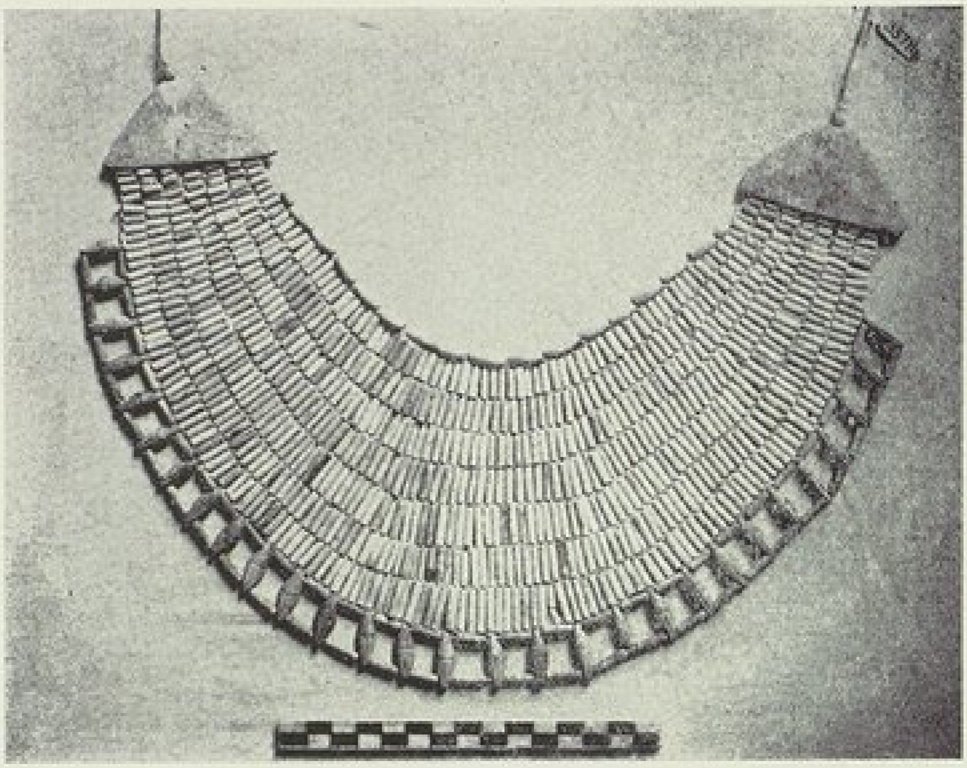
صورة رقم ٧٦ — سيدة أنيقة من عصر الأسرة الثانية تجلس إلى المائدة



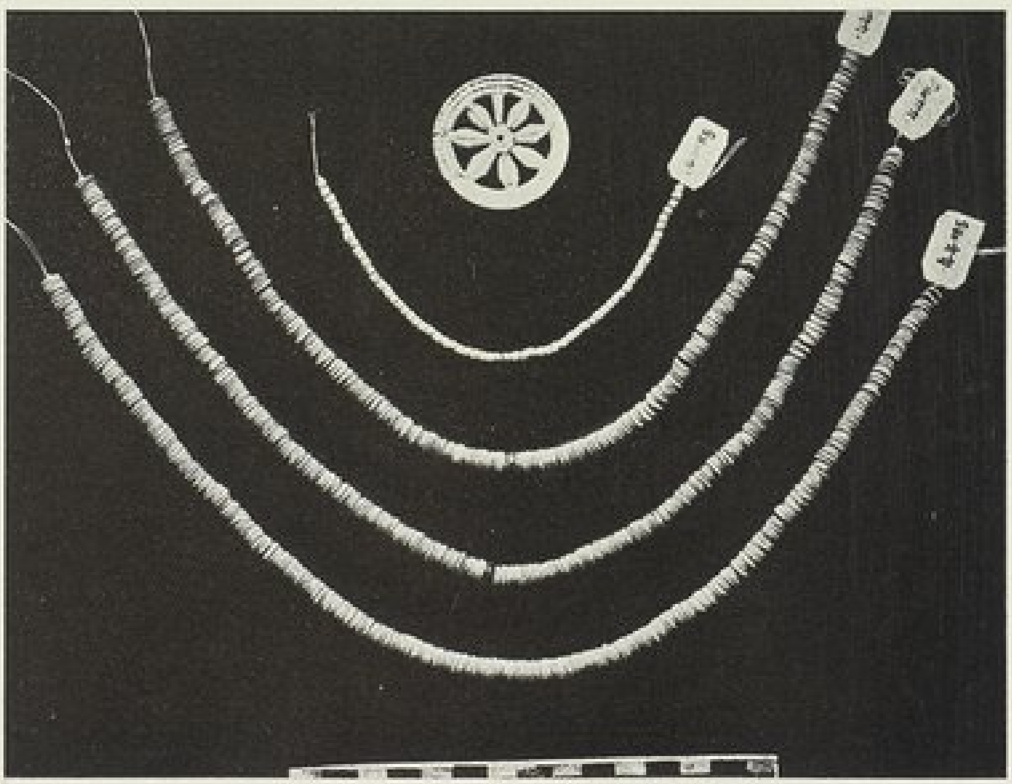
صورة رقم ٧٧ — مجموعة من العقود المختلفة الأحجار والألوان



صورة رقم ٧٨ — مجموعة من العقود والأساور
(المقبرة رقم ٦٥٩ — حلوان ، الموسم الأول)



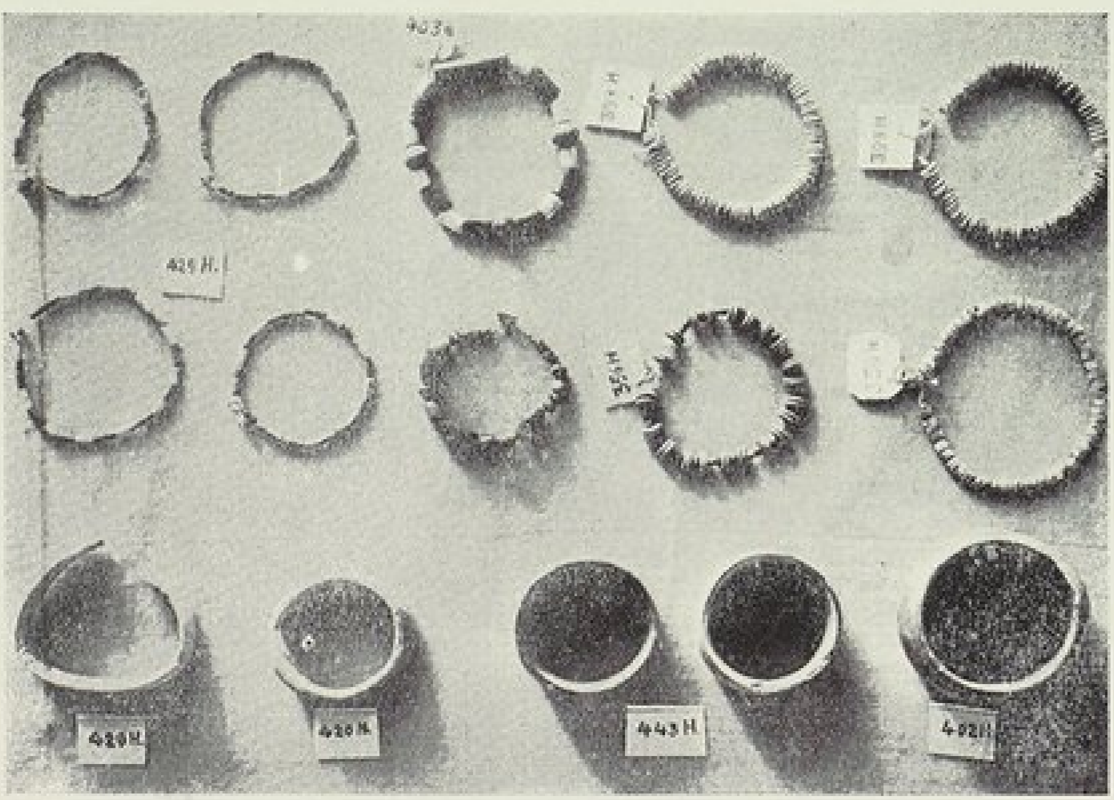
صورة رقم ٧٩ — إحدى القلائد من القيشانى الأخضر والأبيض



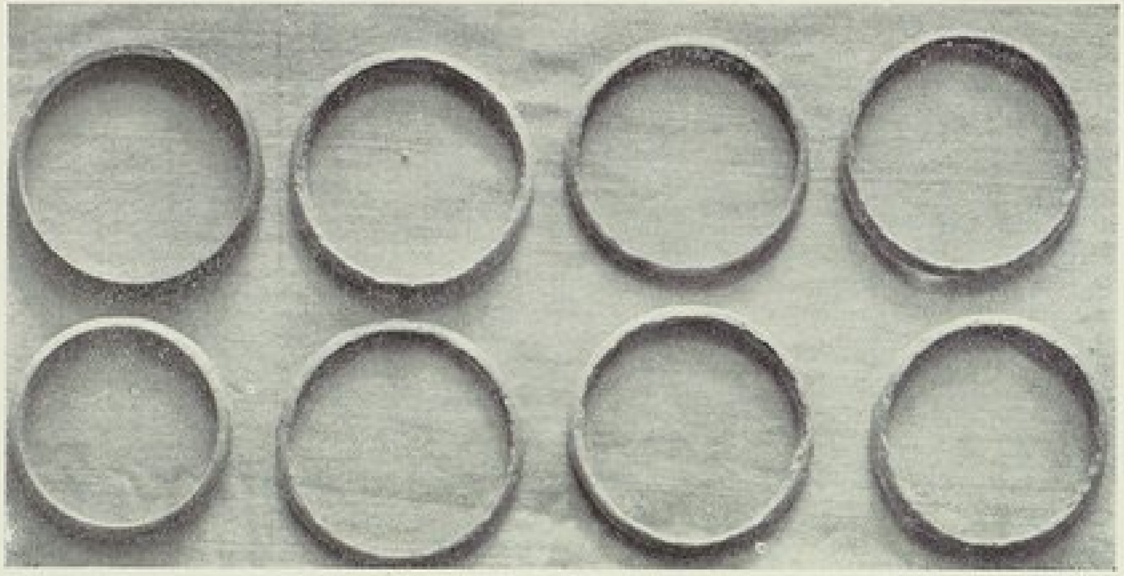
صورة رقم ٨٠ — مجموعة من العقود ومعها دائرة من القيشانى تشبه العجلة



صورة رقم ٨١ — الدائرة ذات الفروع الثمانية



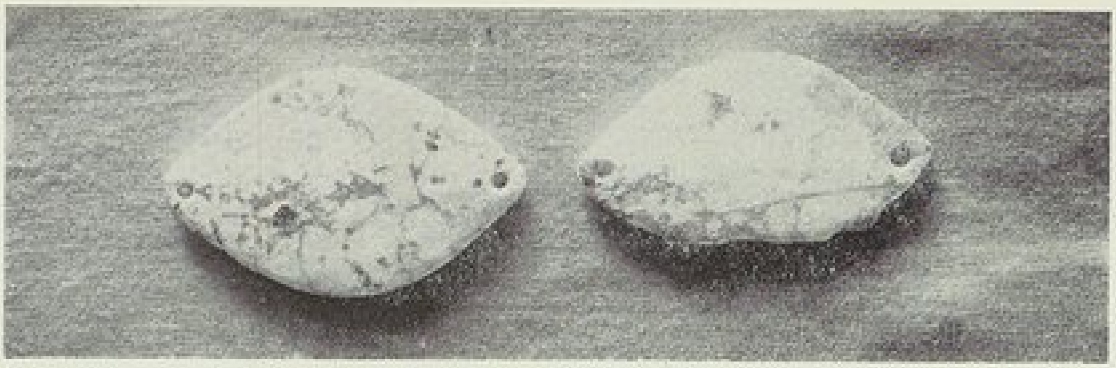
صورة رقم ٨٢ — بعض الأساور من الخرز والأردواز وسن الفيل



صورة رقم ٨٣ — مجموعة من أساور صنعت من الأردواز



صورة رقم ٨٤ — سواران عريضان من سن الفيل وجدا على ذراع طفل



صورة رقم ٨٥ — قطعتان مثل القطع المعدنية التى يكتب عليها اسم صاحبها وتوضع على المعصم للتعرف عليه



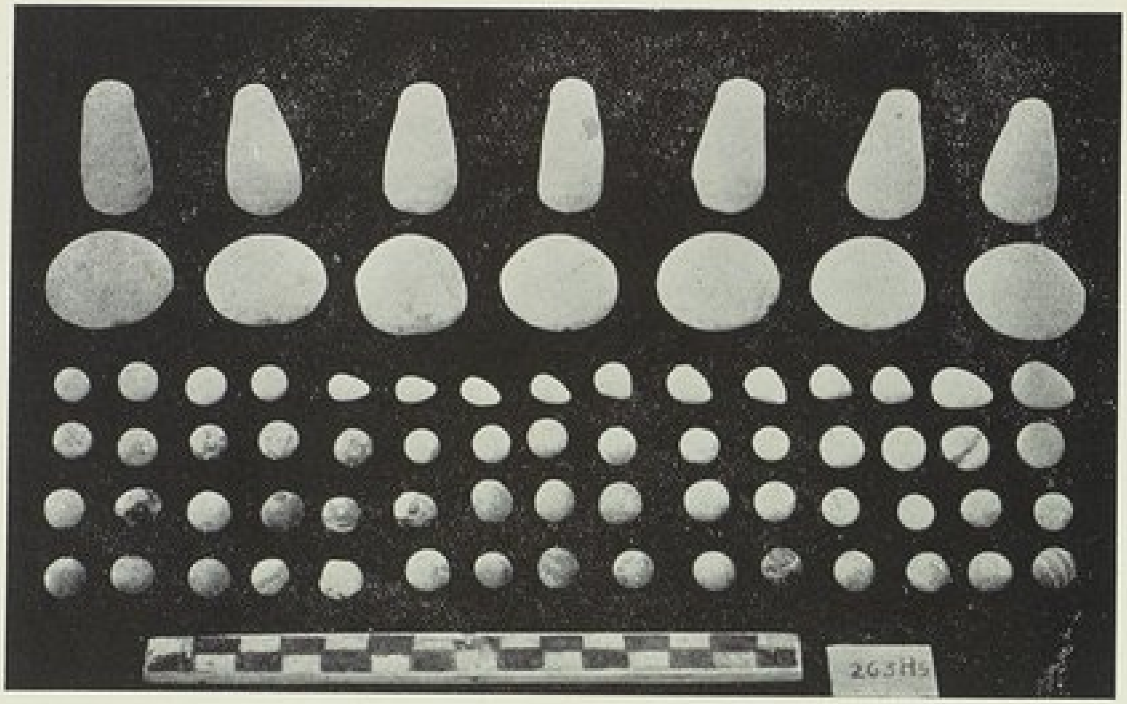
صورة رقم ٨٦ — أحد المخازن وبه أربع صوامع من الفخار لخزن الحبوب
(المقبرة رقم ١٥٠٢ — حلوان ، الموسم الثانى)



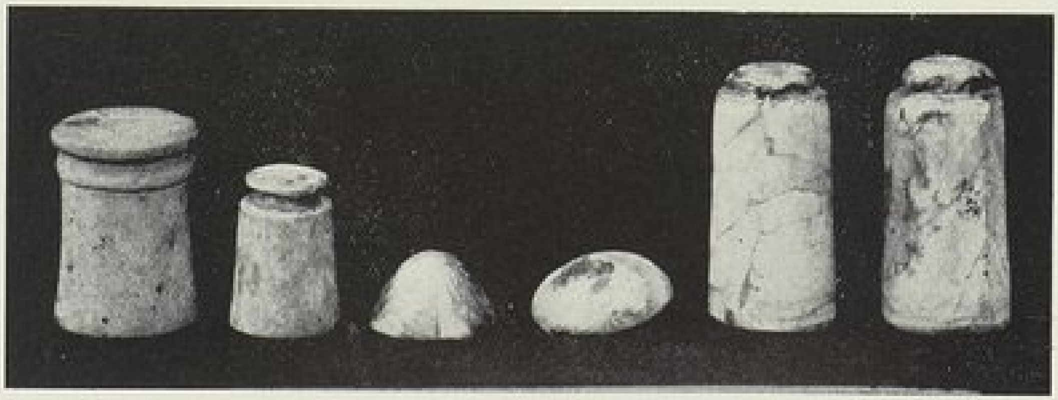
صورة رقم ٨٧ — خمس صوامع مبنية بالطوب الأخضر بجوار
(المقبرة الكبيرة رقم ٦٥٣ — حلوان ، الموسم الرابع)



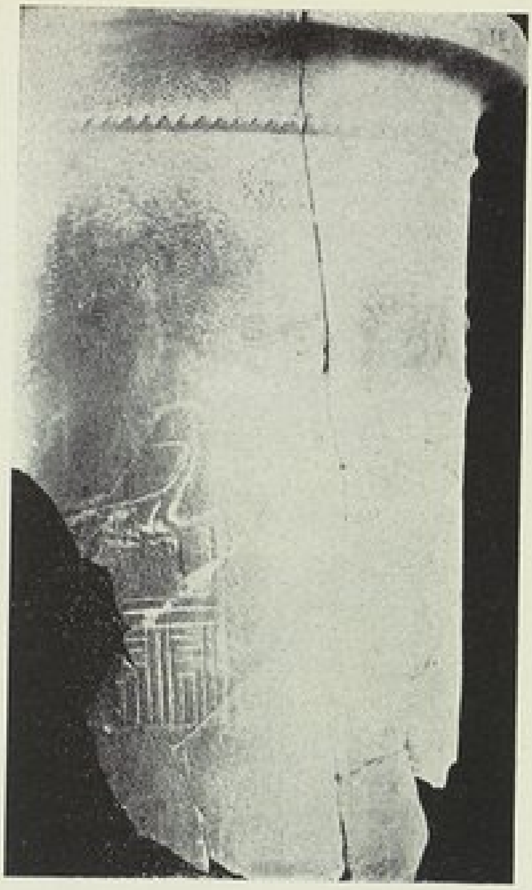
صورة رقم ٨٨ — ثلاثة من قرون الوعل الكبيرة الحجم
يظهر على اثنين منها التكسير المرمم



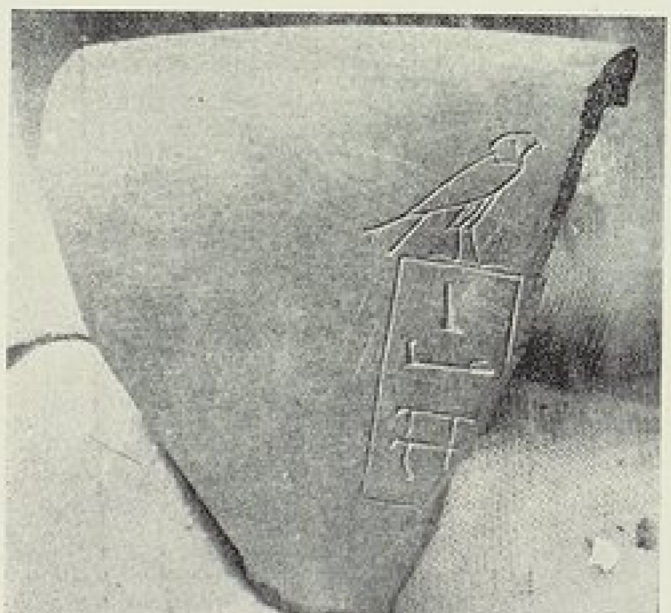
صورة رقم ٨٩ ـ قطع اللعب الأربع عشرة وبجانبها الحبات المختلفة



صورة رقم ٩٠ ـ قطع من اللعب مصنوعة من سن الفيل



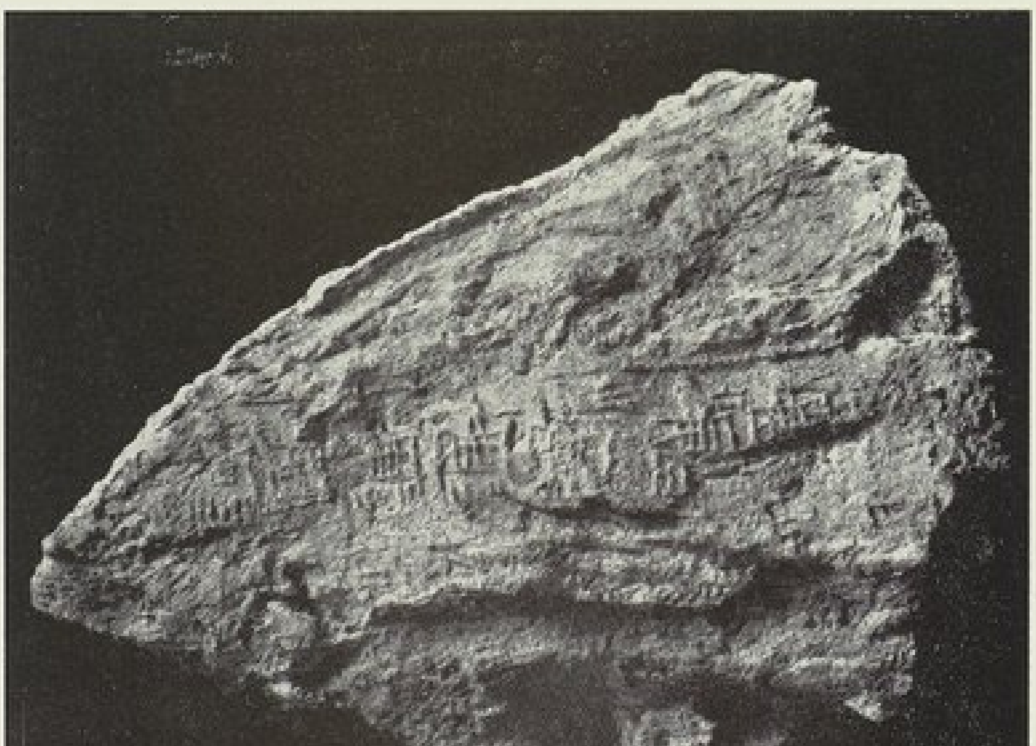
صورة رقم ٩١ ــ قطعة من إناء عليه اسم الملك حور أحا
أول ملوك الأسرة الأولى.



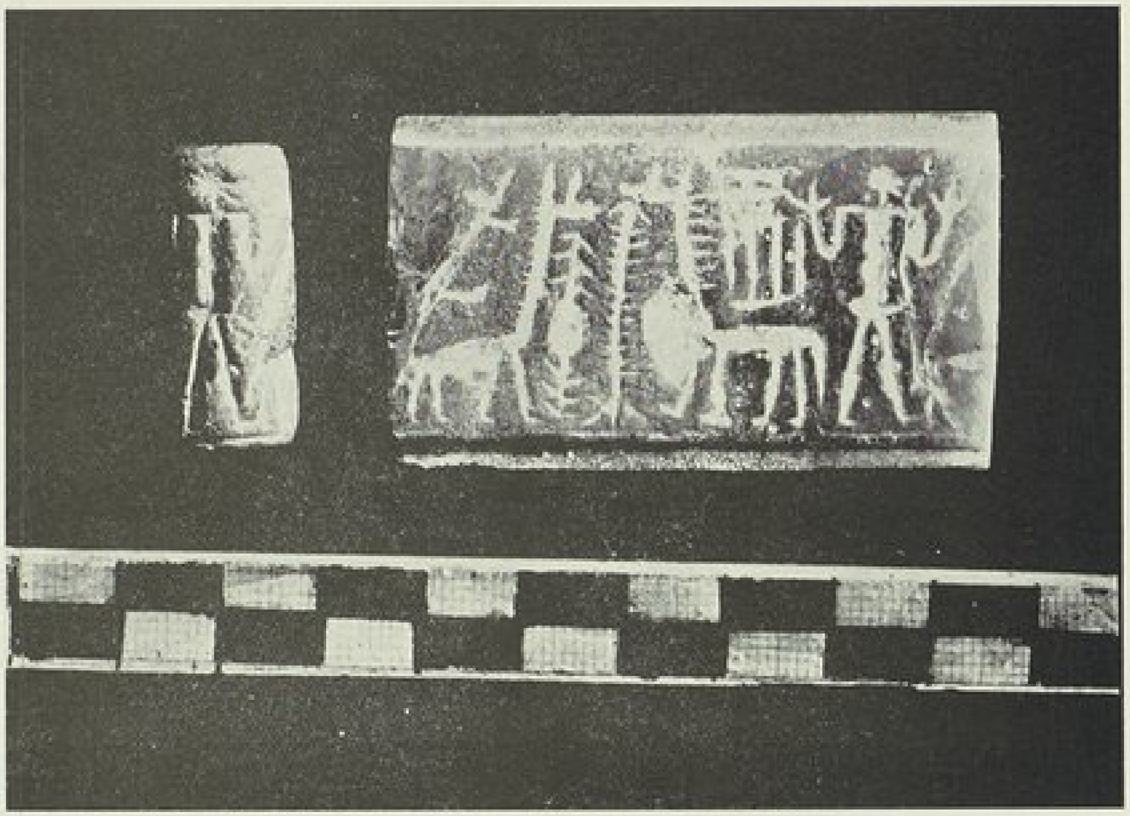
صورة رقم ٩٢ ــ قطعة من طبق عليها اسم الملك كاع
آخر ملوك الأسرة الأولى



صورة رقم ٩٣ ــ قطعة من سن الفيل عليها
اسم الملكة نيت حتب ووجهها



صور رقم ــ ٩٤ سدادة إحدى أوانى الفخار وعليها اسم الملك جر



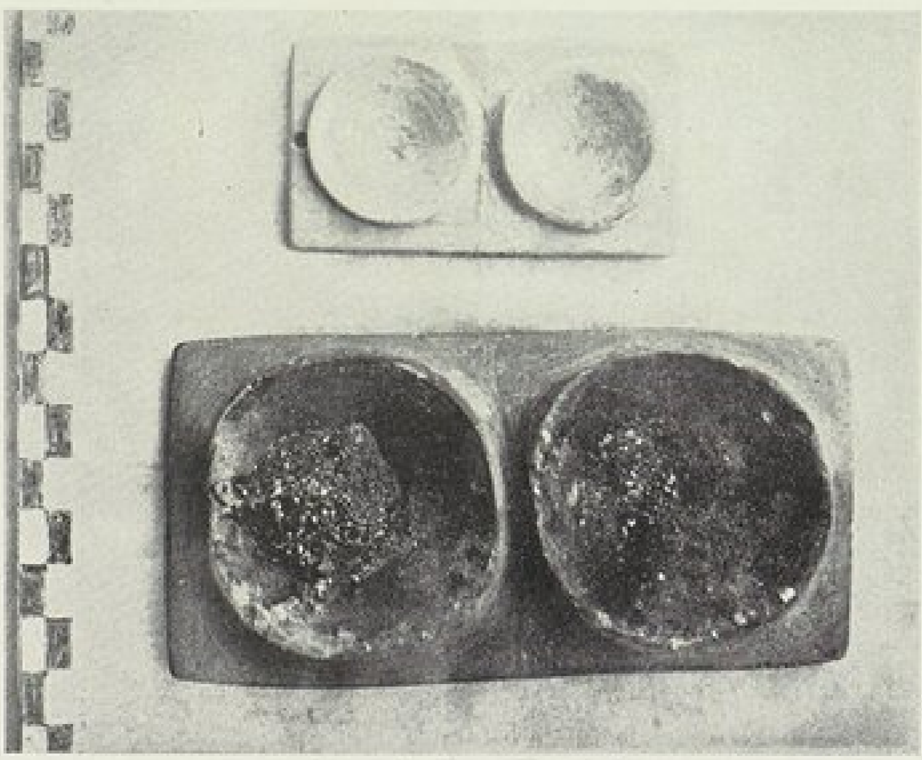
صورة رقم ٥٩ — أحد الأختام وإلى اليمين النقش على قطعة من الشمع



صورة رقم ٩٦ — أحد الأختام وفوقه النقش على قطعة من الشمع



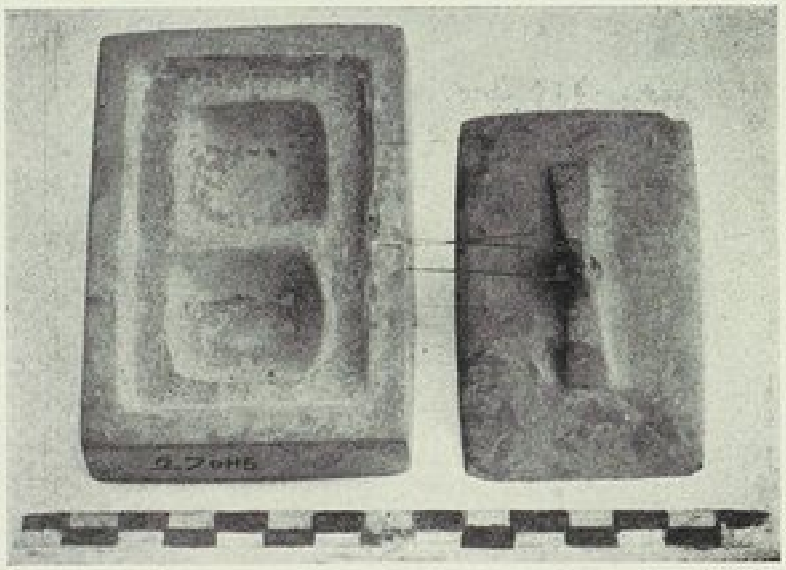
صورة رقم ٩٧ — ثلاث بطاقات من العاج عليها اسم صاحب المقبرة واسم المادة التى يحويها الإناء.



صورة رقم ٩٨ — محبرة من الأردواز ويلاحظ الحبر فى القسمين المستديرين
ومعها محبرة صغيرة من نفس النوع



صورة رقم ٩٩ ــ علبة من الأردواز وعليها غطاؤها
وهي عبارة عن محبرة



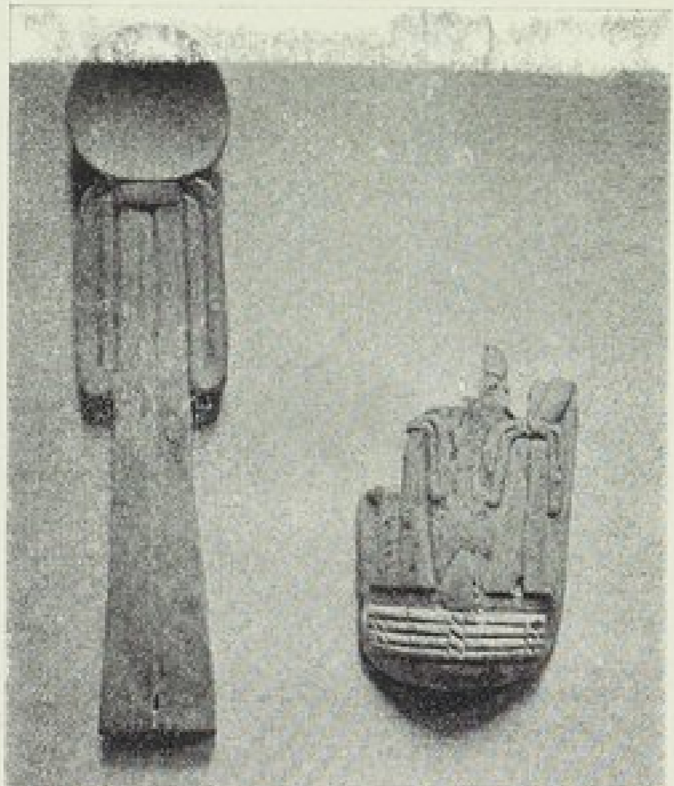
صورة رقم ١٠٠ ــ العلبة وإلى جانبها الغطاء



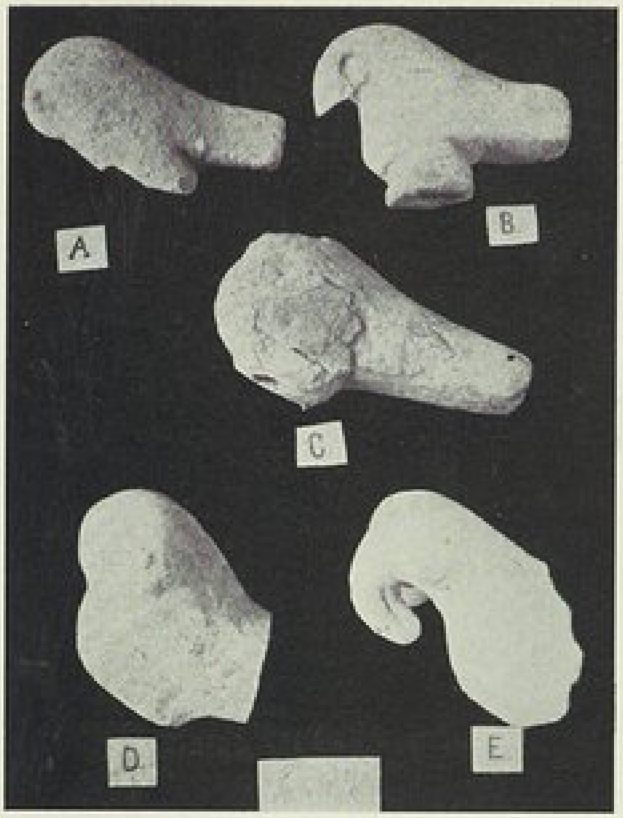
صورة رقم ١٠١ ــ المقبرة وبها الجثة
وترى المحبرة بجانب الرأس وإلى جانبها الغطاء



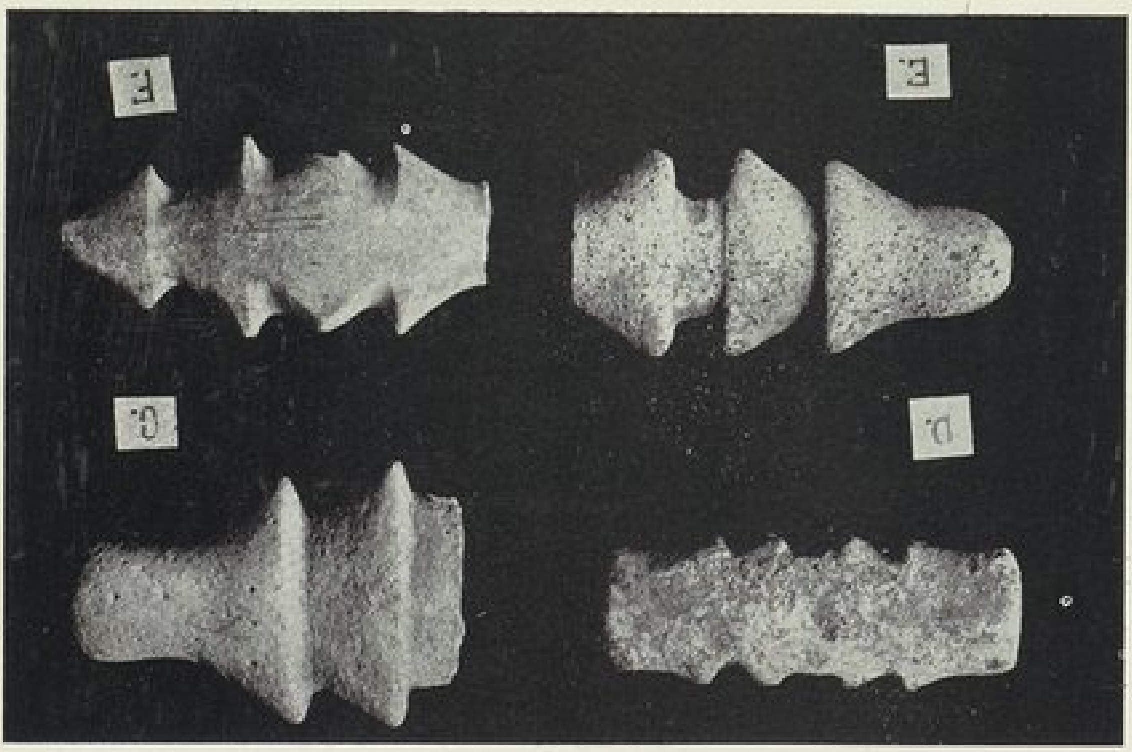
صورة رقم ١٠٢ — قطعتان من سن الفيل
تمثلان رمز الإله أوزيريس



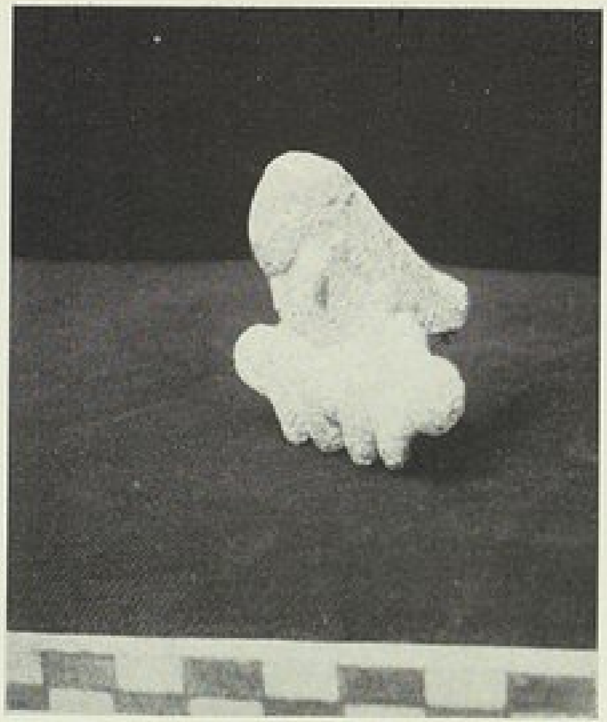
صورة رقم ١٠٣ — قطعتان من سن الفيل الأولى تمثل رمز الإلهة إيزيس
وعلى الثانية رمزان لنفس الإلهة وتحتها علامة السلام (حتب)



صورة ١٠٤ — رمز الإله موريس من الفيانس
وإلى يمين الصف الأخير رمز الإلهة نخبيت



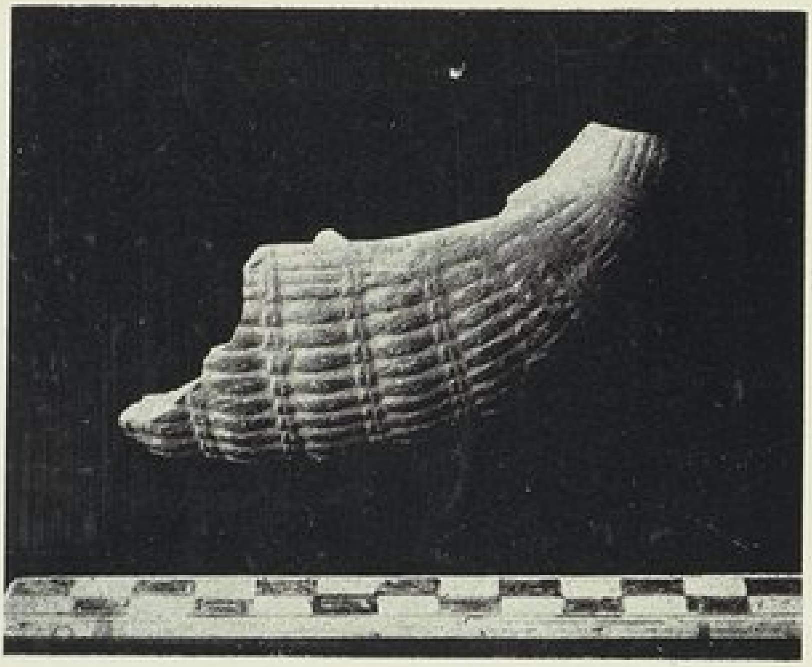
صورة رقم ١٠٥ — قطع من القيشانى تمثل رمز الإله مين



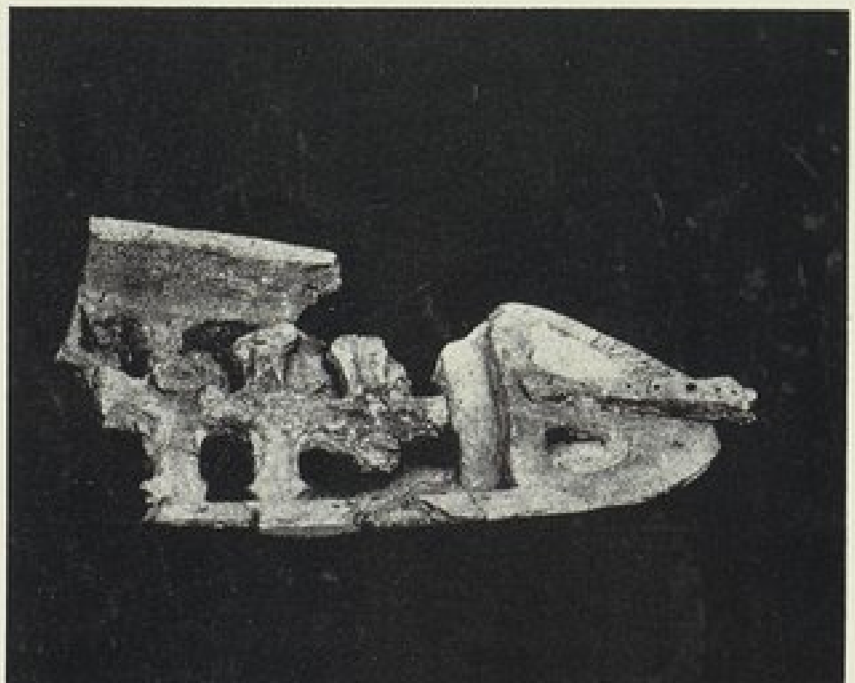
صورة رقم ١٠٦ ــ أول ائتلاف بين رمزى
الإله حوريس والإله مين



صورة رقم ١٠٧ ــ نموذج مركب من سن الفيل



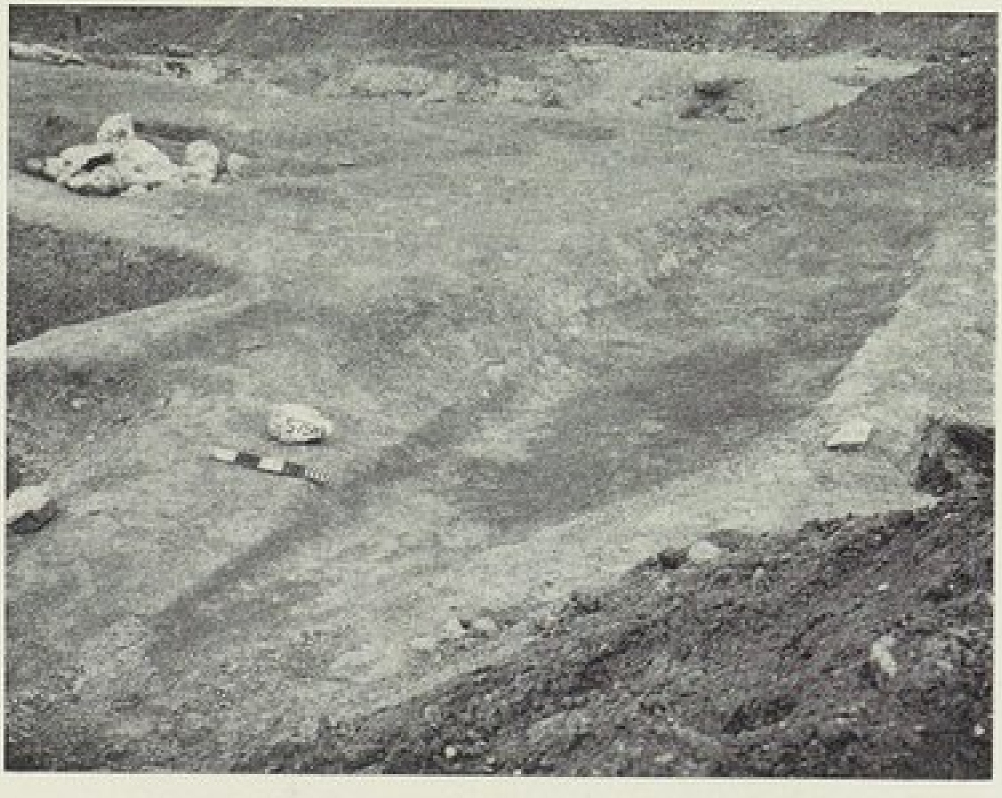
صورة رقم ١٠٨ — نموذج لمركب من الحجر
على شكل سيقان البردى المضفور



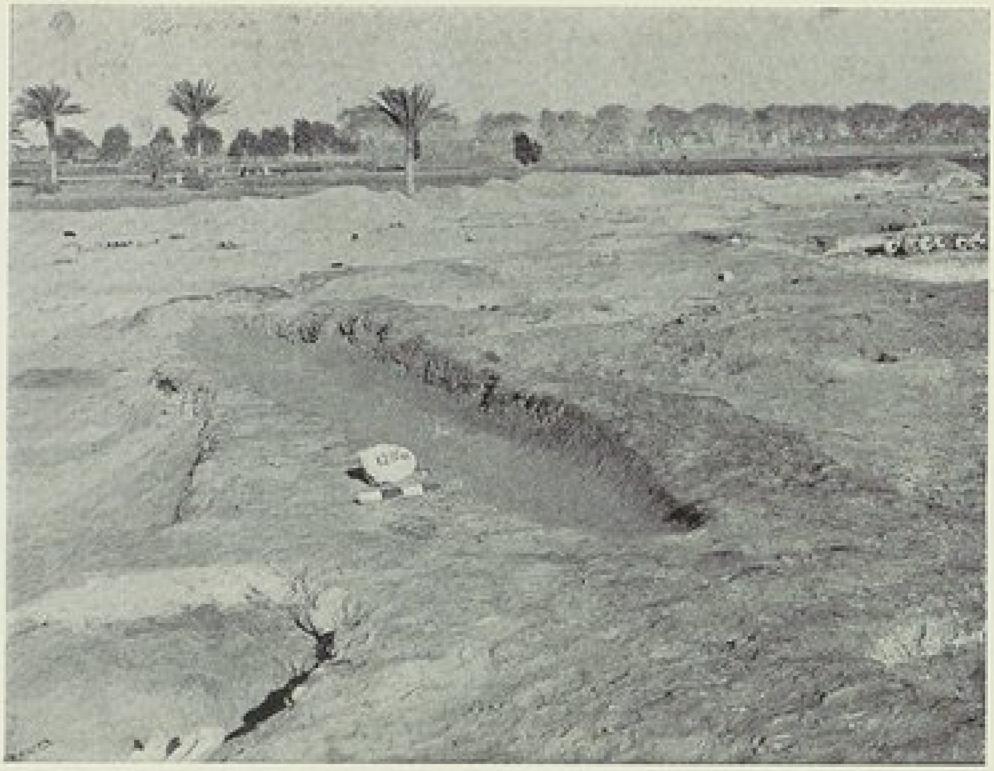
صورة رقم ١٠٩ — نموذج لمركب من الفخار



صورة رقم ١١٠ — المركب الذى وجد إلى الجهة الشرقية من
(المقبرة رقم ٦٤٩ — حلوان ، الموسم الخامس)



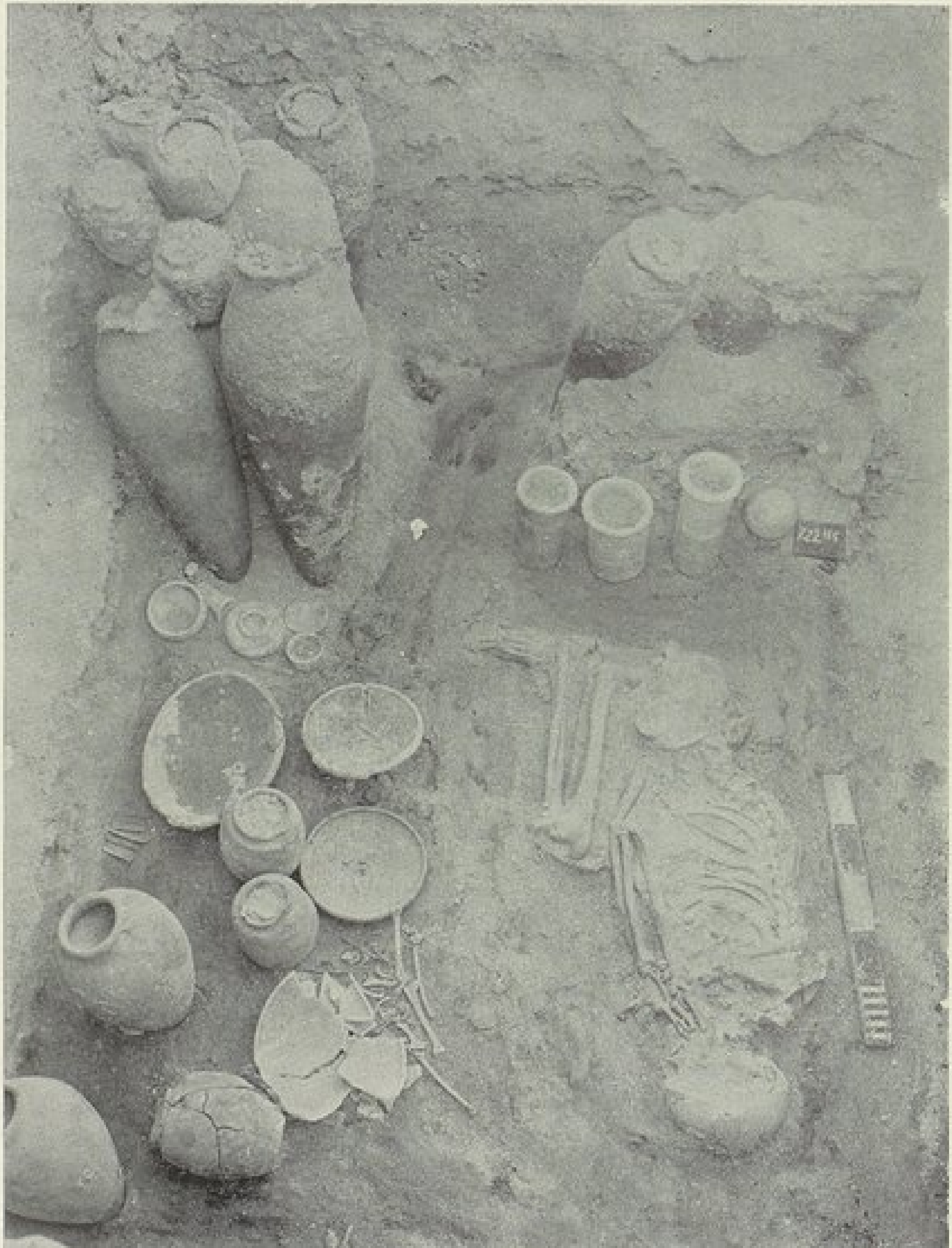
صورة رقم ١١١ — المركب الذى وجد إلى الجهة البحرية من
(المقبرة رقم ٥٧٥ — حلوان ، الموسم الثامن)



صورة رقم ١١٢ — المركب الذى وجد إلى الجهة البحرية
من المقبرة رقم ١٢١٦ — حلوان ، الموسم التاسع



صورة رقم ١١٣ — المركب الذى وجد إلى الجهة البحرية
من المقبرة رقم ٤٢٣ — حلوان ، الموسم التاسع



صورة رقم ١١٤ — مقبرة بها الميت وحوله الأدوات الجنائزية



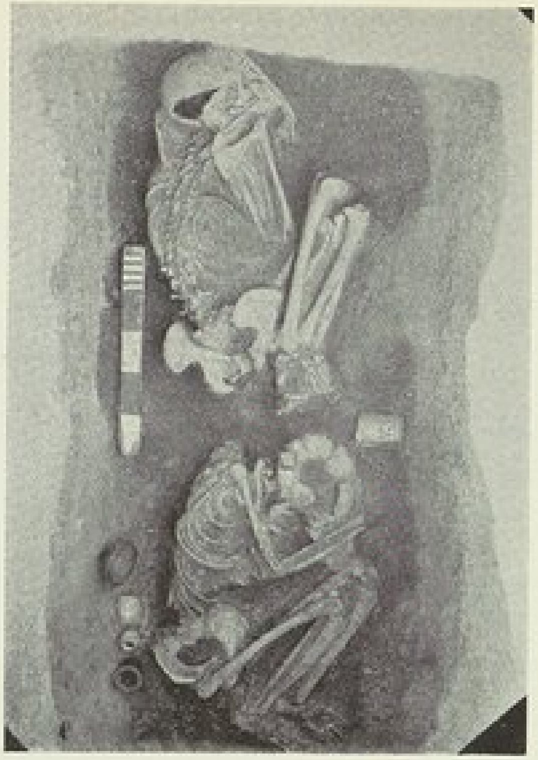
صورة رقم ١١٥ — ميت فى مقبرة على شكل الجنين
ليس معه أدوات جنائزية



صورة رقم ١١٦ — ميت فى مقبرة حوله أدوات جنائزية وفى المخزن أوانٍ من الفخار



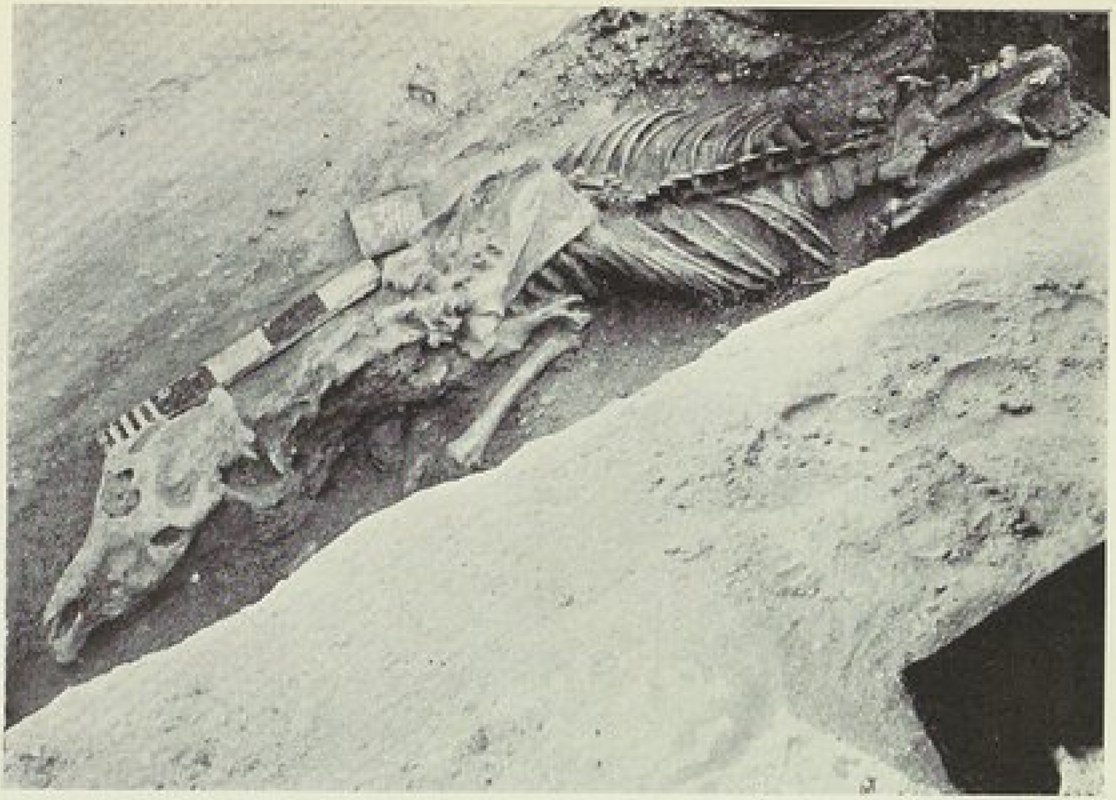
صورة رقم ١١٧ — مقبرة لها أربعة مخازن اثنان فى الجهة البحرية واثنان فى الجهة القبلية



صورة رقم ١١٨ — جثتان فى مدفن واحد



صورة رقم ١١٩ — تابوت من القش المجدول



صورة رقم ١٢٠ — جثة أحد الحمير ويلاحظ كبر حجمه



صورة رقم ١٢١ — جثة أحد الكلاب وكان فى تابوت من الخشب
ومعه إناءان من الفخار



صورة رقم ١٢٢ — رأس عليه شعر ناعم أملس أشقر اللون



صورة رقم ١٢٣ — ثلاثة رؤوس عليها بقايا شعر ناعم